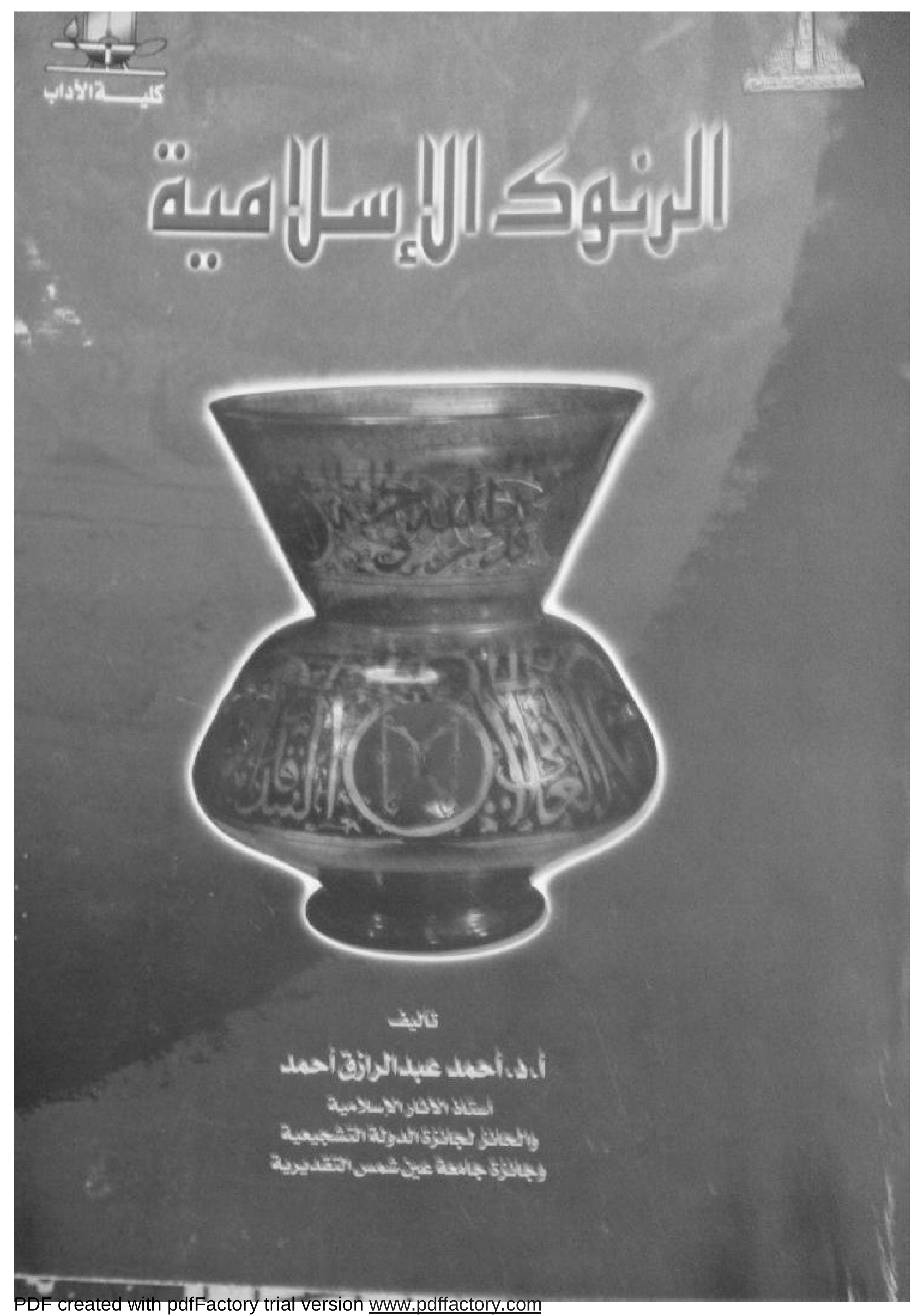
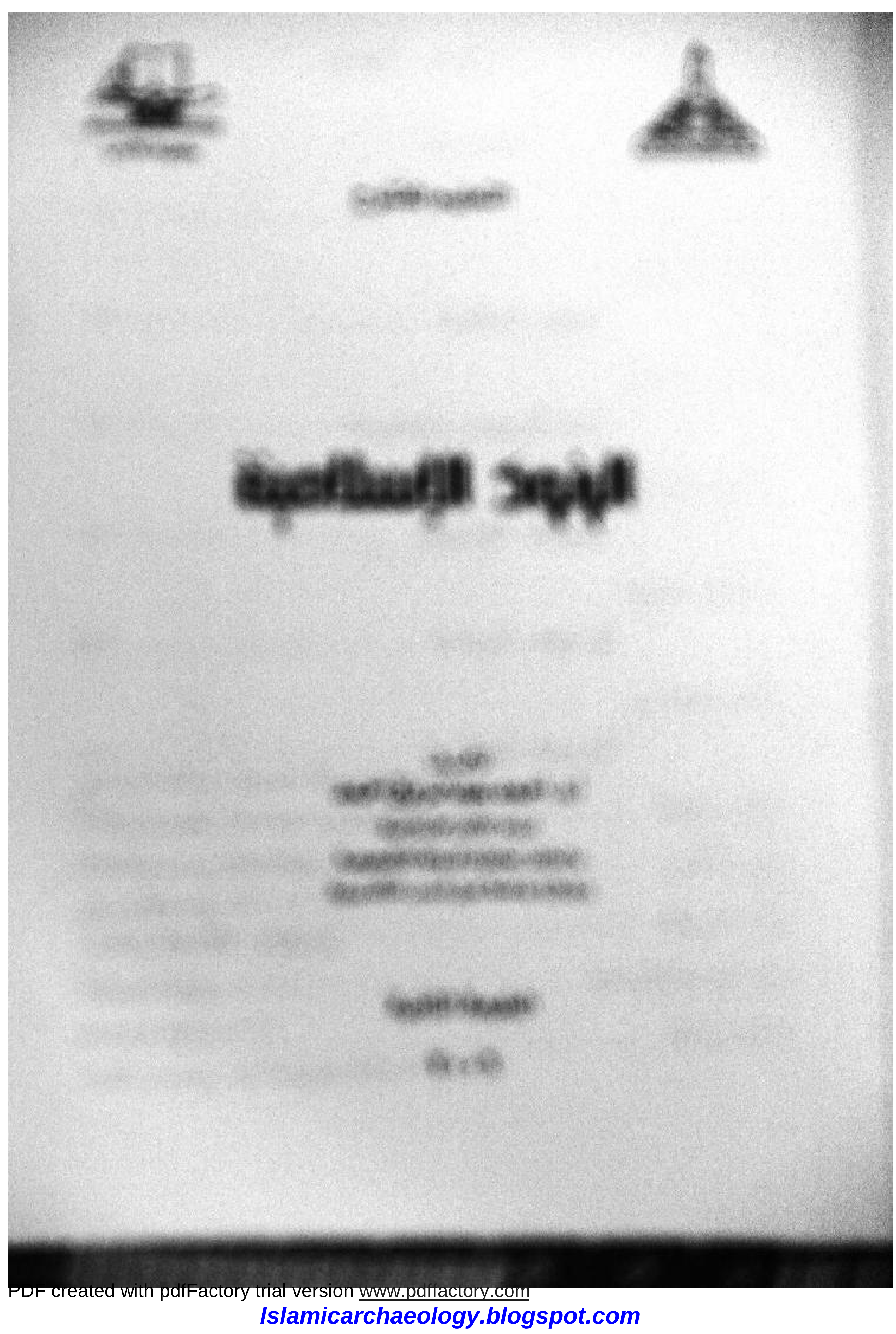
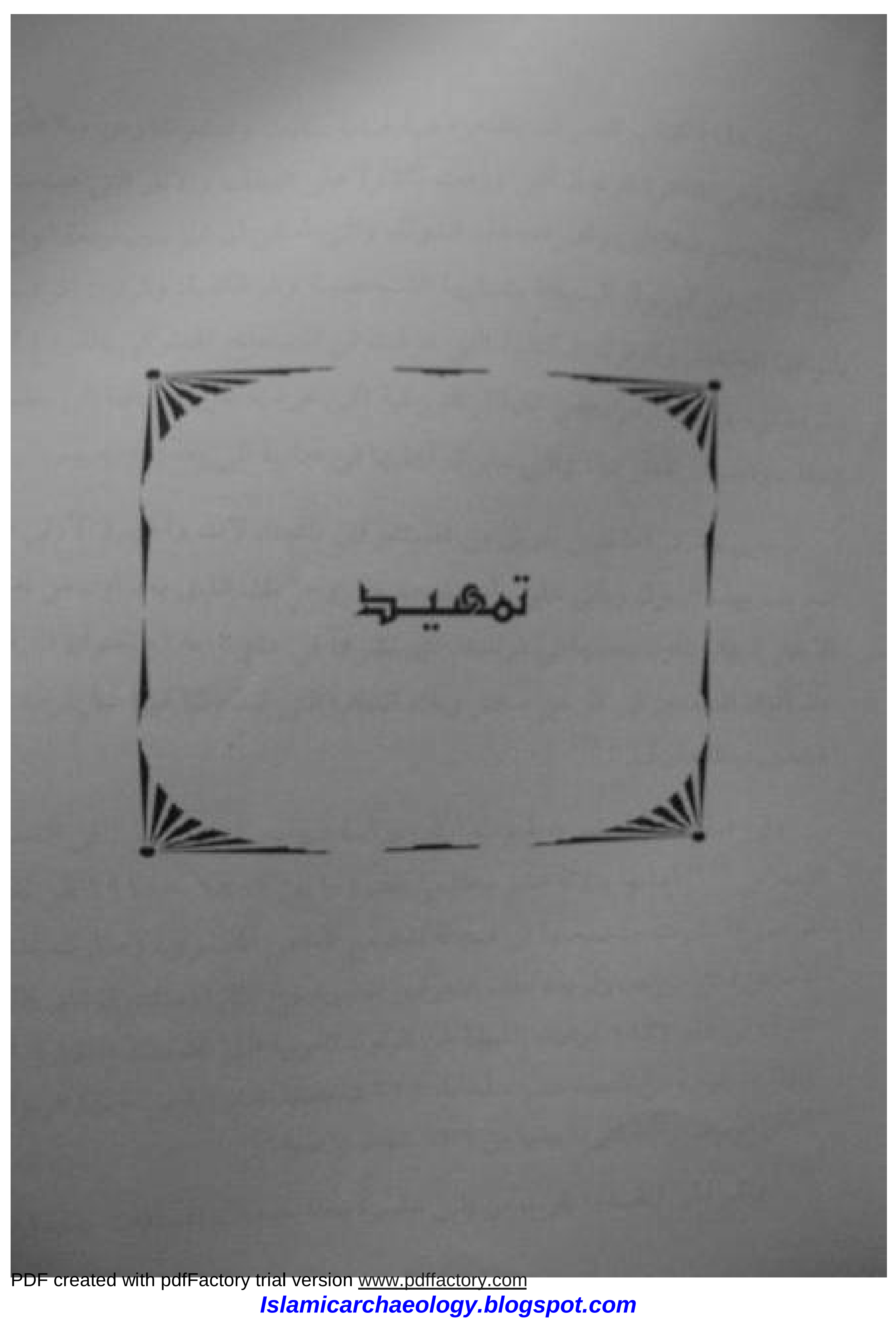

كلية الآداب
الزنوك الإسلامية
تأليف
أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد
أستاذ الآثار الإسلامية
والحائز لجائزة الدولة التشجيعية
وجائزة جامعة عين شمس التقديرية



محتويات الكتاب


تمھید

تمهيـــد :

يتناول هذا الكتاب التعريف بظاهرة فنية هـامة سادت وانتشرت زمن سلاطين المماليك، وهى ظاهرة الرنوك التى وردت بكثرة على التحف والآثار التى صنعت وشيدت برسم سلاطين وأمراء، هذه الدولة، والتى أمكن أن نميز بين أربعة أنواع منها، تمثلت فى الرنوك البسيطة بشقيها الشخصية والوظائفية، والرنوك المركبة بأنواعها المختلفة، والرنوك الكتابية التى عرفت فى المصطلح المملوكى بالدروع أو الخراطيش، والتمغا رمز بعض القبائل التركية التى عرفت طريقها أيضا إلى بعض التحف والعمائر المملوكية، والتى مايزال أغلبها فى حاجة الى بحث وتمحيص.

وجدير بالذكر أننا ندين لفريق من المستشرقين بالمحاولات والجهود الأولى فى التعريف بهذه الرنوك ويأتى على رأسهم جميعا روجرز بك الذى يعد أول من لفت الأنظار إليها وتناول بعضها فى دراسته التى نشرها فى عام ١٨٨٢م بعنوان «الرنك عند أمراء المسلمين فى كل من مصر وبلاد الشام» التى قدم لنا فيها ما يقرب من خمسين رنكا مملوكيا. (١)

وفى عام ١٩٠٢ نشر يعقوب أرتين دراسة موسعة عن الرنوك فى الشرق الإسلامى (٢)، أعقبها بثلاثة عشر بحثا فى الفترة ما بين ١٨٨٦ - ١٩١٠ عن نفس الموضوع، نشرت جميعها فى مجلة المجمع العلمى المصرى، وصارت بمثابة الأساس لكل من حاول بعد ذلك التعرض للموضوع مثل المستشرق ماير الذى قدم لنا فى عام ١٩٣٣ دراسته الشيقة عن الرنوك العربية التى تضمنت الاشارة الى رنوك ما يقرب من تسعة عشر سلطانا، ٢٢٥ شخصية مملوكية من حملة الرنوك، أمكن التعرف والتحقق تاريخيا من ١٣٦ شخصية منها (٣).

ونشر ماير أيضا ما يقرب من إثنى عشرة بحثا تضمنت إضافات جديدة فى

مجال فن الرنوك، وذلك فى الفترة الممتدة فيما بين ١٩٢٥ - ١٩٤٠ (٤).

وفى عام ١٩٤١ نشر المرحوم محمد مصطفى أول بحث باللغة العربية بعنوان «الرنوك المملوكية» لخص لنا فيه ما جاء فى دراسات ماير عن هذا الموضوع (٥)، كما نشر فى نفس العام المرحوم جمال محرز بحثا آخر بنفس العنوان اعتمد فيه أيضا على أبحاث ماير ولم يتضمن آية اضافات جديدة (٦).

وفى عام ١٩٦٠ خصص إبراهيم طرخان أربعة عشر صفحة من كتابه عن المماليك الجراكسة لموضوع الرنوك، لم تضف بدورها جديدا الى الموضوع (٧).

وهناك أيضا الدراسة الممتعة التى نشرها فى عام ١٩٦٤ بول بالوج عن الرنوك المنقوشة على عملة ما يقرب من ستة وعشرين سلطانا مملوكيا، ضمن موسوعته عن العملة المملوكية (٨)، وكذا البحث الذى نشره فى عام ١٩٧٠ المستشرق الأمريكى ألان عن نفس الموضوع (٩).

ويجب الا ننسى كذلك جهود المستشرق الألمانى ميشيل ماينكه الذى نشر عدة بحوث عن الرنوك المملوكية وتطورها (١٠).

وفى عام ١٩٧٤ نشر أحمد عبدالرازق أحمد مقالا بالعربية عن الرنوك المملوكية، صحح فيه بعض الأخطاء التى وقع فيها بعض المستشرقين بصدد بداية تاريخ ظهور الرنوك المركبة وذلك من خلال دراسته للفخار المطلى زمن سلاطين المماليك (١١)، كما ألقى فى عام ١٩٨٦ بحثا فى ندوة حطين عن رنك النسر المنقوش فى قلعة الجبل بالقاهرة وأكد على خطأ نسبته الى الناصر صلاح الدين الأيوبى (١٢).

من هذا العرض الموجز يتضح لنا بجلاء مدى النقص الذى عانت منه المكتبة العربية فى مجال الرنوك، لذا اخذنا على عاتقنا محاولة القيام بسد هذا النقص من

خلال دراسة مفصلة متعمقة نقدمها الى القارئ العربى فى كل مكان تهتم بالدرجة الأولى بإبراز أنواع الرنوك المختلفة المنقوشة على التحف والآثار الإسلامية ومدى تطورها إبان العصر المملوكى فى كل من مصر وبلاد الشام، وكذا الدور الذى لعبته على العملة المملوكية فى إطار تاريخى أثرى متكامل تأكيدا على مدى أهمية الدور الذى لعبته الرنوك فى الحياة الخاصة والوظائفية لأفراد هذه الأسرة العسكرية.

وقد تناولنا الموضوع من خلال تمهيد وخمسة فصول، تضمن كل منها موضوعا منفردا، اشتمل الفصل الأول منها على عرض تاريخى لبداية ظهور المماليك على مسرح الأحداث التاريخية والسياسية فى مصر الإسلامية، وإكثار السلطان الصالح أيوب من شرائهم وسيطرتهم فى النهاية على شئون الحكم وتأسيسهم دولة مستقلة.

وخصصنا الفصل الثانى لنشأة الرنوك وتطورها من خلال الحديث عن مراحل التدرج فى الوظائف العسكرية ودور كل من العصبية والقرابة والزمالة والفروسية وإجادة فنون القتال وقواعد الترقية، ومراتب الإمارة المختلفة كأمراء المئين، وأمراء الطبلخانات، وأمراء العشراوات، وأمراء الخمسات، والوظائف المخصصة لكل رتبة، وظاهرة الرنوك أو الشعارات الدالة عليها، وأشكالها، وألوانها، وبداية ظهورها وأنواعها.

واستعرضنا فى الفصل الثالث موضوع الرنوك البسيطة بشقيها من رنوك شخصية كالسبع والنسر وزهر اللوتس أو الفرنسية والوريدة، والرنوك الوظائفية كالكأس والدواة، والسيف، والقوس، والبقجة، والخونجة، والجوكان أو عصوان البولو، والشطب أو البريدى، والبقل أو الخصان، وحدوة الفرس، والعلم والطبلة والمنصى، والبوق، والدبوس، والنعل، ورقعة الشطرنج، والبهدف، ورنك أمير شكار، والصليب.

وتضمن الفصل الرابع عرضا لموضوع الرنوك المركبة وبداية ظهورها وعدد عناصرها ووظائفها والغرض منها وطرزها الستة التى تفرعت منها بقية الرنوك المركبة، وشعار المماليك الظاهرية برقوق، والمؤيدية شيخ، والأشرفية برسباى، والظاهرية جقمق، والأشرفية إينال، والأشرفية قايتباى الذى استمر حتى نهاية العصر المملوكى.

وخصصنا الفصل الخامس والأخير للحديث عن الرنوك الكتابية التى شاعت فى المجتمع المملوكى منذ عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون واستمرت الى أيام السلطان قانصوه الغورى وبينا مدى حرص سلاطين المماليك على حمل هذا النوع من الشعارات وضربه على ممتلكاتهم الشخصية وأبنيتهم المعمارية، والطرز المختلفة التى وصلتنا من الرنوك الكتابية، وكيف كانت حكرا على السلاطين وحدهم من دون الأمراء.

وزودنا هذه الدراسة بالعديد من الأشكال والرسوم التوضيحية لجميع أنواع وأشكال هذه الرنوك، وبمجموعة من الصور الفتوغرافية لبعض التحف المملوكية التى نقشت عليها هذه الشعارات بأنواعها المختلفة. كما ذيلنا الدراسة بثبت تضمن أهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى اعتمدنا عليها فى إعداد هذا الكتاب. فعسى أن نكون قد وفقنا فى إلقاء الضوء على الموضوع وإنارة بعض جوانبه والله الموفق.

أحمد عبدالرازق أحمد

المعادى يناير ٢٠٠١

حواشي التمهيد

١ - E.T Rogers, Le Blason chez les princes musulmans de l'Egypte et de la Syrie, BIE, 2e série, no. I, Le Caire, 1882.

٢ - Y. Artin, Contribution à l'étude de blason en Orient, London, 1902.

٣ - L.A. Mayer, Saracenic Heraldry, A Survey, Oxford, 1933.

٤ - عن هذه الدراسات راجع: K.A.C. Creswell, A Bilbliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam, Cairo, 1961, Columns 863-868; "Heraldry"; Supplement, Cairo, 1973, Columns 264.

٥ - محمد مصطفى، الرنوك المملوكية، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠، سنة ١٩٤١.

٦ - جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، المجلد ٩٨، مايو ١٩٤١.

٧ - إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٦٠، ص ٣٢٥ - ٣٣٩.

٨ - P. Balog, The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964.

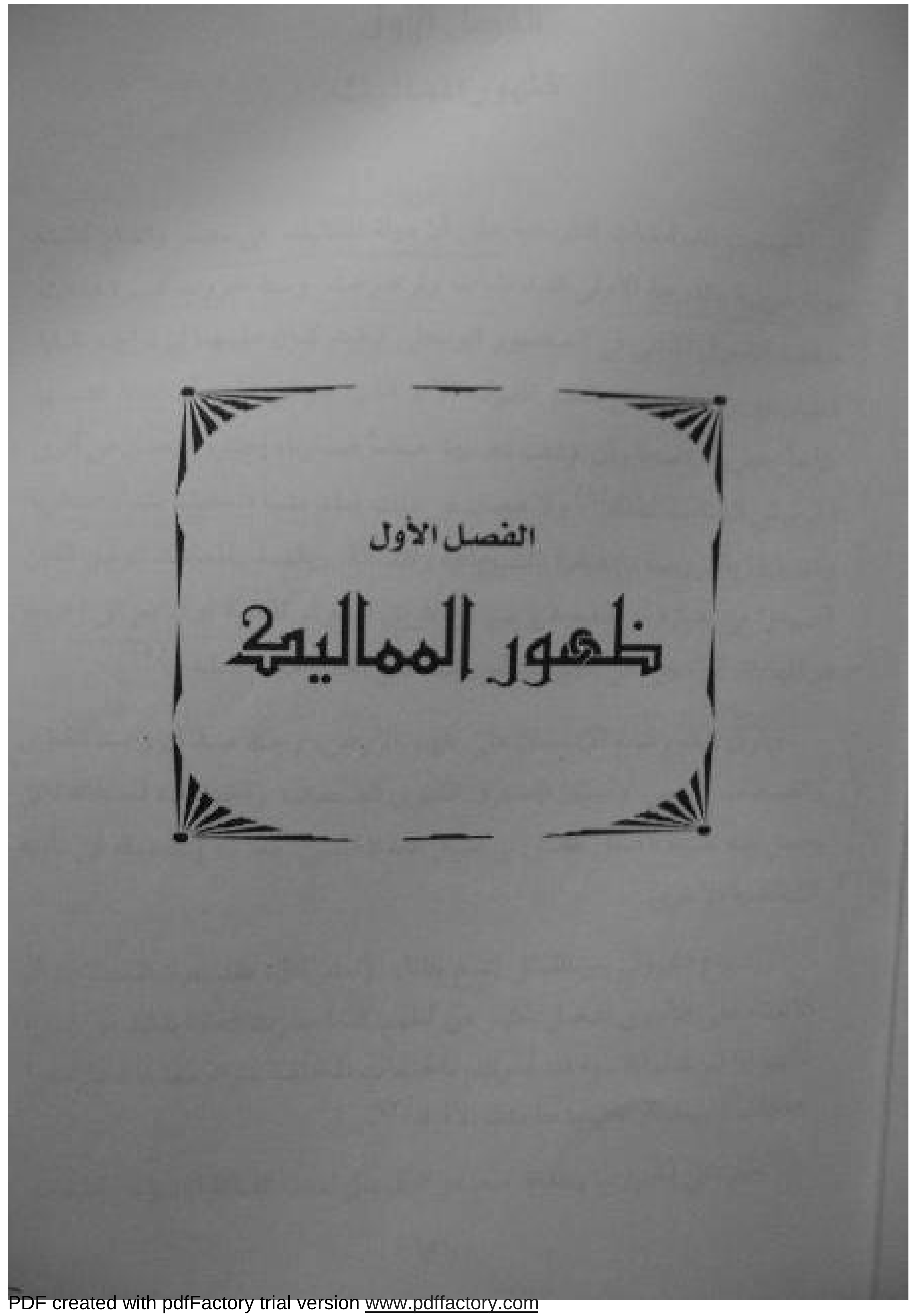
٩ - J. W. Allan, Mamluk Sultanic Heraldry and the Numismatic Evidence: A Reinterpretation, JRAS, 1970.

١٠ - M. Meinecke, Zur mamlukischen Heraldik, Mitteilungen des Deutschen Archaologishen Instituts Abteilung, Kairo XXVIII/2, 1972; Die Bedeutung der mamlukischen Heraldik Fur die

Kunstgeschichte, XVIII Deutscher Orientalistentag-Vortrage und Referate, Wiesbaden, 1974.

١١ ـ أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى والعشرون، ١٩٧٤.

١٢ ـ أحمد عبدالرازق أحمد، أضواء جديدة على رنك النسر وعلاقته بصلاح الدين الأيوبى، ندوة حطين، القاهرة ١٩٨٦.


الفصل الأول
ظهور المماليك

الفصل الأول
ظهور المماليك

أجمعت الدراسات التاريخية على أن دولة المماليك في مصر والشام كانت دولة حربية بالدرجة الأولى فقد نشأت وترعرعت وسط حروب كثيرة هددت منطقة الشرق الأدنى في العصور الوسطى فقد كان عليها أن تواجه بقايا الصليبين، وان تتصدى لخطر المغول، الأمر الذى فرض عليها أن تتخذ لنفسها طابعاً حربياً واضحا وأن تؤلف لنفسها جيشاً ضاريا، إعتبره البعض من أقوى الجيوش العالمية آنذاك[1] ولا عجب في ذلك فقد نشا المماليك نشأة عسكرية واشتهروا بالفروسية وإتصفوا بالشجاعة والبسالة. ويقصد بالمماليك الرقيق الذين أصبحوا في حيازة أو ملكية غيرهم عن طريق البيع أو المبادلة أو الاسر في الحرب أو المهادات، أو كجزء من الضريبة المفروضة على أحد الحكام التابعين[2].

والرق قديم قدم الإنسان على ظهر الأرض، وجد منذ أن وجد القوى والضعيف من بنى الإنسان فإسترق القوى الضعيف وأخضعه لسلطانه لكى يحمل عنه عبء العمل المضنى في سبيل قمة العيش، كما أنه إستعمله في مآربه الشخصية الأخرى.

وباتساع الحروب بين القبائل إتسع نطاق الإسترقاق، فقد أدرك المتصرون أن الإبقاء على الأسرى أفضل بكثير من قتلهم كما جرت العادة بذلك من قبل، لأنهم إذا لم يقتلوا قاموا عند آسريهم بالخدمات المختلفة سواء منها ما استلزمتها حاجات القبيلة، أو تطلبتها حاجات الأفراد[3].

ولم تكن الحروب وحدها مصدر الرق بل كانت الفاقة أيضاً من أسباب

الإسترقاق، فقد دفعت الفقراء من الناس فى بعض البلاد إلى بيع أولادهم(٤) وإلى بيع أنفسهم فى بعض الأحيان تخلصاً من الفقر وضماناً للحصول على لقمة العيش التى تقيم أودهم.

وعندما جاء الإسلام كان الرق موجوداً وشائعاً بين الأمم غربيها وشرقيها، لا يرى الناس فيه بأساً ولا يستشعرون نحوه ألماً، بل كان منهم من عده نظاماً طبيعياً وضرورياً للمجتمع، لذلك لم يجد الإسلام من الحكمة أن يلغى هذا النظام الذى ألفته البشرية أجيالا طويلة وإعتاده الناس فى حياتهم حتى امتزج بطباعهم ورسخ فى نفوسهم فلم يحرمه صراحة ولم ينه عنه فى وضوح، لأنه أدرك بطبيعة النفس الإنسانية التى لا تستجيب إلى النهى فى يسر وسهولة، ولاسيما إذا كان النهى أمراً متصلاً بنظام درجت عليه، ووجدته ضرورياً لها فى الحياة. لذا عمل الإسلام على أن ينفذ فى رفق إلى أعماق النفس البشرية محاولاً أن ينتزع منها جذور هذا الداء فبدأ بالحرب التى كانت أكبر مصادر الرقيق وخير الناس إذا ما وقع لهم عدد من الأسرى، بين أن يمنوا عليهم بالحرية أو أن يقبلوا فيهم الفدية. وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل العملى لذلك عندما إشترط على أسرى موقعة بدر أن يشترى الأسير منهم حريته إذا ما قام بتعليم القراءة والكتابة لعشرة من أبناء المسلمين بالمدينة(٥).

وجعل الإسلام إيضا عتق الرقيق كفارة عن القتل الخطأ، وكفارة عن الحنث فى اليمين، وكفارة عن الإفطار عمداً فى شهر رمضان. وهذه الأخطاء جميعاً كثيرا ما يتورط فيها الإنسان. والحق أن جعل عتق الأرقاء كفارة من شأنه أن يزيد من الأحرار ويقلل من الأرقاء ويرد إلى الإنسان كرامته كإنسان(٦).

كذلك أجاز الإسلام للأرقاء أن يشتروا حرياتهم من سادتهم نظير قدر من المال يدفعونه لهم، ومن هنا كانت بعض الدول الإسلامية فى العصور الوسطى

ترصد فى ميزانيتها جانباً من مال الزكاة لمساعدة الرقيق على إسترداد حرياتهم[٧].

يضاف إلى هذا أن الإسلام قد حث على رعاية الرقيق، وأوجب الرسول الكريم حسن معاملتهم إذا يقول: إتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفونهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا، وما كرهتم فبيعوا، فإن الله ملككم إياهم. ولو شاء لملكهم إياكم. كما يسر الإسلام على السادة عتق رقيقهم تيسيراً ليس بعده فى الواقع زيادة لمزيد، إذ يكفى للعتق أن ينطق به السيد ولو كان مازحاً أو مكرها أو مخموراً[٨].

وهكذا حاول الإسلام أن يقضى على الرق ويكره الناس فيه وفى تجارة الرقيق، إذ يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «شر الناس من باع الناس» وعمل على أن يقلل من مساوئه ما إستطاع إلى ذلك سبيلاً.

ومع ذلك فقد ظل نظام الإسترقاق موجوداً بين الناس ينعم بعضهم بإسترقاق بعض، وكان الخلفاء العباسيون هم أول من إستخدم المماليك من الرقيق الأبيض وبذلوا الأموال فى شرائهم[٩]، ويعد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) أول من إستكثر من شراء المماليك من وسط آسيا وتغالى فى شرائهم[١٠]، وإقتدى به ابنه الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٣م) الذى إستخدم فرقاً من الإتراك[١١] بتأثير أمه التركية[١٢] وبسبب قلة ثقته بالعرب الذى أسقط حقهم من ديوان الجند(١٣). ولم يلبث أن شاع إستخدام المماليك فى كثير من أرجاء الدولة الإسلامية، وأدى ضعف الدولة العباسية من جهة، ورغبة حكام الولايات فى الإستقلال من جهة أخرى إلى اعتمادهم على ما يشترونه من مماليك فى تأليف جيوش يحققون بها مطامعهم[١٤].

وتعد مصر مثالا بارزاً لولايات الدولة العباسية التى أخذت بمبدأ إستخدام

المماليك، فقد أكثر أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م) من شراء مماليك من الديالمة من سكان جنوب بحر قزوين، بلغت عدتهم أكثر من أربعة وعشرون ألف غلام من الأتراك، وأربعين ألفا من السود، وسبعة آلاف من الأحرار المرتزقة [١٥]، استعان بهم في تدعيم سلطانه وفي القضاء على كل منافسيه والثائرين عليه [١٦].

ولما إنتهت الدولة الطولونية وأسس محمد بن طغج الإخشيد دولته (٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩م) إعتمد بدوره على المماليك من الأتراك والديلم بلغت عدتهم ثمانية آلاف مملوك [١٧]. وسار الفاطميون في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م) على سياسة الطولونيين والإخشيديين فإعتمدوا في أول الأمر عند تكوين جيوشهم على المغاربة من قبائل البربر [١٨] وعلى عبيد الشراء من السودانيين [١٩] من ريحانية وجيوشية وفرحية [٢٠]، ثم أضافوا إليهم عناصر أخرى اشتملت على العرب (٢١) والأرمن [٢٢] والأكراد، والديلم والروم والفرنج والصقالبة [٢٣].

ولما إنتقلت السلطة إلى الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م) أكثروا من شراء المماليك من بين الأكراد والأتراك [٢٤] حتى ضاقت بهم القاهرة على حد تعبير المؤرخ ابن اياس [٢٥] لاسيما في أيام السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٤٩م) الذى جمع من المماليك الترك ما لم يجمع غيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء العسكر مماليكه [٢٦] وشيد لهم قلعة في جزيرة الروضة في سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م، تكلف بناؤها أموالاً طائلة [٢٧]. وقد إزداد نفوذ هؤلاء المماليك الذين عرفوا بالبحرية [٢٨] - إما لسكنهم قلعة الروضة وسط النيل، أو لجلبهم عن طريق البحر صحبة تجار الرقيق - إزدياداً خطيراً بعد أن نجحوا في التصدى للخطر الصليبى الذى هدد مصر بعد أن نجح لويس التاسع ملك فرنسا في الإستيلاء على دمياط بغير قتال في سنة

٦٤٨هـ/ ١٢٤٩م[٢٩]، وزحفوا منها إلى الجنوب فى الوقت الذى مات فيه السلطان الصالح بمعسكره فى المنصورة [٣٠]، فأرسلت زوجته شجر الدر فى إستدعاء إبنه توران شاه على عجل من حصن كيفا بعد أن أخفت خبر موت السلطان، إلا أن خبر وفاته تسرب إلى لويس التاسع الذى نجح فى عبور بحر أشمون وإندفعت قواته فى إتجاه المنصورة، وإقتحمتها مقدمة الجيش الصليبى بقيادة روبرت دى أرتوا أخو لويس التاسع [٣١]، عندئذ ظهر المماليك البحرية على مسرح الأحداث فتركوا الصليبين يدخلون المدينة وخرجوا عليهم فى الشوارع والحارات والدروب وأمعنوا فى قتالهم، فوقع الإضطراب بين الصليبيين ولم يفلت من القتل إلا من ألقى بنفسه فى النيل فمات غرقاً أو كان يقاتل فى أطراف المدينة[٣٢]. وبذلك إستطاع المماليك أن يحولوا إنتصار الصليبين إلى هزيمة وأن يبددوا مخاوف المسلمين ويحيوا فيهم روح الأمل والمقاومة، فلم يتركوا الصليبين يعودون إلى دمياط سالمين بعد أن قرروا الإنسحاب. بل طاردوهم حتى أنزلوا بهم هزيمة كبرى عند فارسكور، ووقع الجيش الصليبى بأكمله تقريباً بين أسرى وقتلى، وكان من جملة الأسرى لويس التاسع نفسه الذى سيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة حيث نزل فى دار قاضيها ابن لقمان [٣٣]، حتى تم إطلاق سراحه.

فى تلك الأثناء وصل المعظم توران شاه إلى مصر فسلمته أرملة أبيه، شجر الدر مقاليد الحكم بعد أن ظلت ما يقرب من العام تدير شئون البلاد بكفاءة عظيمة، إلا أن توران شاه لم يكن رجل الساعة فقد جمع بين سوء الخلق والجهل بشئون الحكم والسياسة [٣٤] فإتهم أرملة أبيه شجر الدر بأنها أخفت ثروة أبيه [٣٥]، وتمادى فى الإساءة إلى مماليك أبيه، فإعتقل كثيراً منهم، ووزع وظائفهم وضيق عليهم للغاية مما جعلهم يفكرون فى التخلص منه، لاسيما بعد أن شاهده بعضهم ذات ليلة مخموراً يضرب شموع مائدة الطعام بالسيف واحدة بعد أخرى حتى تنقطع وهو يردد «هكذا أفعل بالبحرية»[٣٦].

لذلك إستقر رأى المماليك على التخلص منه بالقتل وإستحثهم على ذلك زوجة أبيه شجر الدر التى باتت هى الأخرى تخشى على نفسها من غدره، لذا أرسلت إلى البحرية تقول «أقتلوا توران شاه وعلى رضاكم »[٣٧]، فإنتهزوا فرصة إقامة توران شاه لسماط بمدينة فارسكور إحتفالاً بتخليص الأراضى المصرية من الصليبين فبادر مجموعة من المماليك على رأسهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى، وأقطاى الجمدار بالسيوف فقطع بيبرس ذراعه فهرب توران شاه إلى برج خشبى وأغلق أبوابه، فأشعل المماليك النيران حول البرج ورموه بالنشاب، فرمى توران شاه نفسه فى النيل فأسرع المماليك إلى مطاردته ولحقوا به، وظلوا يضربونه بالسيوف حتى مات جريحا غريقا محترقا [٣٨] بعد أن حكم واحدا وستين يوما.

ووقع الإختيار بعد مقتل توران شاه على شجر الدر لتشغل منصب السلطنة، لاسيما وقد كانت فى الأصل جاريه تركية الجنس، وقيل بل أرمينيه، أعتقها السلطان الصالح وتزوجها، لذلك فهى تعد من ناحية الأصل والنشأة أقرب إلى المماليك ومن ثم فقد إعتبرها المقريزى أولى سلاطين المماليك فى مصر، وأول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك [٣٩].

غير أن المسلمين لم يألفوا أن يتولى أمرهم إمرأة، فضلا عن حرص الأيوبيين، على عدم ترك مصر تفلت من أيديهم، فأقام المماليك أتابك العسكر، أيبك التركمانى فى منصب السلطنة لما إشتهر به بينهم من التدين والكرم وجودة الرأى بعد أن تزوج من شجر الدر [٤٠] ولإعتقادهم بأنه سهل ومتى أرادوا صرفه تمكنوا من ذلك لعدم شوكته [٤١].

عندئذ تحرك الأيوبيون لإستعادة مصر وإستولى الناصر صلاح الدين صاحب حلب وأقوى أمراء بنى أيوب، على دمشق وعزم على أن يزحف منها إلى الأراضى المصرية، فأسرع المماليك إلى تولية أميرا أيوبيا فى السادسة من عمره هو

الأشرف موسى، حفيد السلطان الكامل ليكون، شريكا للسلطان المعز أيبك في السلطنة [٤٢]، وليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله، وصارت المراسيم والمناشير تخرج عن السلطانين الأشرف موسى والمعز أيبك مع أن الأول لم يكن له سوى الاسم فقط، وجميع الأمور بيد المعز أيبك [٤٣] الذي رأى في إشتراك ذلك الصبي معه في السلطنة وسيلة لتخدير بني أيوب في الشام ولكن ثورتهم [٤٤].

بيد أن أفراد البيت الأيوبي لم تنطلي عليهم حيلة المعز أيبك وقرر الناصر صلاح الدين صاحب حلب ودمشق الزحف على الأراضي المصرية للقضاء على المماليك مما إضطر المعز أيبك إلى القبض على بعض أمراء المماليك المعروفين بميولهم للأيوبيين وأعلن في القاهرة أن البلاد للخليفة المستعصم العباسي وأنه نائبه فيها [٤٥] وأسرع بالخروج مع المماليك البحرية لملاقاة الأيوبيين فحلت الهزيمة على رجاله، وطارت الأخبار إلى القاهرة بإنتصار الناصر فأعد الناس أنفسهم لإستقباله والترحيب به، إلا أن إنتصار أيبك ورجاله عند العباسة سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م دفعت بالناصر الأيوبي إلى الفرار إلى الشام وعاد المماليك ظافرين ومعهم العديد من الأسرى الأيوبيين إلى القاهرة [٤٦].

وتبع هذا الإنتصار قيام المعز أيبك بإرسال جيش لإسترجاع غزة وفلسطين وخلع الأشرف موسى من السلطنة وبعث به إلى القسطنطينية في سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، غير أن الخليفة المستعصم العباسي تدخل للإصلاح بين الفريقين المتحاربين في الشام ومصر بعد أن أحس بخطر التتار الذين إقتربوا بزعامة هولاكو من العراق، فعقدت إتفاقية بين الطرفين على أن تبسط مصر سلطانها على ما يقع غرب نهر الأردن من أراضي فلسطين بما في ذلك بيت المقدس والساحل. وتحددت هذه المعاهدة في سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وطرد الناصر الأيوبي المماليك الذين لجأوا إليه فراراً من أيبك فأمن بذلك جانب الأيوبيين في الشام [٤٧].

بيد أن الأمور لم تهدأ للمعز أيبك داخل البلاد بسبب ثورة الأعراب الذين إحتقروا المماليك لأصلهم غير الحر فنادوا بأنهم «أحق بالملك من المماليك وقد كفى أننا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد (٤٨)»، وإختاروا شخصا زعموا أنه من ذرية على بن أبى طالب يدعى حصن الدين بن ثعلب ليكون زعيماً لحركتهم فإستعان المعز أيبك بالمماليك البحرية وزعيمهم أقطاى فى القضاء على ثورة الأعراب وقبض على حصن الدين وقتل كثيراً من أتباعه (٤٩).

الأمر الذى أفضى بدوره إلى إزدياد نفوذ البحرية وأقطاى وأصبح لا مفر من وقوع صدام بينهم وبين أيبك، بعد أن بالغ أقطاى فى إحتقار السلطان أيبك وإنتحل لنفسه فى مواكبه ومجالسه بعض شعائر السلطنة، ولقبه أصحابه بالملك الجواد(٥٠). لذلك لم يعد أمام أيبك سوى التخلص من أقطاى بالقتل فإستدعاه إلى القلعة بحجة استشارته فى بعض أموره، وهناك هاجمه بعض رجال أيبك وضربوه بالسيوف حتى مات (٥١) فى شعبان سنة ٦٥٢هـ/ سبتمبر ١٢٥٤م مما دفع بأنصاره من المماليك إلى حرق باب القراطين، أحد أبواب السور الشرقى لمدينة القاهرة وخرجوا منه بعد أن نمى إلى علمهم مقتل أقطاى، ومن وقتها عرف هذا الباب بالباب المحروق (٥٢). ولجأ هؤلاء المماليك من أنصار أقطاى إلى أمراء الأيوبيين ببلاد الشام وكان من بينهم كل من بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى، وخلا الجو لأيبك الذى أخذ يفكر جدياً فى الزواج من شجر الدر التى كانت قد أرغمته على التخلص من زوجته الأولى أم ولده على، وأرسل بالفعل يطلب يد ابنة الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل، مما اشعل نار الغيرة فى قلب شجر الدر فأعدت له خمسة من غلمانها الأشداء فدخلوا عليه الحمام وقتلوه خنقاً أو ضربا بالقباقيب فى ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ/ مارس ١٢٥٧م (٥٣) لتئول السلطة من بعده إلى ابنه على الذى كان يبلغ من العمر أحد عشرة سنة. فبدأ عهده بالإنتقام من زوجة أبيه وسلمها إلى أمه التى عهدت بها إلى جواريها فقمن بضربها

بالقباقيب إلى أن ماتت وألقيت من سور القلعة إلى الخندق وبقيت فيه أياماً إلى أن دفنت فى قبتها التى تقوم بالقرب من مشهد السيدة نفيسة. وهكذا إنتهت حياة كل من المعز أيبك وشجر الدر جميعاً(٥٤).

وفى عهد المنصور على إضطربت الأحوال فى مصر بعد أن نجح هولاكو فى الإستيلاء على بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(٥٥)، وواصل زحفه إلى حلب وأخذ يهدد بغزو مصر فإنتهز قطز الفرصة وأقصى المنصور على من السلطنة بحجة صغر سنه وإعتقله فى قلعة الجبل ونصب نفسه سلطاناً فى سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، ورحب بعودة المماليك البحرية الذين سبق لهم الفرار إلى بلاد الشام اثر مقتل أقطاى وإصطحبهم معه للقاء المغول والحق بهم هزيمة ساحقة فى عين جالوت فى أواخر شعبان سنة ٦٥٨هـ/ سبتمبر ١٢٦٠م(٥٦).

بيد أنه لم ينعم طويلا بهذا النصر الذى تغنى به الشعراء فى كل مكان فقد تآمر عليه جماعة من المماليك البحرية بزعامة بيبرس البندقدارى الذى تقدم إليه ليقبل يده بعد أن أنعم عليه بإمرأة من سبى المغول، فقبض عليها وإنتهز الأمير الفرصة وضرب قطز بالسيف وتابع الباقون ورشقوه بالنشاب حتى قضى نحبه فى أواخر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م(٥٧)، وبقى ملقى على الأرض حتى تم دفنه فى القصير إحدى قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية(٥٨)، وآلت السلطنة بعده إلى بيبرس بموافقة تامة من الأمراء الذين أقسموا له يمين الطاعة والولاء، وبدخول الظاهر بيبرس قلعة الجبل بدأت صفحة جديدة فى تاريخ دولة المماليك، ذلك أن السلطان بيبرس أثبت بأعماله وإصلاحاته وحروبه أنه المؤسس الحقيقى لدولة المماليك، وحسبنا دليلاً على ذلك أنه بقى فى الحكم سبعة عشر عاما حتى وفاته فى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، كان خلالها دائم التنقل فى جميع أنحاء الدولة، يبنى الحصون، ويشق الطرق، ويمد الجسور، ويحفر القنوات، ويتفقد الجيش والأسطول، وينظم الإقطاعات، وحسبه فخراً أنه نجح فى تحقيق حلم أحمد بن

طولون فى جعل مصر عاصمة الخلافة العباسية(٥٩). ففى عهده أقيمت الخلافة العباسية فى القاهرة عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م بعد أن زالت من بغداد فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م (٦٠) وبإحيائها إكتسبت سلطة المماليك صفة شرعية بفضل التقليد الذى كان يمنحه الخليفة للسلطان الذى أمن بذلك جانب أعدائه ومنافسيه فى الداخل والخارج (٦١).

خلاصة القول: أن دولة المماليك صارت دائما للأقوى فقد نشأت وترعرت فى جو مشحون بالأخطار الخارجية والداخلية، الأمر الذى تطلب ضرورة وجود جيش قوى يثبت أقدامها ويساعدها على التصدى لجميع الأخطار التى واجهتها فى الداخل والخارج على حد سواء.

حواشي الفصل الأول

١ - D. Ayalon, L'esclavage mamelouk, Oriental Notes and Studies, Jerusalem. 1951, p. 26.

٢ - حسن إبراهيم وعلى إبراهيم، النظم الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢، ص ٣٦١-٣٦٢.

٣ - محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، أعلام العرب رقم (٢٨)، القاهرة ١٩٦٤، ص ٦٨.

٤ - عبدالمنعم ماجد، طومان باى، آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٤.

٥ - حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسى، القاهرة ١٩٦٤، جـ١، ص ٤٩٤؛ أحمد عبدالرازق، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، العلوم العقلية، القاهرة ١٩٩١، ص ٩.

٦ - محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٧١؛ حسن إبراهيم، وعلى إبراهيم، النظم الإسلامية، ص ٣٦٢.

٧ - محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٠٦.

٨ - محمد عبدالعزيز مرزوق، الناصر محمد، ص ٧١.

٩ - المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة بيروت، جـ٣، ص ٤٦٥.

١٠ - على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ١٩٦٧، ص ٢٣؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكى فى مصر والشام،

القاهرة ١٩٦٥، ص١٠.

١١ - إبن صاعد، كتاب طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٢، ص ٨؛ القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩، جـ٤، ص ٤٣٩؛ أحمد عبدالرازق، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٧٨.

١٢ - عبدالعزيز الدورى، العصر العباسى الأول، بغداد ١٩٤٢، ص ٢٢٧.

١٣ - إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٣٠ - ١٩٧٢، جـ٢، ص ١٢٧.

١٤ - سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكى، ص ٢.

١٥ - المقريزى، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق ١٢٧٠هـ جـ١، ص ٩٤، إبن اياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، بولاق ١٣١١ هـ جـ١، ص ٣٧.

١٦ - البلوى، سيرة أحمد بن طولون، حققها وعلق عليها محمد كرد على، دمشق ١٣٥٨هـ ص ٥٣؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣١٥؛ أحمد عبدالرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٣، ص ٩١.

١٧ - إبن تغرى بردى، النجوم، جـ٣، ص ٢٥٦، ٢٥٩.

١٨ - ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة يحى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥، ص ٩٤.

١٩ - ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٤، ص ١٨١؛ عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، الإسكندرية ١٩٦٨، ص

٣٧٢-٣٧٣.

٢٠ - ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، البصرة ١٩٦٧، جـ١، المجلد الرابع، ص ٧٠.

٢١ - ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٩٤.

٢٢ - ابن واصل، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧، جـ٢، ص ٢٦.

٢٣ - القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٨؛ أحمد عبدالرازق، الحضارة الإسلامية، ص ١٨٠.

٢٥ - المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٩٤؛ محسن محمد حسين، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين الأيوبى، بيروت ١٩٨٦، ص ٩٧.

٢٥ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ص ٨٣.

٢٦ - سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكى، ص ٥.

٢٧ - السيد الباز العرينى، الأيوبيون، بيروت ١٩٦٧، ص ١٣٩.

٢٨ - المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢١٦-٢١٧؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك، ص ٢٤،.

٢٩ - ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٦، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٣٠ - المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٣٤٦.

٣١ - محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة، القاهرة ١٩٦١، ص ١٥٣-١٥٤.

٣٢ - S. Runciman, History of the Crusades, Cambridge, 1951-1954, III, pp.266-267.

٣٣ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٥٦؛ إبن تغري بردي، النجوم، جـ٦، ص ٣٦٧.

٣٤ - سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٩.

٣٥ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٦، ص ٣٥٩.

٣٦ - المقريزي، السلوك، جـ٦، ص ٣٧١.

٣٧ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٦، ص ٣٦٤.

٣٨ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٥٨-٣٦٠.

٣٩ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٦١؛ سعيد عبدالفتاح، العصر المماليكي، ص ١١.

٤٠ - المقريزي السلوك، جـ١، ص ٣٦٩؛ السيد الباز العريني، المماليك، بيروت ١٩٦٧، ص ٤٦.

٤١ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧، ص ٤.

٤٢ - S. Runcimam, History, III. p. 310.

٤٣ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧، ص ٥.

٤٤ - سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ١٦.

٤٥ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٧٠.

٤٦ - ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، القاهرة ١٣٢٥ هـ جـ٣، ص

١٨٤-١٨٥.

٤٧ - Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1936, p.259.

٤٨ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٢١١، ٣٨٦.

٤٩ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٨٦-٣٨٨.

٥٠ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧، ص ١١.

٥١ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٩٠.

٥٢ - المقريزي، الخطط، جـ١، ص ٣٨٣؛ السلوك، جـ١، ص ٣٨٩-٣٩١؛ على مبارك الخطط التوفيقية الجديدة، بولاق ١٨٨٧-١٨٨٨، جـ٢، ص ٩٧.

٥٣ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٤٠٣.

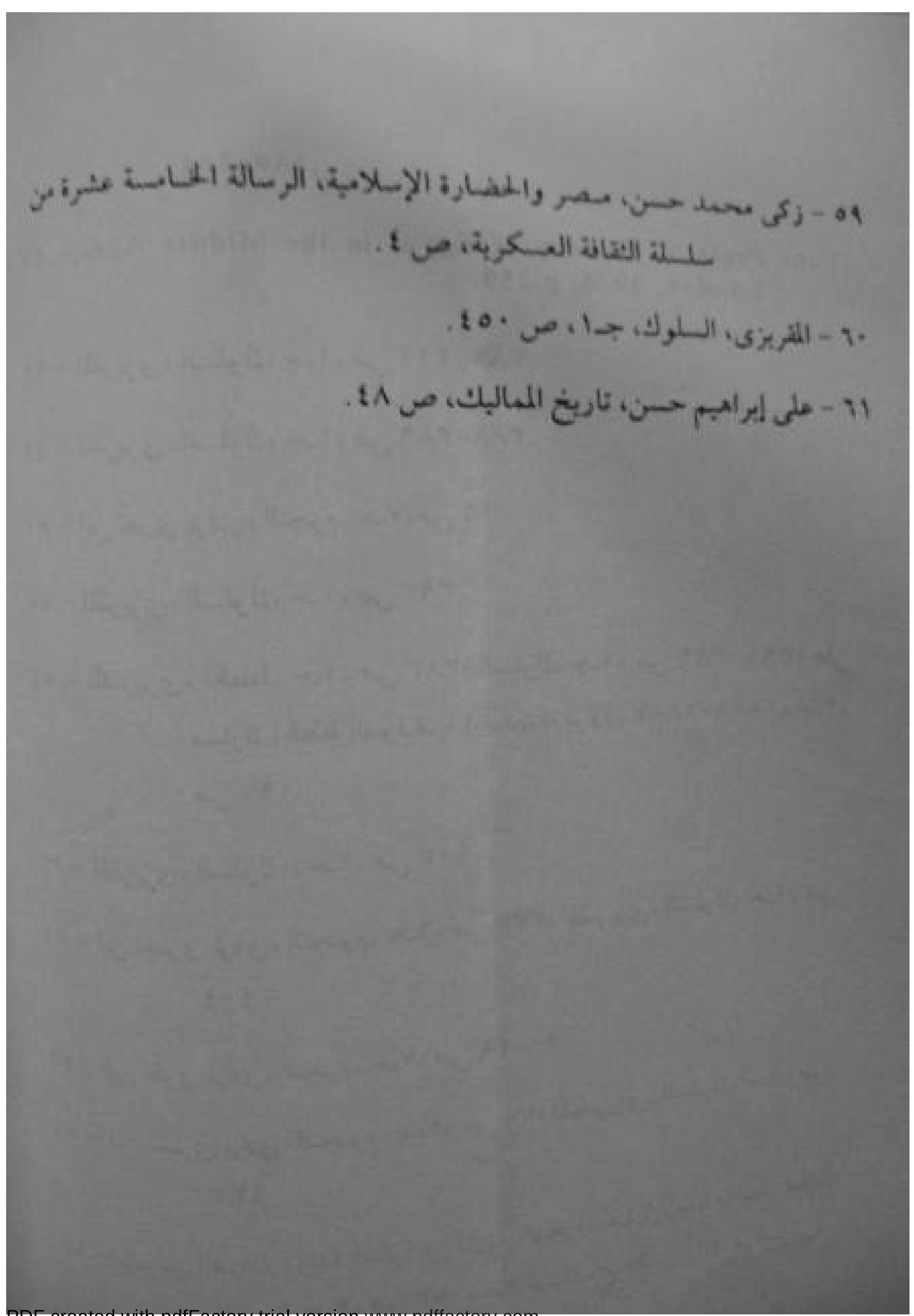
٥٤ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٦، ص ٣٧٨؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٤٠٤.

٥٥ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧، ص ٤٩-٥٠.

٥٦ - ابن تغري بردي، النجوم، جـ٧، ص ٧٨؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٤٣١.

٥٧ - بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، القاهرة، جـ٩، ص ٧٣؛ سعيد عبدالفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٣-٣٤.

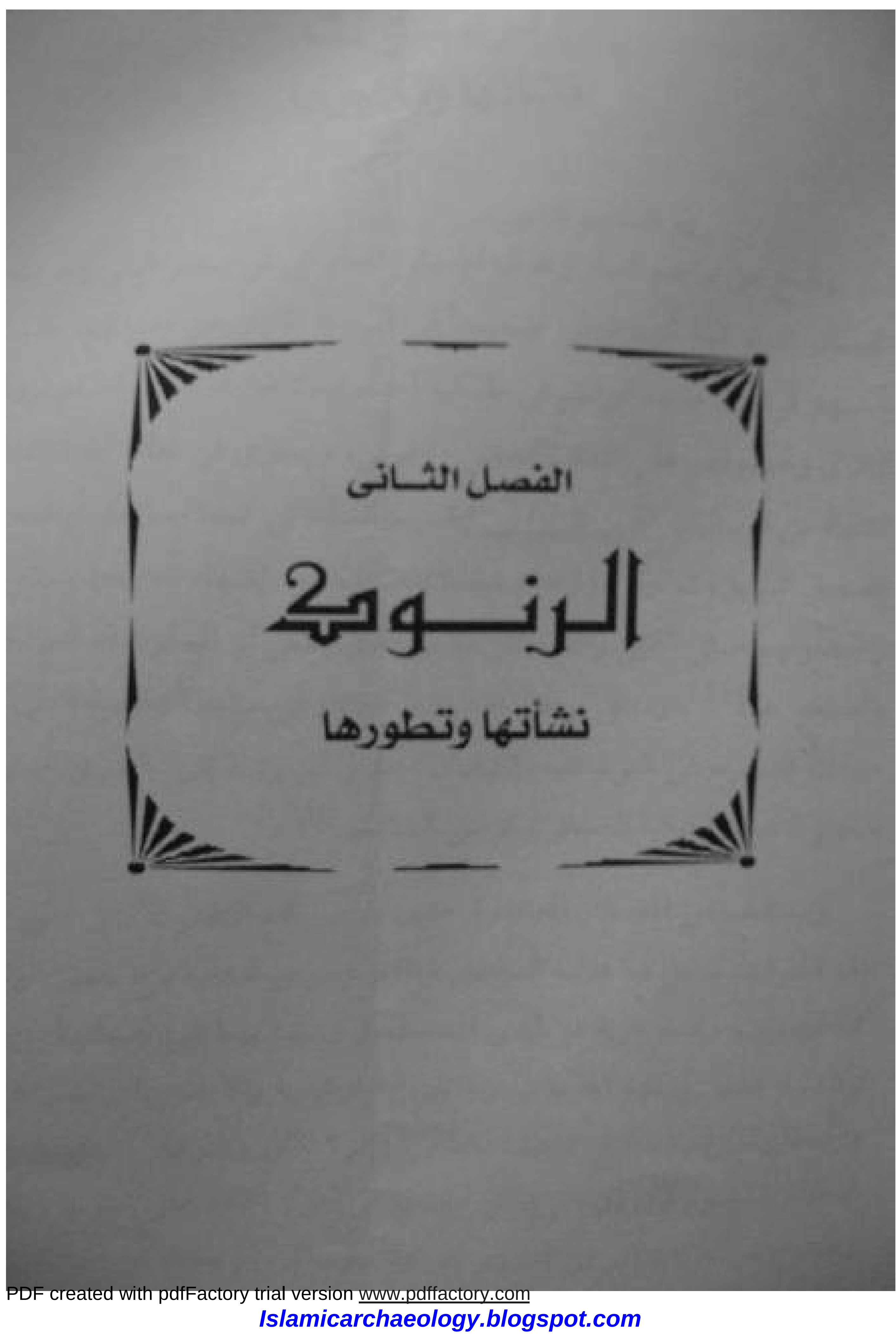
٥٨ - على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ٤٥.



٥٩ - زكى محمد حسن، مصر والحضارة الإسلامية، الرسالة الخامسة عشرة من سلسلة الثقافة العسكرية، ص ٤.

٦٠ - المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٤٥٠.

٦١ - على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك، ص ٤٨.



الفصل الثانى

الرنوك

نشأتها وتطورها

الفصل الثانى

الرنــوك
نشأتها وتطورها

يتضح من تراجم كبار رجال الجيش المملوكى فى مصر التى زخرت بها المصادر المملوكية أنهم تساووا جميعاً فى المرحلة الأولى من حياتهم، حيث تم جلبهم كرقيق، وتم دخولهم فى ملكية أحد السلاطين أو الأمراء، ثم نزوله فى الطباق وحصولهم على التعليم الدينى والحربى، ويستوى فى ذلك أيضاً تلك الفئة القليلة من المماليك الذين نشأوا فى الحريم السلطانى كما سبق أن أوضحنا فى الفصل السابق، ثم نيل هؤلاء جميعا للعتاقة بعد إنتهاء تعليمهم وتدريبهم وحصولهم على الخيل والقماش الأمر الذى يعنى أن المملوك قد أتم تعليمه وأصبح حراً (١)، ودخل مرحلة جديدة فى حياته هى مرحلة الجندية التى تبدأ بها مرحلة التدرج فى الوظائف وإنتقال الجندى من رتبة إلى أخرى حتى يبلغ المحظوظ منهم أتابكية العسكر وكرسى السلطنة.(٢)

ويستشف من المصادر المعاصرة مدى حرص السلاطين الأوائل على مراعاة هذه القواعد بدليل ما فعله السلطان الظاهر بيبرس عندما نزع بعض الوظائف كالحجوبية والداوادارية من أيدى المتعممين وعهد بها إلى جماعة من الجند والأمراء الذين رتبهم أيضاً فى وظائف الخازندارية والأخورية والسراخورية والجمدارية، وإمرة سلاح، وإمرة مجلس، وإمرة شكار وغيرها (٣). كما حرص السلطان المنصور قلاوون على تنقل الجندى فى أطوار الخدم حتى يتدرب ويتمرن، ويتدرج من ثلاثة دنانير فى الشهر إلى عشرة دنانير، ثم ينقله من الجامكية إلى

الوظيفة، ثم إلى إمرة عشرة، وإمرة طبلخاناة فإذا واتاه الحظ بلغ إمرة مائة وتقدمة ألف [٤]. وكان هذا يتوقف على عدة أشياء من بينها علاقة الجندى بالسلطان فالخاصكية وهم الصفوة المقربون إلى السلطان الذين كان يتم إختيارهم لصفات خاصة فيهم كجمال الخلقة وطول القامة، كانوا أسرع المماليك السلطانية فى الترقية بدليل أن السلطان كان إذا غضب على أحد الخاصكية ورده إلى المماليك السلطانية، كان المغضوب عليه يفعل المستحيل حتى يستعيد ثقة السلطان ثانية، كما فعل تغرى برمش الجلالى الذى لم يستعيد مكانته بين خاصكية السلطان الأشرف برسباى إلا بسفارة نائب حلب ووساطته.[٥]

② ولعبت العصبية أو الجنسية أيضاً دوراً هاماً فى ترقية الجندى وفى بلوغه أعلى المناصب فى الدولة، بدليل ما حدث أثناء سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية من إشتداد نفوذ الجراكسة بفضل قيام الأمير بيبرس الجاشنكير بأمرهم وإنعامه على الكثير منهم برتبة الإمارة مما دفع بالأمير سلار التركى، نائب السلطنة، للتصدى له، فصار كلما أمر بيبرس واحداً من الجراكسة، وقف أصحاب سلار وطلبوا منه أن يؤمر واحداً منهم [٦]. وتتحدث المصادر كذلك عن حالة السلطان تمربغا الرومى الذى كان فى الأصل أحد مماليك السلطان الظاهر جقمق، فجعله خاصكيا ثم أمير عشرة. فلما إستقر السلطان الظاهر خشقدم فى دست السلطنة وكان بدوره رومى الجنس، ارتقى تمربغا إلى تقدمة ألف ثم أصبح أتابك العسكر ثم سلطاناً[٧].

③ وكان للقرابة أيضا دور هام فى الترقية، بل والقفز إلى الرتب العليا فى الجيش المملوكى دفعة واحدة زمن المماليك الجراكسة فقد حدثتنا المصادر عما فعله السلطان الأشرف برسباى مع جانم بن عبدالله عند قدومه من بلاد الجركس مع أقاربه، إذ جعله برسباى خاصكياً وأنعم عليه وعلى قريب له، بإمرة طبلخاناة بعد مدة قصيرة على غير عادة السلف[٨].

ولعبت رابطة الخشداشية أى الزمالة فى الرق والعتق والخدمة دورها كذلك فى مراتب الترقى بالجيش المملوكى، إذ لم يصل كمشبغا الحموى اليلبغاوى إلى وظيفة أتابك العسكر بالديار المصرية زمن السلطان الظاهر برقوق إلا لكونه خشداشه (٩)، ولم يترقى مأمور بن عبدالله القلمطاوى إلى إمرة مائة وتقدمه ألف بالديار المصرية إلا لكونه خشداش لنفس السلطان (١٠).

ونقرأ أيضا عن السلطان الظاهر خشقدم الذى جعل خشداشه مغلباى طاز الأبوبكرى أمير طبلخاناة دفعة واحدة (١١)، كما أنعم على خشداشه قانم من صفر خجا بأتابكية العسكر (١٢). ولعل خير دليل على أهمية رابطة الخشداشية بالنسبة للترقى فى مناصب الجيش المملوكى ما ورد بصدد الأمير سيف الدين يونس العلائى المتوفى سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م من أن أصله من مماليك السلطان الظاهر برقوق الكتابية، ثم ملكه الناصر فرج وأعتقه فدام من جملة المماليك السلطانية سنين كثيرة لا يلتفت إليه فى الدولة إلى أن تأمر عشرة مراعاة لخاطر الأمير إينال العلائى الأجرود، لأنه كان خشداشه من تاجر واحد (١٣).

وثمة وسائل أخرى لعبت دوراً هاماً فى سبيل التدرج والترقى فى مناصب الجيش المملوكى فى مصر، من بينها ظاهرة الوساطة (١٤) حيث درج أصحاب النفوذ والسلطان فى الدولة على التدخل لمن يمتون لهم بصلة من جنود الجيش، فقد صار جار قطلوا الظاهرى خاصكياً فى دولة الظاهر برقوق بفضل سفارة إينانه الماردينى الدوادار (١٥)، كما أنعم الأتابك جقمق أثناء تدبيره لسلطنة العزيز يوسف بن المؤيد شيخ، على قانى باى الجركسى بإمرة عشرة، لكونه من مماليك أخيه جاركس القاسمى المصارع (١٦)، ويروى نفس المؤرخ أيضا أن خشقدم الناصرى المؤيد قد نال نفس الرتبة فى أيام السلطان الظاهر جقمق بسفارة الأمير تغرى بردى الدوادار المعروف بالمؤذى، لسابق معرفته به أثناء خدمتهما عند السلطان المؤيد شيخ (١٧).

بيد أن جميع هذه الإعتبارات لم تجعل سلاطين المماليك يغفلون ما للفروسية وإجادة فنون القتال من التقدير والأهمية عند ترقية الجنود لاسيما في العصر المملوكي الأول إذ بفضلهما إستطاع المماليك أن يشيدوا أقوى الجيوش الإسلامية، بل قد لا نكون مبالغين إذا قلنا أقوى جيوش العالم بأسره، وحسبنا أن نذكر في هذا المجال أنه بعد أن فقد غالبية المماليك لياقتهم الحربية وإنصرفوا عن الإهتمام بالفنون العسكرية نتيجة لإختلال نظام الطباق نزلت بهم هزيمة كبرى على أيدي الأتراك العثمانيين الذين تمكنوا في القضاء على دولة المماليك عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وإستولوا على الديار المصرية (١٨).

فقد حدثتنا المصادر المملوكية أن السلطان الظاهر بيبرس قد أنعم في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م على جندي يدعى المظفري بإمرة عشرة لأنه نجح في أسر كند إصطبل عم صاحب سيس، وأمره بحمل رنكه على سنجقه المملوكي (١٩).

وحصل محمد بن بكتاش الفخري على رتبة الإمارة لأنه إشترك رغم صغر سنه في محاربة الأمير سنقر الأشقر الذي خرج على طاعة السلطان المنصور قلاوون وأعلن نفسه سلطاناً بدمشق (٢٠). كما أنعم إبنه الأشرف خليل في عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م على أحد الأوشاقية برتبة الإمارة لما أظهره من البلاء والشجاعة أثناء منازلة قلعة الروم (٢١).

ويروى أيضا أن السلطان برقوق أنعم في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م بإمرة عشرة على شاهين بك المعروف بالأفرم لأنه أنقذه من إعتداء المتآمرين عليه بزعامة الأمير على باي حيث قاتل بمفرده جماعة منهم وان إبنه السلطان فرج أنعم بنفس الرتبة على يشبك بن أزدمر، لما أظهره من الشجاعة والإقدام في وقعة تيمورلنك (٢٢).

وجدير بالذكر أن سلاطين العصر المملوكي الثاني أي الجركسي لم يتقيدوا بقواعد الترقية التي سار عليها ملوك السلف، بل عمدوا في كثير من الأحيان إلى

نقل المملوك دفعة واحدة من الجندية إلى إمرة الطبلخاناة أو إلى إمرة المائة كما فعل السلطان ططر الذى أنعم على مملوكة يشبك بإمرة طبلخاناة دفعة واحدة مع أنه عاش خاملا هاملا عاريا من كل علم وفن [٢٣]، ونقرأ أيضا أن السلطان الأشرف برسباى أنعم على أحد أقاربه بإمرة طبلخاناة دفعة واحدة [٢٤]. كما إنتقل يشبك الساقى من الجندية إلى إمرة مائة فى زمن نفس السلطان الذى نقله أيضا إلى أتابكية العسكر بالديار المصرية [٢٥].

وقد جرى العرف على تقسيم أمراء الجيش المملوكى فى مصر إلى طبقات ذات مراتب عسكرية عينت لها الوظائف المرتبطة بها، كما حددت لكل مرتبة الإقطاعات المخصصة لها وكان يأتى على رأسها جميعا طبقة أمراء المئين مقدموا الألوف التى تمثل أعلى طبقات الإمارة بالجيش المملوكى [٢٦] وكان عدة الواحد منهم مائة فارس وقد يزاد هذا العدد إلى عشرة أو عشرين، كما كانت له التقدمه على ألف فارس ممن دونه من أجناد الحلقة [٢٧]. لذا إصطلح على تسميته بأمير مائة فارس مقدم على ألف [٢٨] أو مقدم ألف [٢٩]، أو أمير مقدم [٣٠]، أو مقدم فقط [٣١].

ومن المعروف أن هذا النظام إنتقل من الأتابكة إلى الدولة الأيوبية حيث كانت طبقة أمراء المئين تؤلف قادة الجيش الأيوبى ثم ورثته الدولة المملوكية [٣٢] التى بلغت فى أيامها عدة أمراء المئين إلى أربعة وعشرين أميرا فى ايام الروك الناصرى وبقيت هذه العدة إلى آخر أيام السلطان الأشرف شعبان، ثم حدث أن إستجد فى عهد السلطان الظاهر برقوق ديوان المفرد لخاص السلطان فأفرد له عدة كثيرة من المماليك بالإضافة إلى عدد من المستخدمين مما أفضى إلى نقص عدة أمراء المئين عما كانت عليه، وأصبحت تتراوح بين الثمانية عشر والعشرين بما فى ذلك نائب الأسكندرية ونائبى الوجهين القبلى والبحرى [٣٣].

ومع ذلك فإن هذا العدد لم يكن ثابتا طوال العصر المملوكي الجركسي، فقد أشارت المصادر المعاصرة إلى أن عدة أمراء المئين إقتصرت في سنتي ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م، ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م على أحد عشر أميرا (٣٤)، زادوا في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م إلى اثنى عشر أميرا (٣٥)، وفي سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م إلى ثلاثة عشر أميرا (٣٦) وفي سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م إلى أربعة عشر أميراً (٣٧)، وفي سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م إلى خمسة عشر أميراً (٣٨). ثم قفزت عدتهم في سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢ م إلى أربعة وعشرين أميراً (٣٩) كما كان الحال في عهد الناصر محمد بن قلاوون أيام الروك الناصري، ثم أخذوا في الزيادة ثانية حتى صارت عدتهم في سنتي ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، ٩٢١/ ١٥١٥م سبعة وعشرين أميراً (٤٠)، انخفضت عدتهم في أواخر العصر المملوكي وبالتحديد ف سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م إلى ستة وعشرين أميراً (٤١).

وكان المقربون من أمراء هذه الطبقة إلى السلطان يعرفون بالإكابر (٤٢) ويتقلدون الوظائف الكبرى بالحضرة السلطانية بالديار المصرية ويطلق عليهم الأمراء المقدمين أرباب الوظائف (٤٣) لقيامهم بقيادة الجيش وإعداد الفرسان وتدريبهم وهم حسب منازلهم:

نائب السلطان المعبر عنه بالنائب الكافل أو بكافل الممالك الإسلامية، وهو سلطان مختصر، بل هو السلطان الثاني، وكان يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير، وله الإشراف على ديوان الجيش حيث يلازمه صاحب هذا الديوان، لأنه كان يختص بإخراج بعض إقطاعات الجند (٤٤).

وأتابك العسكر الذي يعبر عنه بالأمير الكبير او بكلربكي أي القائد العام للجيوش المملوكية، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب وكثيراً ما أسند إليه

الوصاية على ولى العهد أو السلطان القاصر، ومع ذلك فقد ذكر القلقشندى أن أتابك العساكر فى عصره لم يكن له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى، وإنما غايته رفعة المحل وعلو المقام [(٤٥)].

وأمير سلاح كبير وهو المختص بحمل السلاح للسلطان فى المجامع الجامعة، والمتحدث فى السلاح خانة السلطانية وما يستعمل بها، وما يقدم إليها، ويطلق منها[(٤٦)]، وقد صنفه القلقشندى فى المرتبة الخامسة بين كبرى الوظائف التى يشغلها عسكريون بالقصر السلطانى [(٤٧)]، ثم علت مرتبته فصار يلى أتابك العساكر مباشرة كما يفهم من ابن شاهين الظاهرى [(٤٨)].

وأمير مجلس وكانت مهمته القيام بترتيب مجلس السلطان [(٤٩)] وتدبير أمر حراسته حتى فى داخل قصره وحجرة نومه، كما كان يتحدث على الأطباء والكحالين والجرائحيين ومن شاكلهم، ولم يكن فى بلاط السلطان غير أمير مجلس واحد، وقد صنفها القلقشندى فى المرتبة الرابعة [(٥٠)]، أما ابن شاهين وصاحب ديوان الإنشاء فقد جعلاهما فى المرتبة الثالثة بعد أتابك العساكر وأمير سلاح، كما أضافها صاحب الديوان إلى الأتابكية [(٥١)].

والدوادار الكبير ويقصد به الموكل بدواة السلطان وكان يختار عادة من بين أهل عصبية السلطان لأنه كان يعول عليه ويثق به وكانت مهمته تبليغ الرسائل والأوامر عن السلطان وتقديم الرسائل والقصص إليه وحمل الدواة له ليوقع عليها وعلى عامة المناشير والتواقيع والكتب [(٥٢)]، كما كان يشترك مع أمير جاندار وكاتب السر فى تقديم البريد إلى السلطان ومع الوزير فى النظر على دار الضيافة والأسواق، كما كان يكلف بكثير من المهمات الخاصة ولاسيما تلك التى كانت تتطلب توفر الثقة فيمن يقوم بها.

ومن المعروف أن ترتيب هذه الوظيفة قد إختلف بالنسبة للوظائف المتعلقة

بالسلطان فقد اعتبرها صاحب ديوان الإنشاء الوظيفة الثامنة بين هذه الوظائف، في حين جعلها القلقشندى في المرتبة السابعة، أما خليل بن شاهين الظاهرى فقد جعلها رابعة هذه الوظائف على العكس من الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في نهاية القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى، الذين جعلوا الدوادار في المرتبة الثانية بعد السلطان (٥٣).

وأميرا خور كبير الذى كان يشرف على الإصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال، وعادته أن يكون ساكنا بإصطبل السلطان (٥٤) وكانت مهمته خطيرة في السلم والحرب فقد كان عليه أن يكون متأهبا دائما لسفر السلطان أو إنتقاله في ليل أو نهار، وأن يعد موكب السلطان حسب ما جرت به العادة، وأن يقوم بتثمين الخيول المشتراه، وأن يشرف على ما يصرف من العليق، وأن يعنى ببغال الكوسات والأعلام وأبغال الخزانة، وأن يعنى بقماش الإصطبلات المعبدة من الذهب والفضة والحرير، وأن يحفظها من التلف والضياع (٥٥).

ورأس نوبة النوب وكان يسمى أيضا رأس نوبة النواب أو رأس نوبة كبير، أو رأس نوبة النوب الكبرى، وأمير رأس نوبة النواب أو رأس نوبة الأمراء (٥٦) وكان يتحدث على المماليك السلطانية ويأخذ على أيديهم، ويختار عادة من بين أمراء الخاصكية، وقد جرت العادة أن يكون هناك أربعة أمراء، واحد مقدم ألف، وثلاثة طبلخاناة (٥٧).

وحاجب الحجاب الذى كان يفصل فيما يقع بين الجند والأمراء من نزاع وإختلاف في أمور الإقطاعات، فإذا تعذر عليه ذلك رجع إلى نائب السلطنة، كما كان يتولى تقديم الجند وعرضهم، والركوب أمام السلطان في المواكب السلطانية ممسكا بعصا، والحكم بين المغول الذى إستوطنوا مصر حسب قوانين الياسة أو اليسق، وكان يقوم أيضا مقام النائب في حالة غيابه (٥٨) كما كان يتبعه عدد من

الحجاب، إثنان منهم من مقدمى الألوف وهما حاجب الحجاب ونائبه، بلغ عددهم فى أواخر عصر المماليك عشرين حاجباً كان جميعهم من غير الأمراء (٥٩).

وأمير جاندار الذى كان يستأذن السلطان فى دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان، كما كان يشترك مع الدوادار فى تقديم البريد، بمساعدة طائفة من البردادارية والركابية والخازندارية، بالإضافة إلى تنفيذ أوامر السلطان بشأن تعزير أحد الأفراد أو قتله، كذلك الإشراف على الزردخاناة وهى السجن الخاص بالأمراء الذين يغضب عليهم السلطان، فضلاً عن قيامه بحراسة السلطان فى حالة خروجه والطواف حوله فى سفره صباحاً ومساءا، وكان يعاونه أمير طبلخاناة (٦٠).

الأستادار ، وكانت إليه البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان فى السرحات والأسفار، وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره، وإليه أمور الجاشنكيرية، مع أن كبيرهم كان نظيره فى إمرة ذوى المئين، كما كان له الحديث المطلق والتصرف التام فى إستدعاء ما يحتاجه كل بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك (٦١). وجرت العادة أن تكون الأستادارية بيد أربعة أكبرهم مقدم ألف ومعه ثلاثة طبلخاناة، وربما نقصوا عن ذلك (٦٢).

الجاشنكير وكانت مهمته أن يذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان خشية أن يكون مسموماً (٦٣)، لذلك كان له بطبيعة الحال أمر التحدث على السماط مع الأستادار، وأن يقف معه أثناء جلوس السلطان لتناول الطعام (٦٤)، وكان يتبعه عدد من الجاشنكيرية أقل منه رتبة (٦٥). وقد علت منزلة الأستادار منذ أيام السلطان الظاهر برقوق الذى عهد بها إلى جمال الدين بن على بن أصفر عينه، وناط به تدبير أمور المملكة، فتصرف فى جميع ما يرجع إليه أمر الوزير

وناظر الخاص، وصارا يترددان إلى بابه ويمضيان الأمور برأيه [٦٦].

والخازندار وكان يتحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك وكان يشغلها في أول الأمر أمير طبلخاناة، ثم لم تلبث أن إرتفعت قيمة هذه الوظيفة فصار يشغلها أمير مائة مقدم ألف، وقد جعلها القلقشندي الوظيفة الثانية عشرة من الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان [٦٧]. أما ابن شاهين فقد صنفها في الرتبة الثامنة ضمن الوظائف التي كان يشغلها عسكريون من رتبة أمراء المئين، وأطلق على صاحبها لقب أمير خازندار كبير [٦٨]، وأمير الحاج الشريف الذي كانت مهمته تقتصر على صحبة ركب الحجاج ورئاسته، وكان يختار من بين أمراء المئين نظراً لأهميته [٦٩] وقد يصحب أمير الحاج الركب الأول، فكان يسمى حينئذ أمير الحاج بالركب الأول، وقد يصحب المحمل فيسمى أمير الحاج بركب المحمل [٧٠].

وشاد الشرابخاناة وكان يتحدث في أمر الشرابخاناة السلطانية وما يحمل إليها من السكر والفواكه والحلوى وغير ذلك، وكان يختار من بين أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤتمنين نظراً لخطورة هذه الوظيفة التي صنفها القلقشندي في المرتبة الثالثة عشرة ضمن الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان [٧١].

وقد شغل بعض أمراء المئين مناصب كتابية مهمة ولكن في حالات قليلة نادرة، فقد روى المقريزي أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون رتب في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م، ركن الدين بيبرس الدوادار في وظيفة داودار، وأعطاه إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء في المكاتبات والأجوبة والبريد [٧٢].

وكان كل أمير من أمراء المئين أشبه بسلطان مختصر في غالب أحواله، إذ كان لكل منهم من أجناده أستادار، ورأس نوبة، ودوادار، وأمير مجلس، وجمدارية،

وأمير أخور، وأستادار صحبة، ومشرف، كما كان له بيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناة، والفراش خاناة، والركاب خاناة، والزردخاناة، والمطبخ، والطبلخاناة، كما كان لكل منهم الحواصل من إصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال.

وكان من عادة أمراء المئين أنه إذ ركب سار أمامه أكابر أجناده من أرباب الوظائف كرأس نوبة، ودوادار، وأمير مجلس، ومشاة الخدمة بحيث يكون أكبرهم أقرب إليه وسارت الجمدارية من أجناده الصغار خلفه، وأمير أخوره خلف الجميع ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك (٧٣)، وتدق على بابه ثمانية أحمال طبلخاناة وطبلان دهل، وزمران، وأربعة أنفرة (٧٤).

أما الطبقة الثانية من الأمراء فهي طبقة أمراء الأربعين أو الأربعينات أو أمراء الطبلخاناة أو الطبلخانات (٧٥)، وهي لفظة فارسية بمعنى بيت الطبل الذي يشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات (٧٦)، ولعلهم عرفوا بهذا الأسم لأن دق النوبة كان حقا من حقوقهم فقد ذكر ابن شاهين أنه كان يدق على باب الواحد منهم ثلاثة أحمال طبلخاناة ونفيران، وقد إقتصر الحال في عصره على طبلان وزمران (٧٧).

وكان أمراء الطبلخاناة يختارون عادة من أمراء العشرات، كما كان أمير الطبلخاناة يرقى إلى أمير مائة مقدم ألف إذا أظهر كفاءة أو ساعدته الظروف.

وجرت العادة أن يتبع معظم أمراء الطبلخاناة أربعين فارسا، وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك إلى السبعين أو الثمانين، ولا تكون الطبلخاناة بأي حال من الأحوال أقل من أربعين وهذه الطبقة لا ضابط لعدة أمرائها بل تفاوتت بالزيادة والنقص، ذلك أنه قد تجمع إمرتي عشرين، أو إمرة عشرات أو نحو ذلك فتصير إمرة طبلخاناة (٧٨).

وكان أمراء الطبلخاناة ينقسمون إلى قسمين : أمراء طبلخانات خاصكية وهم الذين يعينون فى الوظائف السلطانية، وأمراء طبلخانات خرجية وكانوا يشغلون الوظائف الخارجة عن الحضرة السلطانية. كما كان أمراء الطبلخانات يؤلفون عصب الدولة المملوكية سواء من الناحية العسكرية أو الإدارية، فكانوا فى الحرب يتولون قيادة معظم أجناد الحلقة بالإضافة إلى فرسانهم هم أنفسهم، أما فى الإدارة فكانت تسند إليهم وظائف إدارية كبرى ذات صبغة عسكرية فى القصر السلطان وخارجه.

فمن حيث الوظائف التى كانوا يشغلونها بحضرة السلطان شاد الشراب خاناه الثانى، والدوادار الثانى، وأمير أخور الثانى، ورأس نوبة النوب الثانى، والحاجب الثانى، والخازندار الثانى ونائب القلعة المنصورة والزردكاش، وأمير شكار، وأمير جاندار، وزمام الدور السلطانية ومقدم المماليك، ووالى القاهرة وضواحيها (٧٩).

أما فيما يتعلق بالوظائف الخارجة عن الحضرة السلطانية فقد كان أمراء الطبلخانات تفرد لهم أعلى وظائف الولاة بالوجهين القبلى والبحرى فكان منهم والى البهنسى والأشمونين وقوص وأخميم وأسوان والفيوم والجيزة ومنفلوط، والشرقية والمنوفية والغربية، والبحيرة، كما كان بالأسكندرية والى من أمراء الطبلخاناة وذلك قبل أن تستقر نيابة فى أيام السلطان الأشرف شعبان بعد أن طرقها الفرنج فى عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م (٨٠).

وكان كل أمير من أمراء الطبلخاناة، شأنه شأن أمراء المئين، سلطانا مختصرا فى غالب أحواله، كما كان من رسمه أن يركب خلفه جنيب مسرج ملجم، وله طلب يشتمل على أكثر مماليكه، وقدامه خزانته محمولة على جمل واحد يجره راكب على جمل آخر، وربما كان على جملين، وربما زاد بعضهم على ذلك، وأمام الخزانة عدة جنائب يجرها أجناد راكبة على الخيل والهجن، وركابه من العرب

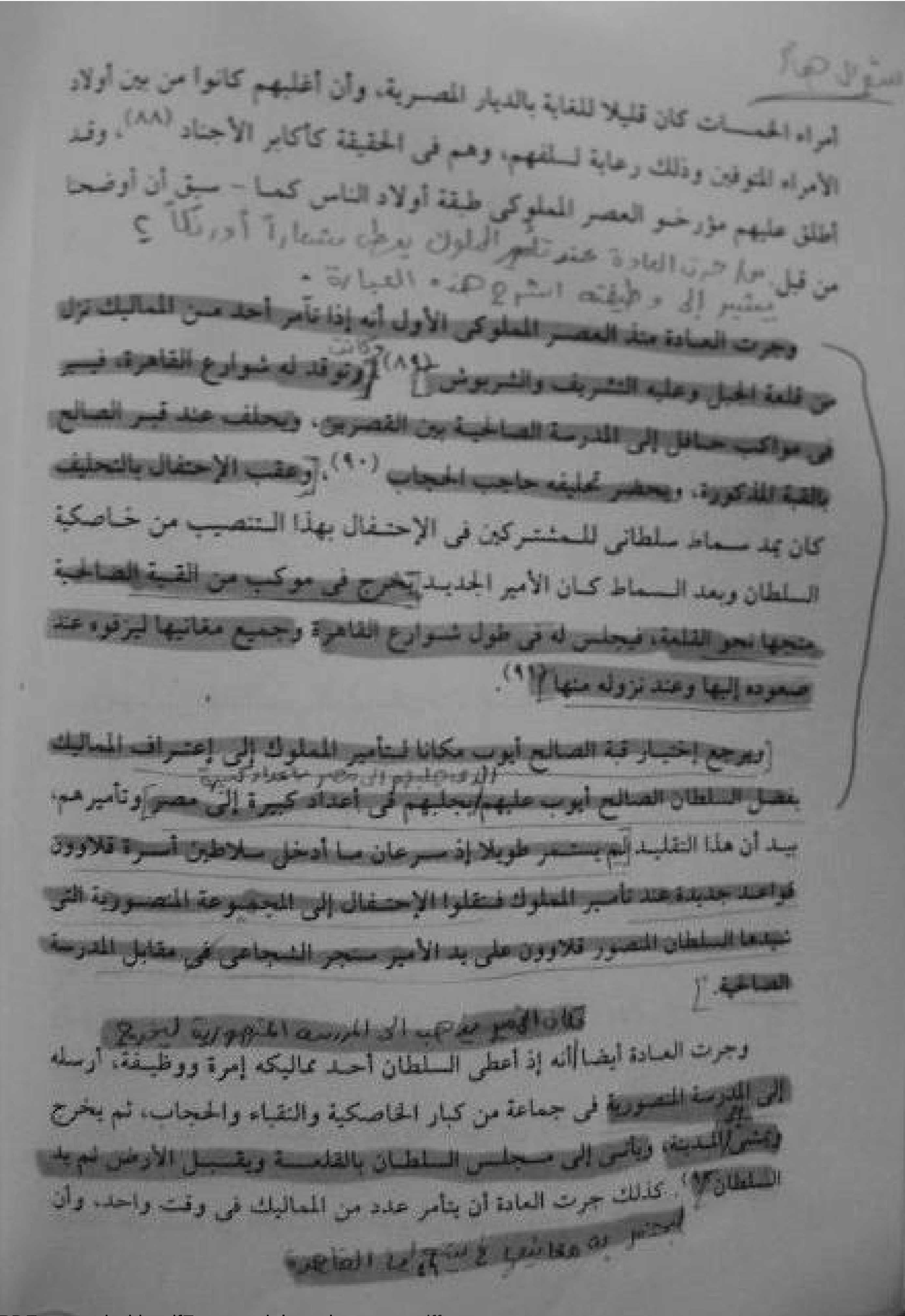
على هجن، وأمامهم الهجن والبخاتي مجنوبة، وكان لأمير الطبلخاناة قطار واحد بالف من أربعة ومركوب الهجان، وكان عدد الجنائب يتوقف عادة على رأى الأمير وسعة نفسه، وكان من الجنائب ما هو مسرج ملجم، ومنها ما هو بعباءة لاغير (٨١).

والطبقة الثالثة من مراتب الإمارة فى الجيش المملوكى هى طبقة إمراء العشرات أو العشراوات الذين عرفوا فى المصادر المملوكية ايضا بإسم آحاد العشرات، أو بآحاد الأمراء العشرات (٨٢)، وكانت عدة كل منهم عشرة فوارس، وربما كان فيهم من له عشرون فارسا، عندئذ كانوا لا يعدون فى نطاق أمراء العشرات وفقا لتصنيف كل من المقريزى وابن شاهين الذى يطلق عليهم إمراء العشرينات (٨٣)، رغم زعم البعض أن كل من كان دون الأربعين كان معدوداً ضمن أمراء العشرات (٨٤).

ويفهم من القلقشندى أنه لم يكن هناك ضابط لعدد أمراء العشرات، بل كان عددهم يزيد أو ينقص شأن أمراء الطبلخاناة، ومن هذه الطبقة كان يعين صغار السولاة (٨٥) فى سبع ولايات، بالوجهين ثلاثة بالوجه القبلى وأربعة بالوجه البحرى، كما كانت تسند إليهم ولاية أقاليم أخرى خارج الديار المصرية.

أما الوظائف التى كانت بحضرة السلطان فأهمها أستادار الصحبة، نائب مقدم المماليك، نائب زمام الدور السلطانية، وشاد الدواوين، وأمير طبر، وأمير علم، وأمير شكار، وحارس الطير، وشاد العمائر، ووالى مصر، ووالى القرافة، ووالى باب القلعة (٨٦).

بقى أن نشير الى الطبقة الرابعة والأخيرة من مراتب الجيش المملوكى وهى طبقة أمراء الخمسات أو الخمساوات (٨٧)، وكان يتبع كل منهم خمسة فرسان، ولكنه كان يقود فى الحرب عددا أكبر من ذلك، ويفهم من القلقشندى أن عدد

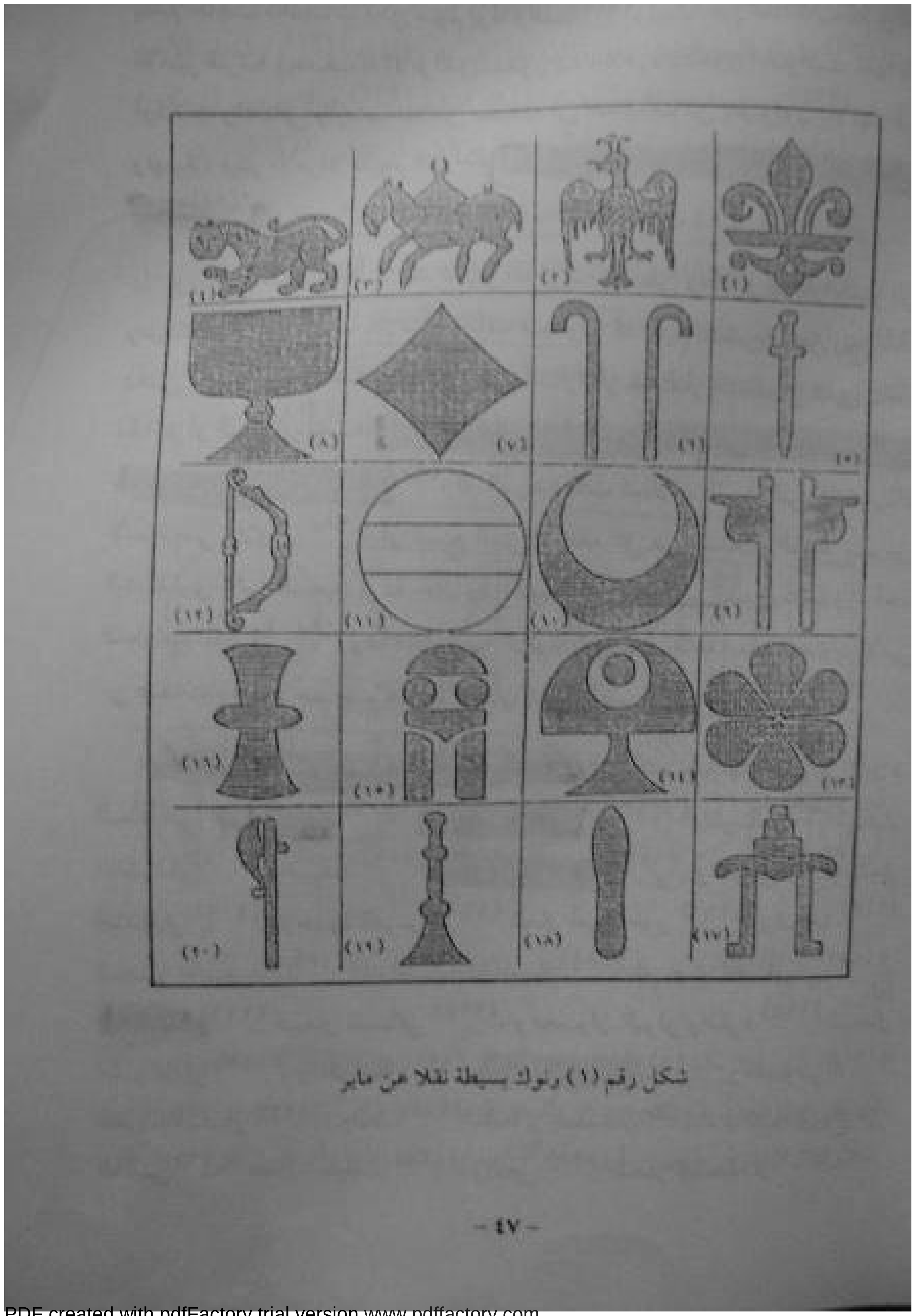


أمراء الخمسات كان قليلا للغاية بالديار المصرية، وأن أغلبهم كانوا من بين أولاد الأمراء المتوفين وذلك رعاية لسلفهم، وهم في الحقيقة كأكابر الأجناد (٨٨)، وقد أطلق عليهم مؤرخو العصر المملوكي طبقة أولاد الناس كما - سبق أن أوضحنا من قبل.

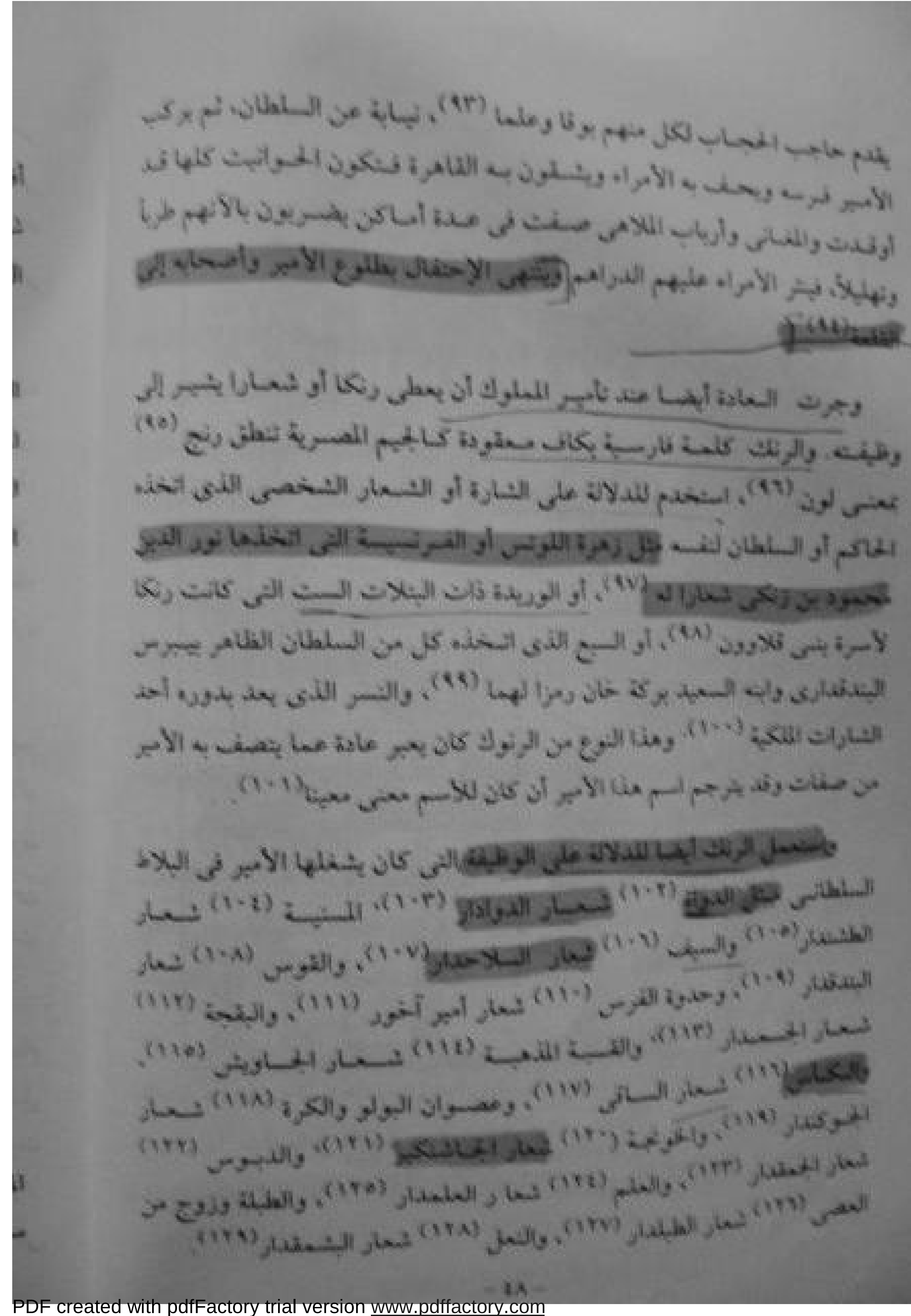
وجرت العادة منذ العصر المملوكي الأول أنه إذا تأمر أحد من المماليك نزل من قلعة الجبل وعليه التشريف والشربوش (٨٩)، وتوقد له شوارع القاهرة، فيسير في مواكب حافل إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، ويحلف عند قبر الصالح بالقبة المذكورة، ويحضر تحليفه حاجب الحجاب (٩٠)، وعقب الاحتفال بالتحليف كان يمد سماط سلطاني للمشتركين في الاحتفال بهذا التنصيب من خاصكية السلطان وبعد السماط كان الأمير الجديد يخرج في موكب من القبة الصالحية متجها نحو القلعة، فيجلس له في طول شوارع القاهرة وجميع مغانيها ليزفوه عند صعوده إليها وعند نزوله منها (٩١).

ويرجع اختيار قبة الصالح أيوب مكانا لتأمير المملوك إلى اعتراف المماليك بفضل السلطان الصالح أيوب عليهم بجلبهم في أعداد كبيرة إلى مصر وتأميرهم، بيد أن هذا التقليد لم يستمر طويلا إذ سرعان ما أدخل سلاطين أسرة قلاوون قواعد جديدة عند تأمير المملوك فنقلوا الاحتفال إلى المجموعة المنصورية التي شيدها السلطان المنصور قلاوون على يد الأمير سنجر الشجاعي في مقابل المدرسة الصالحية.

وجرت العادة أيضا أنه إذ أعطى السلطان أحد مماليكه إمرة ووظيفة، أرسله إلى المدرسة المنصورية في جماعة من كبار الخاصكية والنقباء والحجاب، ثم يخرج ويشق المدينة، ويأتي إلى مجلس السلطان بالقلعة ويقبل الأرض ثم يد السلطان (٩٢). كذلك جرت العادة أن يتأمر عدد من المماليك في وقت واحد، وأن



شكل رقم (١) رنوك بسيطة نقلا عن ماير



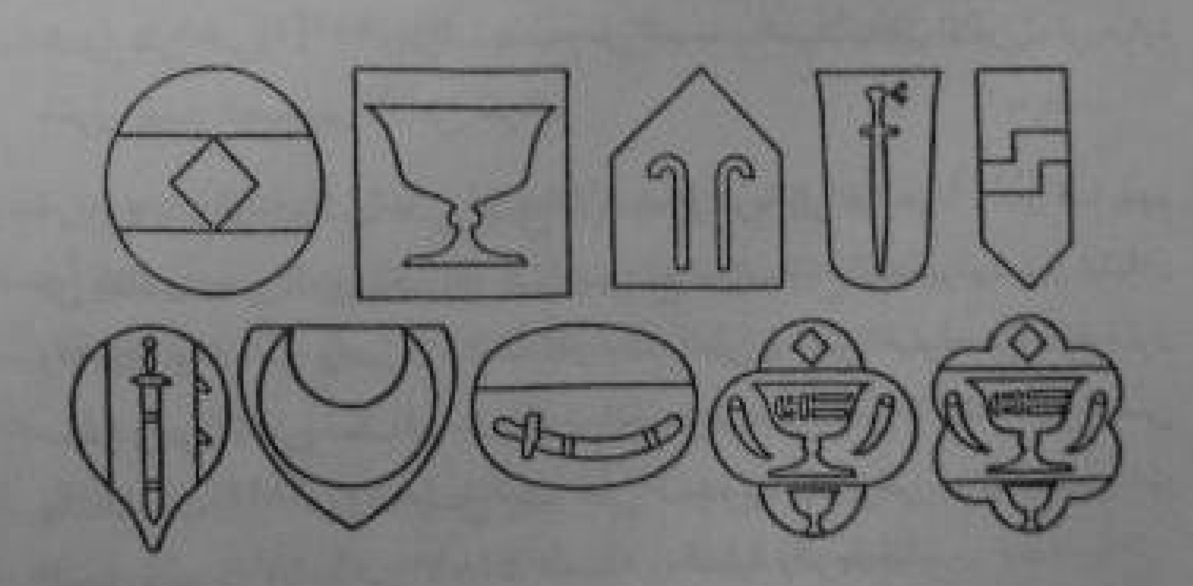
يقدم حاجب الحجاب لكل منهم بوقا وعلما [93]، نيابة عن السلطان، ثم يركب الأمير فرسه ويحف به الأمراء ويشقون به القاهرة فتكون الحوانيت كلها قد أوقدت والمغاني وأرباب الملاهي صفت في عدة أماكن يضربون بالأنهم طربا وتهليلا، فينثر الأمراء عليهم الدراهم وينتهي الاحتفال بطلوع الأمير وأصحابه إلى القلعة [94].

وجرت العادة أيضا عند تأمير المملوك أن يعطى رنكا أو شعارا يشير إلى وظيفته. والرنك كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية تنطق رنج [95] بمعنى لون [96]، استخدم للدلالة على الشارة أو الشعار الشخصي الذي اتخذه الحاكم أو السلطان لنفسه مثل زهرة اللوتس أو الفرنسيسة التي اتخذها نور الدين محمود بن زنكي شعارا له [97]، أو الوريدة ذات البتلات الست التي كانت رنكا لأسرة بني قلاوون [98]، أو السبع الذي اتخذه كل من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وابنه السعيد بركة خان رمزا لهما [99]، والنسر الذي يعد بدوره أحد الشارات الملكية [100]، وهذا النوع من الرنوك كان يعبر عادة عما يتصف به الأمير من صفات وقد يترجم اسم هذا الأمير أن كان للاسم معنى معينا [101].

واستعمل الرنك أيضا للدلالة على الوظيفة التي كان يشغلها الأمير في البلاط السلطاني مثل الدواة [102] شعار الدوادار [103]، المشبية [104] شعار الطشتدار [105] والسيف [106] شعار السلاحدار [107]، والقوس [108] شعار البندقدار [109]، وحدوة الفرس [110] شعار أمير آخور [111]، والبقجة [112] شعار الجمدار [113]، والقبة المذهبة [114] شعار الجاويش [115]، والكأس [116] شعار الساقي [117]، وصولجان البولو والكرة [118] شعار الجوكندار [119]، والخونجة [120] شعار الجاشنكير [121]، والدبوس [122] شعار الجمقدار [123]، والعلم [124] شعار العلمدار [125]، والطبلة وزوج من العصي [126] شعار الطبلدار [127]، والنعل [128] شعار البشمقدار [129].

وكان شعار البريدي (١٣٠) في بادئ الأمر درع ينقسم إلى ثلاثة أقسام أفقية(١٣١) ولعله اتخذ لنفسه بعد ذلك بغل البريد رنكا له (١٣٢)، وشعار الأمير شكار (١٣٣) درع ينقسم إلى أربعة قضبان أفقية (١٣٤)، ولا يبعد أن يكون الطبردار (١٣٥) قد إتخذ لنفسه شعاراً على هيئة الطبر أو الفأس (١٣٦).

ويتألف الرنك عادة من منطقة واحدة قد تكون مربعة أو بيضاوية أو كمثرية الشكل قد تنتهي أحيانا من أسفل بطرف مدبب يشبه الدرع، وإن كان الشكل المستدير أكثر شيوعا واستخداما على التحف والعمائر التي وصلتنا من العصر المملوكي، وهو ينقسم عادة إلى منطقتين أو ثلاث مناطق أفقية، أكبرها عادة المنطقة الوسطى، وهي تسمى شطا أو شطف أو شطب أو مشطب (١٣٧).



شكل رقم (٢) الأشكال الخارجية للرنوك نقلا عن ماير

والرنك قد يكون من لون واحد أو ذي ألوان متعددة يؤكد هذا ما ورد في المصادر التاريخية من إشارات إلى ألوان الرنوك فقد ذكر المقريزي ان رنك الأمير سلار كان أبلقا أي أبيض وأسود (١٣٨)، وان رنك الأمير أقوش الأفرم كان على

هيئة دائرة بيضاء، يشقها مشطب اخضر عليه سيف أحمد [١٣٩]، ويفهم من الصفدى أيضا أن السلطان الناصر محمد جعل رنكة أسودا إنتماء منه إلى الخليفة[١٤٠] ويذكر القلقشندى كذلك ان شعار سلطان اليمن كان وردة حمراء فى أرض بيضاء[١٤١]، كما روى ابن إياس ان السلطان الإشرف قايتباى أمر بتبيض باب النصر وباب زويلة وضرب عليها الرنوك الذهب[١٤٢].

ويؤكد ألوان الرنوك أيضا التحف والآثار الإسلامية التى نقشت عليها هذه الرنوك والتى تبدو بجلاء على الزجاج المموه بالمينا، وعلى الفسيفساء وعلى الأوانى الخزفية، وعلى المنسوجات وعلى التحف المعدنية المكفتة بالذهب والفضة، وعلى التحف الخشبية الملونة والمذهبة. أما الفخار فلا يعتمد عليه ولا يوثق به لتأثر ألوانه بالحرارة مما يجعلها تختلط ببعضها البعض تحت الطلاءات الزجاجية أثناء الشى فى الفرن[١٤٣] وبذلك يصبح من العسير تحديد مناطق الألوان، أو بعبارة أخرى يفسد التصميم الأصلى للرنك.

وكانت الرنك يثبت على جميع الأشياء المنسوبة إلى صاحبه[١٤٤] كما يفهم من القلقشندى الذى ذكر انه كان يوضع على مطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب وغيرها. كما كان ينقش على قماش خيوله من جوخ ملون مقصوص، وعلى قماش جماله من خيوط صوف ملونة تنقش على العبى والبلاسات[١٤٥]، وربما جعل أيضا على السيوف والأقواس، والبركصطوانات للخيل وغيرها[١٤٦] من الأدوات المعدنية والخشبية والزجاجية.

وقد أكدت دراسة التحف والعمائر المملوكية فى كل من مصر وبلاد الشام هذه الحقيقة، فمن بين منشآت القاهرة المملوكية نجد أكثر من مائة بناء يحمل رنوك أصحابها التى كانت تعد بدورها أشبه بصك من صكوك الملكية فقد روت المصادر المملوكية أن الأمير حسين بن جندر الرومى أراد بعد أن عمر جامعا بحوار داره على الخليج الكبير فى البر الغربى من القاهرة[١٤٧]، ان يفتتح خوخة فى

سور القاهرة الغربى ليخرج منها الناس الى جامعه، وعمل بابا كبيرا وضرب عليه رنكه [148].

وجرت العادة أيضا أنه فى حالة غضب السلطان على أحد مماليكه وإلقاء القبض عليه ومصادرته، كان يأمر أيضا بمحو رنكه من فوق عمائره، كما كان المالك الجديد يسارع بضرب رنكه فوق المبنى الذى آل إليه [149]، إذ يذكر الشجاعى فى تاريخه أنه بعد القبض على الأمير قوصون نائب السلطنة بالديار المصرية وسجنه فى الإسكندرية عام ٧٤٢هـ/١٣٤٢م، تم فى الحال محو رنكه من فوق عمائره، وبذا لم يعد له وجود فى هذا العالم [150]. وروى المقريزى أيضا أنه بعد القبض على الأمير جمال الدين يوسف البجاسى وقتله فى جمادى الأولى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م محى السلطان الناصر فرج بن برقوق اسمه ورنكه من على مدرسته وكتب اسمه بدائرة صحنها من أعلاه وعلى قناديلها وسطها وسقوفها [151].

ويبدو أن هذا الأمر لم يكن قاصرا فقط على عمائر القاهرة وحدها بل شمل أيضا العمائر السلطانية ببلاد الشام بدليل ما رواه المؤرخ ابن صصرى فى أحداث سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م عن قيام السلطان الظاهر برقوق بالأنعام على الأمير بطادواداره بنيابة الشام وعن دخول أقبغا فيل متسلم الأمير بطا الى داره السعادة بدمشق وتغييره لرنوكها فى الحال [152]. وأشار أيضا فى أحداث العام التالى أنه فى شهر ربيع الأول سنة ٧٩٤هـ/ يناير ١٣٩٢م دخل متسلم نائب الشام الجديد سودون الطرنطاوى وأصلح أحوال دار السعادة وغير الرنوك [153]. وذكر كذلك أنه بعد وفاة هذا النائب، سودون، فى شهر رمضان من نفس العام حضر متسلم نائب الشام كمشبغا الخاصكي ونزل فى دار السعادة بدمشق وغير الرنوك، وعمل رنك استاذه [154].

ويحدثنا المؤرخ ابن تغرى بردى بدوره أن نوروز الحافظى نائب الشام بعد أن

خلع عليه باتابكية العسكر سكن فى قصر الأمير قوصون الساقى، وأنه قبل مغادرته لدار السعادة بدمشق كتب إلى القاهرة لترميم القصر وضرب رنكه عليه(١٥٥).

خلاصة القول ان ضرب الرنوك لم يكن وقفا على الدور والقصور بل نجدها نقشت على المساجد والمدارس والحمامات وعلى القباب فى كل من مصر وبلاد الشام على حد سواء، مثلما نقشت أيضا على العملات الذهبية والفضية(١٥٦).

أما فيما يتعلق ببداية ظهور الرنوك واستخدامها فيمكن القول ان الرنوك عرفت عند المصريين القدماء وعند الحيثيين وعند الإغريق والرومان وغيرهم كما يفهم من الكتب الدينية والأدبية القديمة، فقد وصلتنا بعض الاشارات الى أسد يهوذا ونسور القياصر (١٥٧)، وان كان معناها يختلف فى العصور القديمة عن مدلولها فى العصور الوسطى لأنها فى البداية كانت مجرد رموز تتصل بالديانات والعقائد(١٥٨).

ويلاحظ أيضا ان الشعارات عرفت عند المسلمين منذ عصر النبوة متمثلة فى ألوان الألوية والرايات، فالبياض كان لون الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة(١٥٩)، وكان أيضا شعار الأمويين فى المشرق والأندلس، والفاطميين فى مصر(١٦٠).

أما العباسيون فقد اتخذوا من اللون الأسود شعارا لهم منذ أن لبسه أبو مسلم الخراسانى فى رمضان سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م وجعله لون لوائه(١٦١).

ومع هذا فإنه من الصعب الترجيح بان الرنوك قد عرفت بمعناها الوظيفى قبل نهاية العصر الأيوبى ثم شاعت بعد ذلك فى العصر المملوكى، وصار لزاما على العمال والصناع اثباتها على ما يقيمونه من أبنية ومنشآت وعلى ما يصنعونه لصاحب الرنك من أدوات بعد أن صار الرنك تقليدا رسميا يحافظ عليه ويعتز

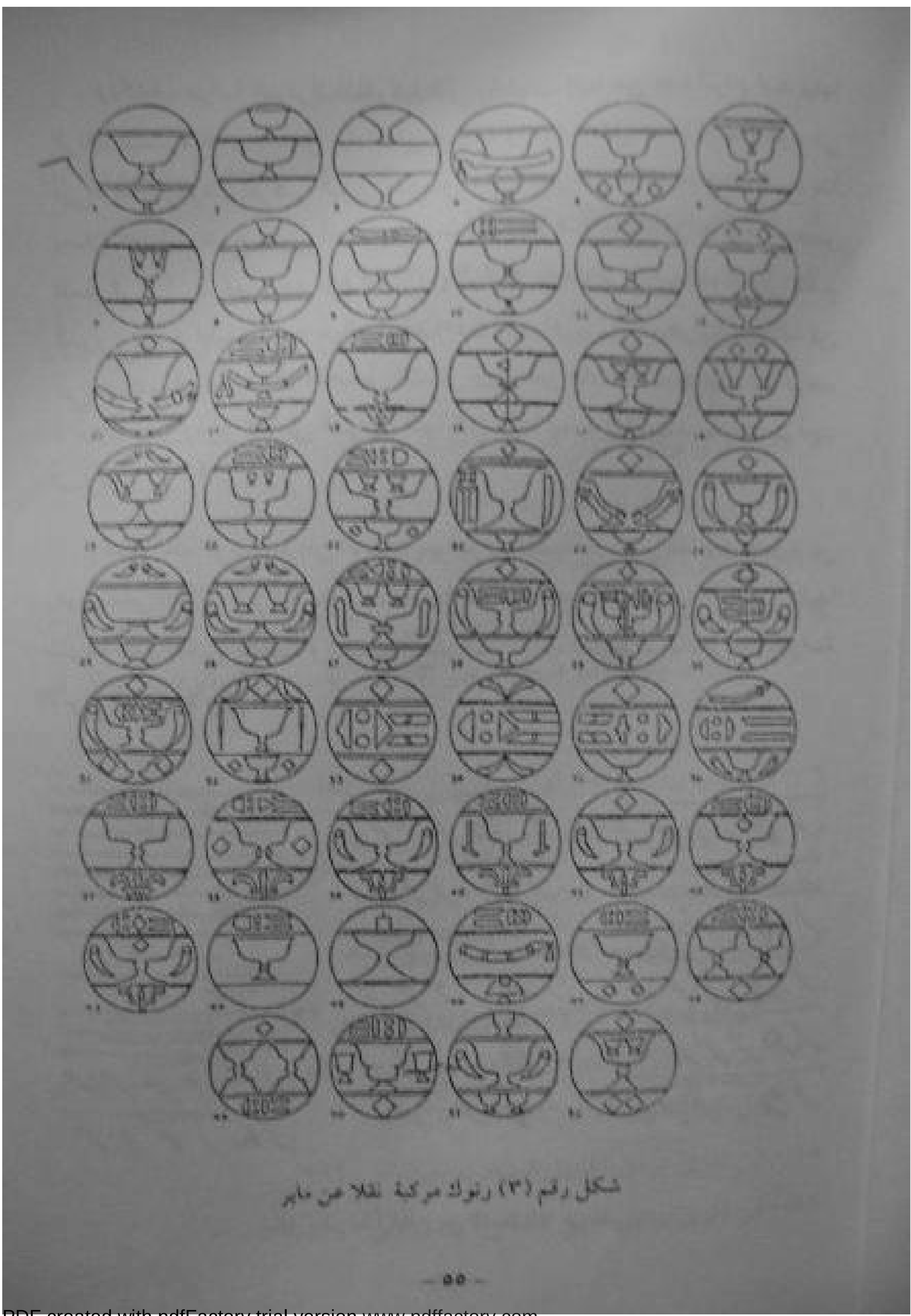
به(١٦٢). فقد أشار المؤرخ ابن تغرى بردى فى منهله بصدد سلطنة عز الدين إيبك التركمانى «أن الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه فى حياة أبيه الملك الكامل محمد (٦١٥-٦٣٦هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م) وتنقلت به الأحوال عنده إلى أن جعله جاشنكيره، ولهذا رنكه صورة خونجا(١٦٣)».

ويبدو أيضا أن الرنوك الشخصية قد عرفت قبل الشعارات الدالة على الوظائف فقد وردت زهرة اللوتس أو الفرنسية fleur-de-lis على بيمارستان نور الدين زنكى الذى شيده فى دمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، رغم محاولة البعض نسبتها إلى العصر المملوكى باعتبار أن الرخام الذى نقشت فوقه يعود إلى بعض الإصلاحات المملوكية التى تمت فى البيمارستان عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م(١٦٤). بيد أننا نميل إلى تأكيد ظهورها إبان القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، لوجودها أيضا على محراب مدرسة نفس الحاكم التى شيدت فى دمشق فيما بين عامى ٥٤٩-٥٦٩هـ/ ١١٥٤-١١٧٣م، كما وجدت على عمودين بالمسجد الجامع فى حمص (١٦٥)، مما دفع البعض الى الاعتقاد بأنها لم تكن رنكا شخصيا بل كانت رسما زخرفيا فحسب (١٦٦).

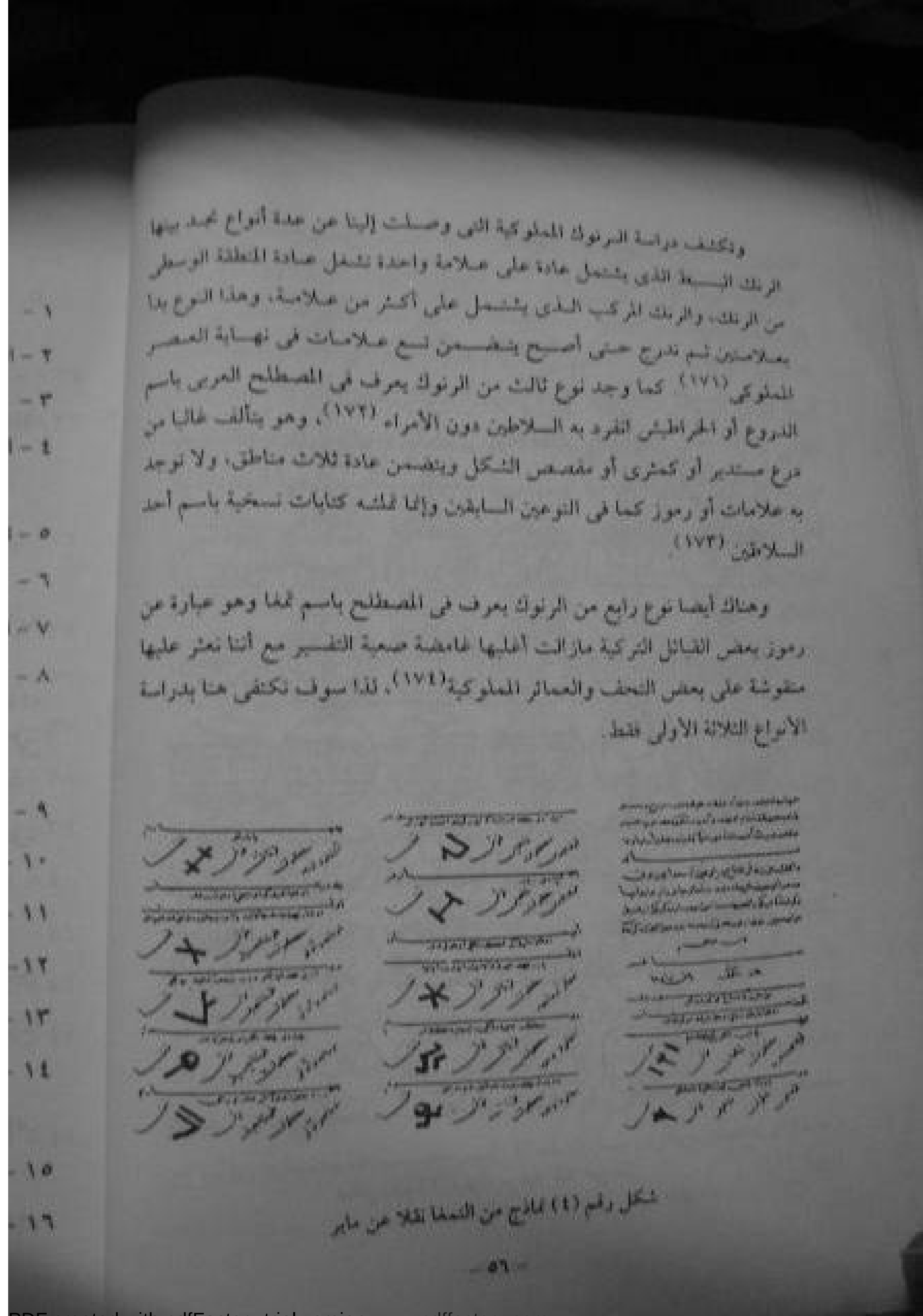
ويعد النسر مزدوج الرأس أيضا من الرنوك الشخصية المبكرة فقد اتخذه الحاكم الأرتقى ناصر الدين محمود الذى حكم ديار بكر فى الفترة من ٥٩٧-٦١٩هـ/ ١٢٠١-١٢٢٢م، كما ورثه عنه سلطان قونيه السلجوقى علاء الدين كيقباد الذى حكم فيما بين ٦١٦-٦٣٤هـ/ ١٢١٩-١٢٣٧م.

ويفهم كذلك من المؤرخ أبو الفداء ان الرموز الشخصية كانت شائعة الاستخدام عند بعض الأسرات التركية، فقد ذكر بصدد حديثه عن بلاط خوارزم شاه محمد بن تكش الذى حكم فيما بين سنتى ٥٩٦-٦١٧هـ/ ١٢٠٠-١٢٢٠م ان رجاله كان يتخذون أعلاما بها شعارات سوداء تساعد فى التعرف

عليهم(١٦٧). لذا يرجح عالم الآثار الإسلامية الراحل ميشيل مايكه ان هؤلاء الخوارزمية كانوا بمثابة المصدر الذى أخذ عنهم المماليك فن الرنوك، وأرجع ذلك إلى اجتياح جيوش المغول بقيادة جنكيز خان لأقليم التركستان فى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وتشريده للخوارزمية الذين اضطروا الى ترك أوطانهم حيث قصد فريق منهم بلاد سلاجقة الروم فاستخدمهم السلطان كيقباد السلجوقى ثم انتقلوا من خدمته الى خدمة السلطان الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب، الذى يعد مملوكه عز الدين أيبك أول من أشارت المصادر الى رنكه الوظيفى. كما حاول أيضا أن يؤكد على علاقة الخوارزمية بالمماليك من خلال الإشارة الى زواج الظاهر بيبرس البندقدارى أحد المماليك الصالحية الذى تولى السلطنة فيما بعد سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، الذى حمل أحد أبناء السلطان الظاهر بيبرس اسمه وتلقب بالملك السعيد بركه خان بعد توليه السلطنة عقب وفاة أبيه فى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م. ومن المعروف أنه أقيم لهذا القائد منصب تذكارى فى مدينة القدس سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م مازال يحتفظ برنكين بهما بعض الرموز الغامضة التى تقوم دليلا على معرفة القادة الخوارزمية للرنوك الشخصية التى ورثها عنهم المماليك(١٦٨)، الذين عنى سلاطينهم بها إلى درجة ان السلطان الإشرف خليل بن قلاوون أمر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بعد الفراغ من بناء الإيوان بالقلعة عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م أن يصور جميع الأمراء فيه وجعل لكل أمير رنكه على رأسه(١٦٩). كما حرص أكابر الأمراء فى مجالس بيوتهم على ان ينصب للأمير بشميخ خلف ظهره من الجوخ المزهر بالجوخ الملون، برنك ذلك الأمير، وطراز فيه ألقابه.. فقد كان من عادة كل أمير من كبير وصغير أن يكون له رنك يخصه ما بين هناب، أى كأس، أو دواة، أو بقجة، أو فرنسية ونحو ذلك، بشطفة واحدة أو شطفتين، بألوان مختلفة، كل أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك(١٧٠).



شكل رقم (٣) رنوك مركبة نقلاً عن ماير



وتكشف دراسة الرنوك المملوكية التي وصلت إلينا عن عدة أنواع نجد بينها الرنك البسيط الذي يشتمل عادة على علامة واحدة تشغل عادة المنطقة الوسطى من الرنك، والرنك المركب الذي يشتمل على أكثر من علامة، وهذا النوع بدأ بعلامتين ثم تدرج حتى أصبح يتضمن تسع علامات في نهاية العصر المملوكي (١٧١). كما وجد نوع ثالث من الرنوك يعرف في المصطلح العربي باسم الدروج أو الطراطيش انفرد به السلاطين دون الأمراء (١٧٢)، وهو يتألف غالبا من درع مستدير أو كمثرى أو مقصص الشكل ويتضمن عادة ثلاث مناطق، ولا توجد به علامات أو رموز كما في النوعين السابقين وإنما تملئه كتابات نسخية باسم أحد السلاطين (١٧٣).

وهناك أيضا نوع رابع من الرنوك يعرف في المصطلح باسم تمغا وهو عبارة عن رموز بعض القبائل التركية مازالت أغلبها غامضة صعبة التفسير مع أننا نعثر عليها منقوشة على بعض التحف والعمائر المملوكية (١٧٤)، لذا سوف نكتفي هنا بدراسة الأنواع الثلاثة الأولى فقط.

شكل رقم (٤) نماذج من الطمغا نقلا عن ماير

حواشي الفصل الثاني

١ - D. Ayalon, L'esclavage, pp. 25-26.

٢ - الباز العريني، المماليك، ص ١٣٣.

٣ - ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ١٨٣-١٨٤.

٤ - المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٣١٤-٣١٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٦، ص ١٨.

٥ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص ٦٩.

٦ - المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٨٧٥-٨٧٦.

٧ - السخاوى، الضوء، جـ٣،ص ٤٠.

٨ - ابن تغرى بردى، المنهل، جـ٤، ص ٢١٨؛ النجوم، جـ١٦،ص٣١٨؛ السخاوى، الضوء، جـ٣، ص ٦٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٤٠٢.

٩ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ورقة ١٥٧أ.

١٠ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ورقة ١٧٤أ.

١١ - السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٠، ص ١٦٤.

١٢ - السخاوى، الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٠١.

١٣ - ابن تغرى بردى، النجوم، طبعة بوبر، جـ٧،ص ٦٣٦.

١٤ - D. Ayalon, L'esclavage, p. 26؛ عبدالمنعم الماجد، دولة سلاطين المماليك، جـ١، ص ١٤٥.

١٥ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢١٢.

١٦ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٤، ص ٢٠٩.

١٧ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٥، ص ٢١١.

١٨ - D. Ayalon, L'esclavage, p. 26.

١٩ - العينى، عقد الجمان، جـ٢، ص ٢٢.

٢٠ - الباز العرينى، المماليك، ص ١٤٤.

٢١ - بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، جـ٩، ٢٦٧-٢٦٨.

٢٢ - الباز العرينى، المماليك، ص ١٤٥.

٢٣ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ورقة ٤٢٢أ.

٢٤ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ١، ورقة ٤٥٧أ؛ جـ٣، ورقة ٤٢٥أ.

٢٥ - ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ورقة ٤٢١أ؛ الباز العرينى، المماليك، ص ١٤٦.

٢٦ - العمرى، التعريف، ص ٧٣؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٤؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٤؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢١٥، ابن شاهين، زبدة، ص ١١٠.

٢٧ - D. Ayalon, The Mamluk Army, II, p. 467. ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٠؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣.

٢٨ - ابن الشحنة، الدر المنتخب، بيروت ١٩٠٩، ص ٢٥٩.

٢٩ - زتير شتين، تاريخ المماليك، ص ١٦٩، المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٣٣٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم، طبعة بوبر، جـ٧، ص ٣٦٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٢؛ جـ٤، ص ٢٣٠، ٣٩٨.

٣٠ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١١٣، ١٦٥، ١٩٥؛ جـ٥، ص ٥٣، ٧٦، ٨٣؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٥٥.

٣١ - زتير شتين، تاريخ المماليك، ص ١٥٧؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٦٨١،

ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص ٦٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٥٧؛ الضوء اللامع، جـ٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٨٢؛ جـ٤، ص ٢١٢.

٣٢ - حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٥٠-٢٥١.

٣٣ -القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٤٤؛ صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٤؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١٣٠. D. Ayalon, The Mamluk Army, II. p. 468.

٣٤ - ابن تغري بردي، النجوم، طبعة بوبر، جـ٧، ص ٢٣٧؛ حوادث الدهور، ص ٢٨١.

٣٥ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص ٣٤٤.

٣٦ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص ٤٥٢.

٣٧ - ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ص ٦٣١.

٣٨ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٢١٨.

٣٩ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٣٠، ٢٧٧.

٤٠ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٣٥٨، ٤٣٤.

٤١ - ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٥، ص ٢.

٤٢ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٢٣٩؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣.

٤٣ - القلقشندي، صبح، جـ٤، ص ١٦؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣؛ محمود نديم، الفن الحربي، ص ٧٢.

٤٤ - القلقشندي، صبح، جـ٤، ص ١٦، ١٧؛ ضوء الصبح، ص ٢٧٣؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٢؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٣-٢٠.

٤٥ - ابن شاهين زبدة، ص ١١٢، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤١٨؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦ ؛حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٣-٢٠.

٤٦ - المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢.

٤٧ - القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦, ٢٤٧.

٤٨ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٢٥-٢٢٧.

٤٩ -القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٥٥؛ ضوء الصبح، ص ٣٤٣.

٥٠ - القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦.

٥١ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤؛ الخالدى، المقصد الرفيع الحاوى إلى صناعة الإنشاء، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥، ورقة ١٢٤ب.

٥٢ - القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٩؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢.

٥٣ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤؛حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٢، ص ٥١٩-٥٢٠؛ M.Van Berchem Corpus, Egypte, I. p. 363.

٥٤ - القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨-١٩؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤.

٥٥ - السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص ٩٩-١٠١؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٧٥-١٧٦.

٥٦ - M. Van Berchem, Corpus, Egypte, I. p. 537.

٥٧ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٨؛ جـ٥، ص ٤٥٥؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٦، ٣٤٣؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤.

٥٨ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٩، ٤٤؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤.

٥٩ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٣٧٠؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٣٨٨.

٦٠ - القلقشندي، جـ٤، ص ٢٠؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٩٦-١٩٧.

٦١ - العمري، التعريف، ص ٩٠، ٩٨؛ السبكي، معيد النعم، ص ٢٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢٠، ٤٦، ٤٩، ٥٣؛ جـ٦، ص ١٩٩-٢٠٢؛ جـ٨، ص ٢٩٩؛ جـ٩، ص ٢٥٤؛ جـ١١، ص ١٦٦-١٧٣؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٧؛ المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢.

٦٢ - القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٤٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٤٤.

٦٣ - M.Van Berchem, Corpus, Egypte, I. p. 228.

٦٤ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢١؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٧.

٦٥ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٦؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٣٤٥.

٦٦ - المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢٢٢.

٦٧ - القلقشندي، صبح، جـ٤، ص٢١؛ جـ٥، ص ٤٦٣؛ ضوء الصبح، ص ٢٤٧.

٦٨ - محمد مصطفى، صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور، القاهرة ١٩٥١، ص ١٥؛ ابن شاهين، زبدة ص ١١٤؛ الخالدي، المقصد الرفيع، ورقة ١٢٧أ؛ Van Berchem, Corpus, Egypte, I. p. 272.

٦٩ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤.

٧٠ - حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٠٥.

٧١ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٠، ٢١؛ ضوء الصبح، ص ٤٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٣، ص ٦١٤؛ ابن شاهين، زبدة ص ١١٤.

٧٢ - المقريزي، السلوك، جـ١، ص ٧٩٤.

٧٣ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٦١؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٥٨-٢٥٩.

٧٤ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣.

٧٥ - ابن حجر الدرر، جـ١، ص ٤١٨؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ٢٦٠؛ السخاوي الضوء، جـ٣، ص ٢٦، ٢٨١؛ جـ٦، ص ١٩٦؛ جـ١٠، ص ٢٨٩؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم، طبعة بوبر، جـ٦، ص ٥١٥.

٧٦ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٣.

٧٧ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣، وراجع أيضا Quetremére; Sultans mamelouks, I, p. 173.

٧٨ - المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢١٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٥

٧٩ - القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٤٩؛ صبح الأعشى، جـ٤، ص ٢١، ٢٣؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٤.

٨٠ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٤-٢٧؛ جـ٧، ص ١٥٨؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٣٢-٢٣٣.

٨١ - القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٦٤-٢٦٥.

٨٢ - المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢١٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، طبعة بوبر، جـ٧، ص ٥٩٧؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٤٠، ٤٤، ١٠٨؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص ٤٤؛ السخاوي، الضوء، جـ٣، ص ٢٩٦؛ جـ٦، ص ١٩٨، ص ١٩٨؛ جـ١٠، ص ٢٠٥.

٨٣ - المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٢١٦؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣.

٨٤ - حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٣٨.

٨٥ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٥.

٨٦ - القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٤٥-٢٤٩.

٨٧ - ابن شاهين، زبدة، ص ١١٣؛ وراجع أيضا M. Van Berchem, Corpus Egypte, I. p. 543.

٨٨ - القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٥.

٨٩ - غطاء للرأس اشبه بالتاج على شكل مثلث يلبس بغير عمامة، أنظر: المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٩٩؛ السلوك، جـ٣، ص ٦٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، جـ١١، ص ٣٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص ٨٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص ١٤٥.

٩٠ - المقريزي، الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠.

- المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠-٣٨١.

- العينى، عقد الجمان، جـ٣، ص ٢٤٨.

- القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٧٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٨، ص ٢١٩؛ جـ٩، ص ١٣-١٤.

- المقريزى، السلوك، جـ٢، ص ٣٣٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص ٩٩.

- محمد موسى هنداوى، المعجم فى اللغة الفارسية، ص ٥٠.

- على إبراهيم حسن، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، ص ١٩٦؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٧٠؛ أحمد عبـدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادى والعشرون، ١٩٧٤، ص ٦٧.

٩ - L.A. Mayer, Saracenic Heraldry, A. Survey, Oxford, 1933, p.22; M.A. Marzouk, Egyptian Sagraffito Ware Excavated at Kom ed-Dikka, BFAA, XIII, 1959, p.10.s

٩٨ - Esin Atil, Art of the Mamluks, Washington, 1981, pp. 20, 67, 190.

٩٩ - L.A.Mayer, Saracenic, p. 1; Esin Atil, Art of Mamaluks, pp.20,215;s P. Balog, The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964. p.21.

١٠٠ - Esin Atil, Art of the Mamluks, p. 20.

١٠١ - Gayet, L'art arabe, Paris, 1894, p. 281.

١٠٢ - ابو الفداء، المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٣١٥هـ، جـ٣، ص ٤٦٩؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٢، ص ٧٤١-٧٤٣.

١٠٣ - لفظة تتألف من كلمتين: دواه العربية وهي ما يكتب منه، ودار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى الكلي ممسك الدواه أو الموكل بها. وقد عرفت هذه الوظيفة في عصر العباسيين. وعند السلاجقة والأتابكة والأيوبيين وانتقلت منهم إلى دولة المماليك، ولم يكن للسلطان دوادارا واحدا، بل ربما بلغ الدوادارية عشرة من الأمراء، والجند. أنظر حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ٢، ص ٥١٩-٥٢١.

١٠٤ - أشار حسن الباشا إلى أن ابو الفداء، ذكر في تاريخه ان الطشتدار كان اذا أمر اتخذ رنكا على هيئة ابريق. أنظر الفنون والوظائف، جـ٢، ص ٧٤٢ وذلك نقلا عنماير Saracenic, pp. 4-5 مع أن ابو الفداء ذكر ان رنك الطشتدار المسينية أنظر المختصر، جـ٣، ص ١٤٩، والمسينية تعني الصينية أنظر **Dozy, Supplement aux dictionnairs arabes, Leiden, 1881, II, p. 593.**

١٠٥ - اسم وظيفة تتألف من طشت المحرفة عن طست العربية، ودار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى الكلي ممسك الطست أو المكلف به، وكان يتولى صب الماء على يد مخدومه، أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٠-١١، جـ٥، ص ٤٦٩؛ حسن الباشا، الفنون، جـ٢، ص ٧٤١-٧٤٣.

١٠٦ - **Esin Atil, Art of the Mamluks, pp. 21, 186,** ومع ذلك فقد ذكر ابو الفداء، في المختصر، جـ٣، ص ١٤٩، ان شعار السلحدار القوس، ولعله كان يعني بذلك السلاح بصفة عامة خاصة وقد أثبتت الدراسات التاريخية والأثرية ان القوس كان رمزا للبندقدار كما سوف نرى فيما بعد.

١٠٧ - لفظة تتألف من مقطعين، سلاح العربية ودار الفارسية، بمعنى ممسك

السلاح، وهى تطلق على كل من كان يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٦٢.

- ورد هذا الشعار مصحوبا باسم الوظيفة البندقدار، على رقبة مشكاة من مصر ترجع إلى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م محفوظة بمتحف المتروبوليتان فى نيويورك، وهو عبارة عن قوسين ذهبيين متقاطعين أنظر Artin, Description de quatre lampes en verre emaillé et armoiriées, BIE; serie 1, 1907, Pl. I.

١ - اسم وظيفة يتألف من لفظين بندق الفارسي المعرب وهو يعنى البندق الذى يرمى به، وهو منقول عن البندق الذى يؤكل، ودار الفارسية التى تعنى الممسك، والمعنى الأجمالى هو ممسك البندق أى الأمير المكلف بحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٢، ص ١٣٧، جـ٥، ص ٤٥٩.

١١٠ - أشار أبو الفداء، المختصر، جـ٣، ص ١٤٩، ان هذا الشعار كان عبارة عن نعل، ولعله قصد به حدوة الفرس، أنظر حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ١، ص ١٧٧.

١١١ - لفظة تتألف من أمير العربية، وأخور الفارسية التى تعنى المعلف وكانت تطلق على القائم بأمر الدواب من خيل وبغال وابل وغيرها. أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٩-٢٣؛ جـ٥، ص ٤٦١.

١١٢ - أبو الفداء، المختصر، جـ٣، ص ١٤٩، على حين زعم البعض أنها كانت رمزا للأستادار أنظر حسن الباشا، الفنون، جـ١، ص ١٧١؛ جـ٣، ص ١٣٥٩.

١١٣ - لفظة تتألف من مقطعين: جاما أو جامة التركية بمعنى الثوب، ودار

الفارسية بمعنى ممسك، فيكون المعنى الاجمالى ممسك الثوب أو الوصيف الذى يلازم السلطان أو الأمير لإلباسه ثيابه، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٥٩.

١١٤ - أبو الفداء، المختصر، جـ٣، ص ١٤٩.

١١٥- هو أحد أربعة من جنود الحلقة الذين كانوا يسيرون أمام السلطان فى مواكبه للنداء ولتنبيه المارة. أنظر، المقريزى، السلوك، جـ١، ص ٨٧٠.

١١٦ - **Mayer, Saracenic, pp. 5, 10, Esin Atil, Art of the Ma-mulks, pp. 21,66**

١١٧ - لقب يطلق على الذى يتولى مد السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك، ويجوز ان يكون لقب بذلك لان سقى المشروب كان آخر عمله الذى يختم به وظيفته، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٥٤.

١١٨ - **Mayer, Saracenic, p. 5, Esin Atil, Art of the Mamluks, p. 21.**

١١٩ - لفظة تتألف من مقطعين: جوكان الفارسية بمعنى العصى المحنية أو المحجن الذى تضرب به الكرة ويعبر عنه أيضا بالصولجان، ودار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى الإجمالى ممسك الجوكان، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤٥٨.

١٢٠ -ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٧، ص ٤٤؛ المنهل الصافى، جـ١، ص ٣.

١٢١ - وهو الذى يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من ان يدس عليه فيه سم ونحوه، وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاشنا أو جاشنى ومعناه الذوق، والثانى كير ومعناه المتعاطى، لذلك فان المعنى الاجمالى هو الذى يذوق، وربما حرفه



الفصل الثالث

الرنوك البسيطة

الفصل الثالث

الرنـــوك البسيطة

ويقصد بها الرنوك التى تتضمن شعارا واحداً وهى كثيرة ومتنوعة ونجدها منقوشة على العمائر والتحف والعملة المملوكية وتنقسم بدورها إلى نوعين رنوك شخصية خاصة بالسلاطين والأمراء، ورنوك وظائفية تشير الى الوظائف التى كان يشغلها المماليك فى البلاط السلطانى أو لدى أحد الأمراء.

أولا : الرنوك الشخصية

وهى تضم إما رموزا حيوانية أو بعض الطيور أو النباتات وقد تضم أيضا رسوما للأسماك وإن كنا نعتقد ان الأخيرة لا صلة لها بفن الرنوك كما يعتقد البعض بل تمثل بالدرجة الأولى عنصرا زخرفيا، شأنها شأن البطة التى قيل أنها تعنى بالتركية اسم قلاوون [1].

السبع :

وهو يعد من أشهر الرنوك الشخصية ربما لارتباطه بأشهر سلاطين دولة المماليك البحرية السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) حيث وصلنا من عهده ما يقرب من ثمانين سبعا نقشت على عمائره المختلفة التى شيدت فى كل من مصر وبلاد الشام، نجد أقدمها فى قلعة من سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، وأحدثها على بوابة زاوية القلندرية بدمشق التى شيدت قبل سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

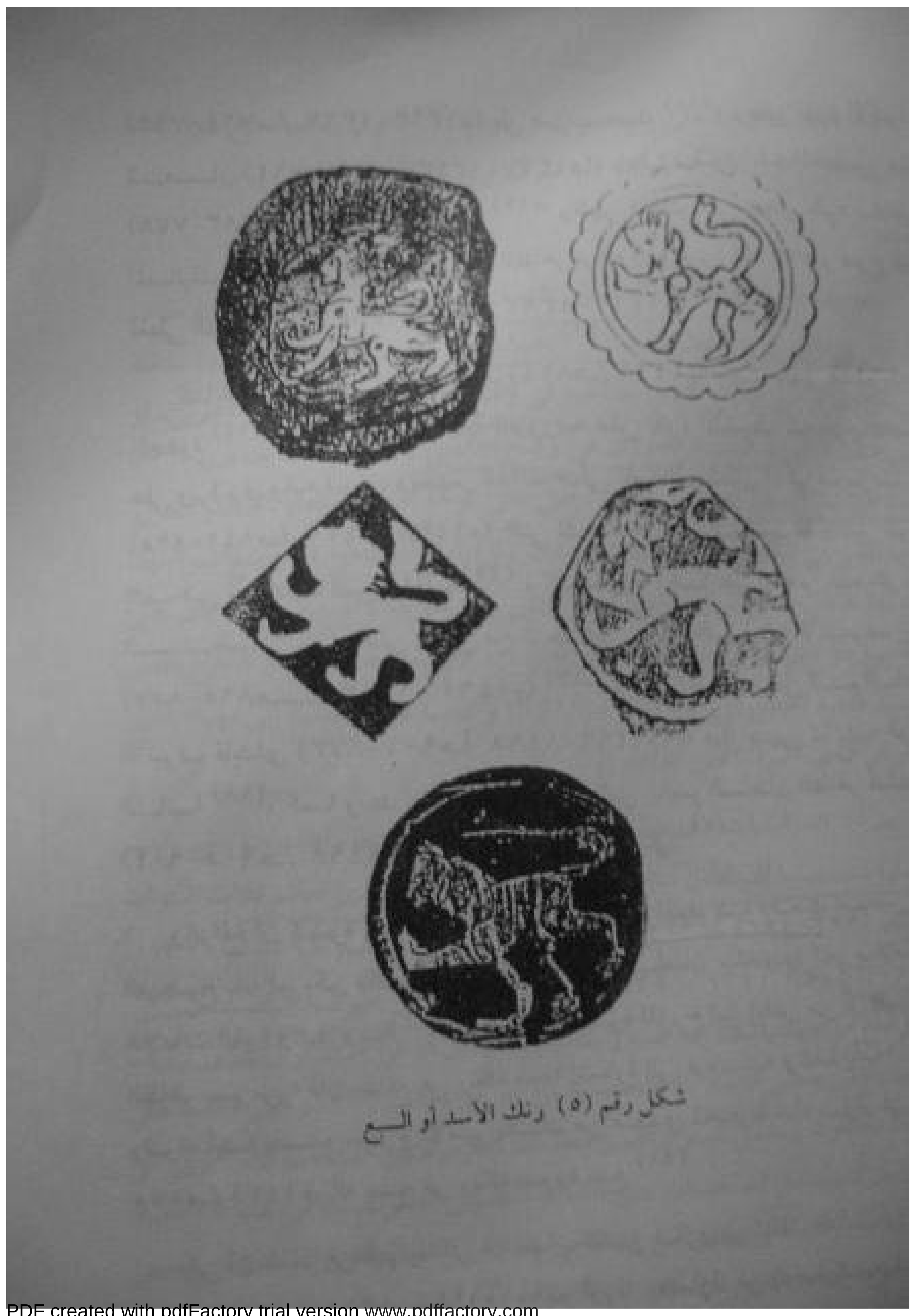
ويبدو أن كثرة السباع على عمائر السلطان الظاهر بيبرس قد أثارت حفيظة

بعض سلاطين المماليك فقد أشارت المصادر المعاصرة إلى قيام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بمحو السباع الظاهرية في سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م من فوق إبراج وأبواب وجدران القصر الأبلق بدمشق (٢)، كما أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بكسر السباع الحجرية التي كانت تعلو قناطر السباع في سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م فوق الخليج، وبرميها في البحر لكراهته النظر لأثر أحد من الملوك قبله، وبغضه ان يذكر لأحد غيره شئ يعرف به، بيد انه سرعان ما أمر الأمير علاء الدين المرواني والي القاهرة باعادتها الى مكانها بعد ان تحدث الناس ان السلطان له غرض في إزالتها لكونها رنك سلطان غيره (٣).

وغالبا ما يمثل هذا الشعار حرا بلا إطار، زاحفا من اليمين إلى اليسار أو العكس، رافعا ذنبه فوق ظهره، ورجله اليمنى إلى الإمام، وقد ينقش أيضا على هيئة زوجين متقابلين، كما هو الحال على نفيس عقد شباك المدرسة الظاهرية بالقاهرة التي شيدت فيما بين ستى ٦٦٠-٦٦٢هـ/ ١٢٦٢ - ١٢٦٣م (٤)، ومع ذلك فقد وصلنا بعض الأمثلة التي نقشت داخل مناطق مستديرة من بينها رنك منقوش على باب مصفح بالنحاس محفوظ في متحف فكتوريا والبرت في لندن، وآخر بقلعة الشقيف في لبنان (٥).

ويصادفنا هذا الشكل الأخير أيضا على العديد من التحف المملوكية المصنوعة من الفخار المطلي (٦) ومن الزجاج المموه بالمينا (٧)، ووجد كذلك على بعض شبابيك القلل المملوكية (٨)، وان خلت هذه التحف من اسم السلطان الظاهر بيبرس مما يجعل من الصعب تأكيد نسبتها إليه.

ووجد رنك السبع أيضا على نقود الظاهر بيبرس (٩)، وعلى نقود ابنه السعيد بركه خان (٦٧٦-٦٨٧هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م)(١٠)، كما وجد على نقود بعض سلاطين أسرة بني قلاوون وبالتحديد على نقود السلطان المنصور محمد



شكل رقم (٥) رنك الأسد أو السبع

(٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م) من ضرب حماه [١١]، وعلى نقود الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٧م)، وعلى نقود ابنه المنصور علي (٧٧٨-٧٨٣هـ/ ١٣٧٧-١٣٨١م) [١٢]، وظهر كذلك على بعض نقود سلاطين المماليك الجراكسة كنقود السلطان الظاهر برقوق ونقود ابنه الناصر فرج التي تغطي الفترة من سنة ٧٨٤-٨١٥هـ/ ١٣٨٢-١٤١٢م) [١٣].

كما نجده على نقود المظفر أحمد (٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) حيث يتميز السبع بذيله المعقود [١٤] كما هو الحال بالنسبة لصورته على نقود الأشرف شعبان والمنصور علي وبرقوق وابنه فرج. ويظهر كذلك على نقود السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) التي تشاهد على بعضها سبعا له ذيل طويل إلتف في نهايته الى الخلف [١٥]. كما ورد أيضا على بعض عمائر هذا السلطان [١٦]، وعلى فلس من النحاس باسم السلطان الأشرف إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦١م) [١٧]، وعلى آخر يحمل اسم السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) له ذيل ينتهي بما يشبه الورقة النباتية [١٨]. كما وجد على فلس من النحاس باسم السلطان الظاهر قانصوه (٩٠٤-٩٠٥هـ/ ١٤٩٨-١٥٠٠م) زاحفا من اليسار [١٩].

والواقع ان كثرة رسوم السباع على العملة المملوكية دفعت البعض إلى الترجيح بأنه لم يكن دائما بمثابة رمز شخصي للسلطان بقدر ما كان علامة من علامات القوة والفروسية [٢٠]، بدليل ما ذكره المؤرخ ابن إياس من أن السلطان الظاهر بيبرس «كان يصنع في رنكه سبعا إشارة إلى فروسيته وشدة بأسه» [٢١] وقوله أيضا بصدد خروج الأمير يشبك من مهدي لمحاربة شاه سوار في سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧١م، أنه صنع في رنكه صورة سبع [٢٢].

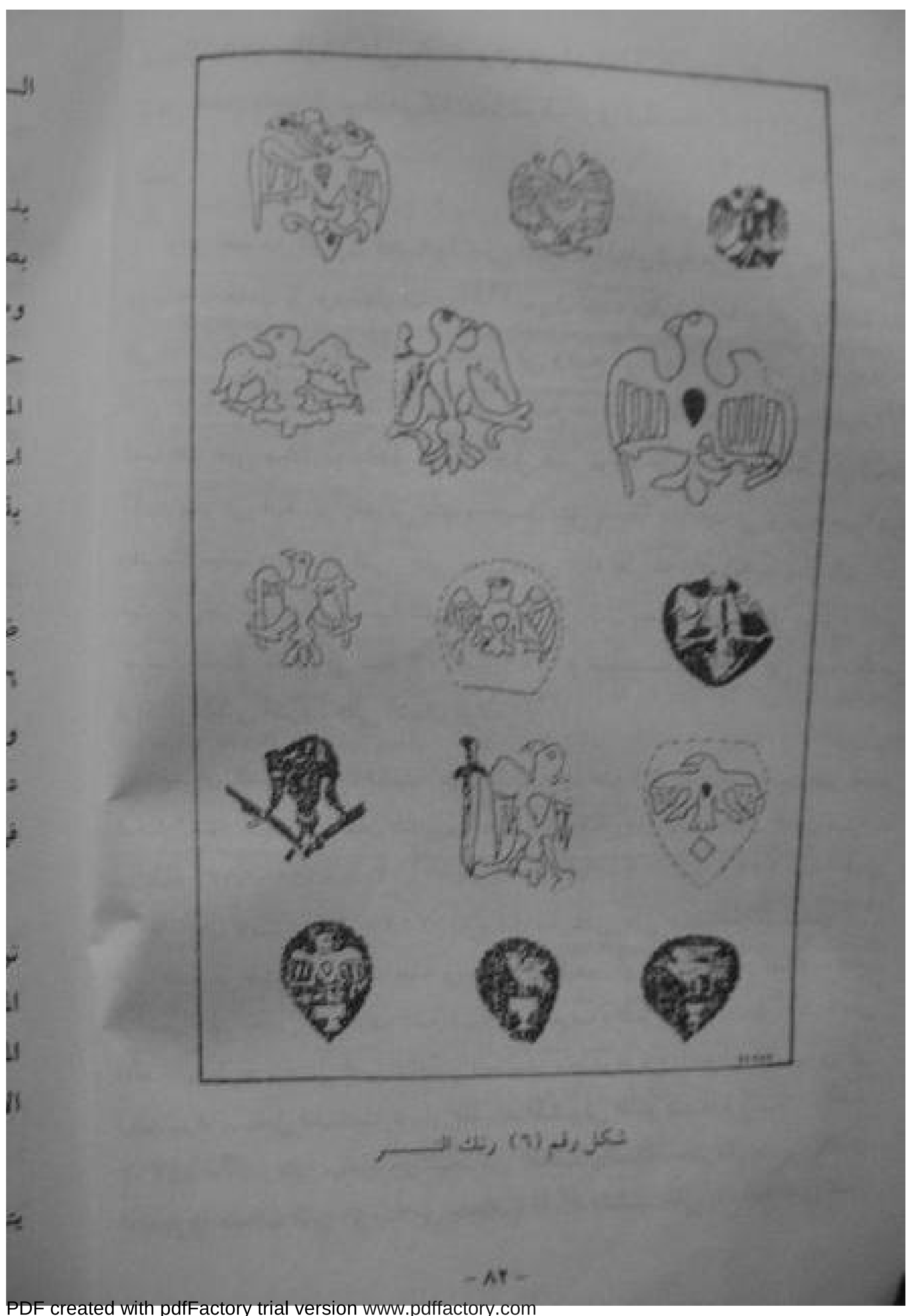
بقي أن نشير في النهاية الى ان شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر (٦٠٨-٦١٧هـ/ ١٢١١-١٢٢١م) حاكم أورفا يعد أول من إتخذ السبع شعارا

له حيث يظهر منقوشا على باب حران فى أورفا [٢٣]، وان رنك السبع ورد أيضا ضمن بعض رموز الرنوك المركبة كما سوف نرى فيمابعد.

النسر:

وهو يعد من الرنوك الشائعة على التحف المملوكية من فخار مطلى وخزف وزجاج ومعادن بل ومخطوطات [٢٤] حيث نجده منقوشا إما برأس واحدة ملتفتة إلى اليمين أو إلى اليسار ناشرا جناحيه فى وضع مواجهة، أو برأسين متدابرين، أو على هيئة طائر قد استعد للطيران فى وضع جانبى وقد نشر أحد جناحيه [٢٥]، كما عثر على مثال له داخل قلعة الجبل على لوحة حجرية تعلو الجدار المجاور لباب السر فى القسم الغربى منها، حيث مثل باسطا جناحيه فى وضع مواجهة، وقد بدا حاليا مهشم الرأس، على حين نقش ذيله بطريقة زخرفية بحيث ظهر على هيئة مروحة نخيلية سداسية الشحمات [٢٦]، كان يعتقد أنه شعار صلاح الدين مشيد قلعة الجبل فى سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م كما نسب أيضا إلى بهاء الدين قراقوش الذى أشرف على أعمال البناء [٢٧].

بيد أن الدراسات الحديثة قد أثبتت خطأ هذه النظرية واعتبرت رمز النسر شعارا شخصيا للسلطان الناصر محمد بن قلاوون الذى حكم ثلاث فترات منقطعة (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م، ٦٩٨ - ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٠٩م، ٧٠٩ - ٧٤١هـ/ ١٣١٠-١٣٤١م) بدليل أنه نقش على عملة هذا السلطان [٢٨] فى وضع مواجهة باسطا جناحيه وملتفتا إلى اليمين أو الى اليسار، كما ورد أيضا برأسين على بعض العملات النحاسية من ضرب دمشق [٢٩]، وظهر أيضا على فاتحة مخطوط يحمل اسم الناصر محمد، محفوظ فى المتحف الآسيوى فى لينجراد يسجل انتصاره على القائد المغولى قطلو شاه فى سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م [٣٠]. وعلى مبخرة من النحاس المكفت بالفضة محفوظة حاليا ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة [٣١]، تنسب على الأرجح الى نفس



شكل رقم (٦) رنك النسـر

السلطان في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وظهر كذلك على العديد من التحف المنسوبة الى بعض مماليكه الذين حرصوا بدورهم على اثبات شعار أستاذهم على التحف المصنوعة برسمهم إما مفردا أو بصحبة رموزهم الدالة على الوظائف التي كانوا يشغلونها في بلاط هذا السلطان. ومن أقدم هذه التحف مبخرة كروية الشكل من النحاس المكفت بالفضة، محفوظة حاليا في المتحف البريطاني في لندن [٣٢] صنعت برسم الأمير بدر الدين بيسرى المتوفى في سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م، نقش عليها نسر برأسين متدابرين، رأت فيه اسين أتيل عنصرا زخرفيا بحتا، لا علاقة له برنك النسر على الاطلاق، مخالفة بذلك [٣٣] كل ما يرو عبدالعزيز مرزوق [٣٤].

وورد أيضا على صدرية [٣٥] وعلى مزهرية [٣٦] من النحاس المكفت بالفضة ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة باسم الأمير قطز تمر المتوفى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، الذي كان أحد السقاة في بلاط السلطان الناصر محمد [٣٧]، وعلى زمزمية من الفخار الغفل من الطلاء محفوظة بالمتحف الوطني في دمشق [٣٨]، بالاضافة الى مشكاتين من الزجاج المموه بالمينا، في المتحف البريطاني في لندن [٣٩].

وجاء كذلك على بعض التحف التي تحمل اسم الأمير بهادر الحموي رأس نوبة الجمدارية في بلاط السلطان الناصر محمد من بينها مبخرة من النحاس المكفت بالفضة، محفوظة في المتحف الأهلي في فلورنسا [٤٠] وقطعة من الزجاج المموه بالمينا، عثر عليها في حفائر الفسطاط، ومحفوظة حاليا في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة [٤١].

ولدينا دليل آخر يؤكد نسبة هذا الرمز الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يتمثل في العثور على نص تاريخي يشغل أعلى الجدار الغربي للقلعة أسفل دورة



شكل رقم (٧) رنك النسر بقلعة الجبل

مياه مسجد محمد على، يشير الى قيام السلطان المذكور بانشاء برج فى شهر جمادى الأولى سنة ٧١٣هـ/ أغسطس ١٣١٣م [٤٢] بالقرب من رفرف أخيه الأشرف خليل [٤٣]، كان منقوشا أعلى هذا البرج فوق نسر قلعة الجبل المنسوب إلى صلاح الدين يؤيد ذلك ما ذكره أحد الرحالة الأتراك أوليا شلبي - Evliya Celebi الذى زار مصر فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى وأقام فى هذا البرج على مدى سبع سنوات (١٠٨٣-١٠٨٩هـ/ ١٦٧٢-١٦٧٨م فقد ذكر أنه كان يوجد أسفل نافذة غرفته بهذا البرج نقش كبير لطائر مبسوط الجناحين، له رأس مزدوج، يعلوه نص يتألف من ثلاثة أسطور [٤٤] الأمر الذى لا يدع مجالا للشك فى نسبة نسر قلعة الجبل الى السلطان الناصر محمد بدلا من صلاح الدين خاصة ولو تذكرنا أن كلا من نقش الناصر محمد المؤرخ فى سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م، ونقش النسر لا يحتلان مكانهما الصحيح فى الوقت الحالى، وإنما يشغلان جدار القلعة المجاور لباب السر كما أشرنا من قبل الذى أعيد تشييده فى زمن محمد على، وحسبنا دليلا على ذلك أن الفصل الذى كتبه جومار عن قلعة الجبل فى عام ١٨٢١م فى كتاب وصف مصر، يخلو تماما من الحديث عن هذا النسر، كما ان أحدا من الفنانين الذين رافقوا الحملة و،صوروا لنا كل ما شاهدوه بالقلعة لم يلاحظ وجوده، الأمر الذى يدفع الى الاعتقاد بان النسر كان قد سقط عن الجدران وفقد بين الأطلال، ثم عثر عليه بعد ذلك وتم تثبيته فى موضعه الحالى فى عهد محمد على فى سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤ - ١٨٢٥م [٤٥].

وجدير بالذكر ان رنك النسر ظهر أيضا على بعض النقود المملوكية من أسرة بنى قلاوون مثل نقود السلطان الصالح صالح (٧٥٢ - ٧٥٥ هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٤م) حيث نجده على بعض النقود النحاسية من ضرب حلب يسير جهة اليمين ملتفتا برأسه الى الخلف [٤٦]، ونجده كذلك على كسرة من الفخار المطلى

تحمل عبارة «الملك الصالح» محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة [٤٧].
وعلى تصويره ضمن مخطوط الحيل الهندسية للجزرى، محفوظ فى متحف الفنون الجميلة فى بوسطن، عمل برسم السلطان الملك الصالح، نقش عليها رنك مركب يتألف من نسر فى وضع مواجهة باسطا جناحيه فوق كأس [٤٨]. الأمر الذى يؤكد على أن رمز النسر كان شعارا شخصيا لهذا السلطان ولعله ورثه عن أبيه الناصر محمد بن قلاوون مثلما ورث السعيد بركة خان رنك السبع عن أبيه السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى.

ووجد النسر أيضا على بعض نقود السلطان المنصور محمد (٧٦٢-٧٦٤ هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م) حيث نقش سائرا جهة اليسار [٤٩]. وظهر كذلك على نقود السلطان الظاهر برقوق (٧٩٢-٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م) النحاسية فى وضع مواجهة باسطا جناحيه وملتفتا جهة اليمين [٥٠]، وعلى نقود السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٣-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) أقرب ما يكون الى النسر المنقوش على نقود السلطان المنصور محمد ولكنه متجه إلى اليمين [٥١].

والواقع ان عدم وجود رمز النسر على تحف أخرى تحمل اسم كل من السلطان المنصور محمد والسلطان الظاهر برقوق والسلطان الأشرف قايتباى دفعت البعض الى الترجيح بأنه لم يكن شعارا شخصيا لأى من السلاطين الثلاثة على عكس الحال بالنسبة لكل من الناصر محمد بن قلاوون وابنه الصالح صالح، بل كان مجرد علامة سلطانية ترمز الى القوة والنفوذ باعتبار ان النسر ملك الطيور [٥٢] ورمزا من رموز الملكية القديمة، ابتدعه أحد كهان السومريين القدماء، ثم انتقل منهم الى البابليين والحيثيين، ثم اقتبسه بعد ثلاثة آلاف سنة سلاجقة الترك فى سنجار [٥٣]، كما ظهر أيضا على نقود عماد الدين زنكى التى وجدت

زهرة اللوتس أو الفرنسيسة Fleur-de-lis

وتعد بدورها من الرنوك الشخصية التي مثلت بكثرة على التحف والعمائر المملوكية سواء مفردة (٥٤) أو مركبة مع رموز أخرى (٥٥) حيث مثلت بأشكال مختلفة ومتعددة من حيث تكوينها وشكل وريقاتها ونهاياتها العليا والسفلى. وهي من الرموز التي عرفت في الشرق منذ عهد قديم (٥٦) - كما إتخذها نور الدين زنكي شعارا له فقد وجدت على رخام الايوان الجنوبي في بيمارستانه الذي شيده في دمشق سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، وعلى محراب مدرسته التي شيدت بنفس المدينة فيما بين سنتي ٥٤٩-٥٦٩هـ/ ١١٥٤-١١٧٣م، وعلى عمودين بالمسجد الجامع في حمص كما سبق أن نوهنا من قبل، وحاول البعض نسبتها أيضا الى السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)، استنادا الى قيامه ببعض الإصلاحات في بيمارستان نور الدين زنكي كما يستشف من حجة الوقف الخاصة بهذا السلطان، مع ان هذا الرمز لم يرد على عمائر المنصور قلاوون ولا حتى على نقوده (٥٧)، ولم تذكره المصادر التاريخية التي اشارت الى وجود رنك لهذا السلطان دون تحديد رمزه، فقد روى المقريزي في أحداث سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ان العامة «صاروا يلطخون رنك السلطان في الليل بالقذر، فيتغافل عنهم وهو يسمع صياحهم في الليل ويبلغه فعلهم برنكه (٥٨)»، كما ذكر المؤرخ ابن تغري بردي نقلا عن الصفدي ان أنوك ابن السلطان الناصر محمد قد ورث رنك جده المنصور، دون أن يشير بدوره الى رمز هذا الرنك (٥٩).

ووجدت زهرة اللوتس أيضا على نقود خمسة من سلاطين بيت قلاوون إذ وردت الزهرة ثلاثية الشحمات على بعض نقود الناصر محمد، وعلى نقود المظفر حاجي، وعلى نقود الأشرف شعبان وعلى نقود المنصور علي، وعلى نقود الصالح حاجي (٦٠)، كما وردت نفس الزهرة على نقود كل من الظاهر برقوق (٦١) وابنه الناصر فرج (٦٢).



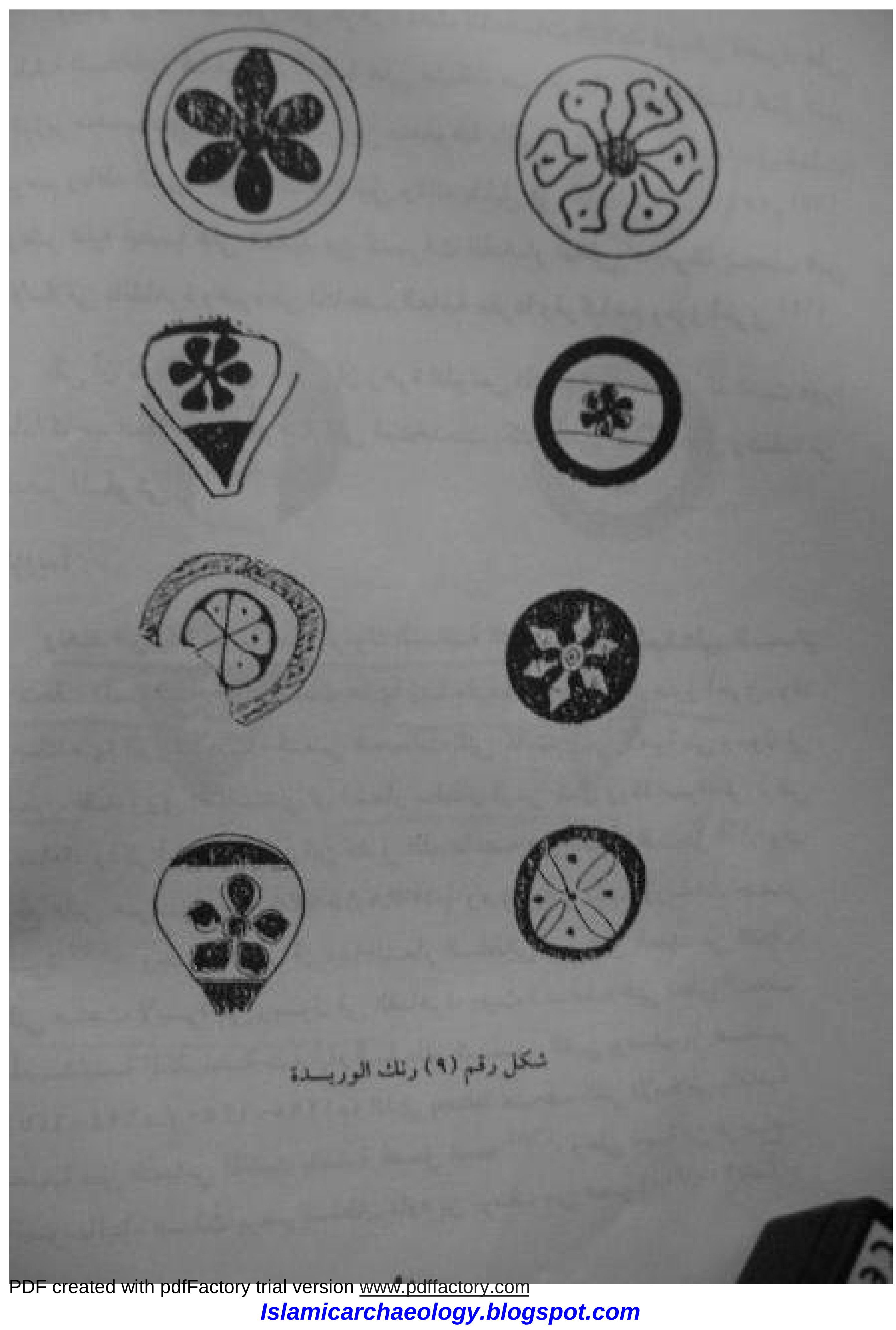
شكل رقم ([illegible]) رنك زهرة اللوتس

ويبدو أن هذا الشكل أى الزهرة ذات الشحمات الثلاث لم يكن قاصرا على طبقة السلاطين فقد وجد أيضا على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا تحمل اسم الوزير محمود بن على بن شيروين محفوظة بالمتحف الملكى الاسكتلندى عملت برسم رباطه الذى شيده بالقاهرة قبل وفاته بقليل فى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م (٦٧). وعثر عليه أيضا على العديد من كسرات الفخار المطلى المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وغيره من المتاحف العالمية مفردا ومركبا مع رموز أخرى (٦٤).

بقى أن نشير فى النهاية الى ان زهرة اللوتس المتعددة الشحمات قد لعبت دورا هاما كأحد العناصر الزخرفية التى استخدمت بكثرة على التحف التى وصلتنا من العصر المملوكى (٦٥).

الوريدة :

وتعد الوريدة أيضا من الرنوك النباتية التى وردت بكثرة على العمائر والتحف المملوكية حيث نقشت عليها إما مفردة أو مركبة مع رموز أخرى، وقد وصلنا منها الوريدة ذات الخمس شحمات التى كانت رمزا لأسرة بنى رسول فى اليمن، فقد روى القلقشندى ان «شعار سلطان اليمن كان وردة حمراء فى أرض بيضاء»، وذكر أيضا نقلا عن ابن فضل الله ما نصه «ورأيت أنا السنجق (٦٦) وقد رفع على عرفات سنة ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٨م وهو أبيض فيه وريدات حمر كثيرة»(٦٧)، وجدير بالذكر أن هذا الشعار السلطانى ورد على العديد من التحف التى صنعت لأسرة بنى رسول فى القاهرة، حيث نصادفه على بعض التحف المعدنية المكفتة منذ أيام السلطان شمس الدين يوسف بن عمر (٦٤٧-٦٩٤هـ/ ١٢٥٠-١٢٩٥م) الذى يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بصينية من النحاس المكفت بالفضة تحمل اسمه (٦٨)، وعلى قنينة من الزجاج المموه بالمينا عملت برسم السلطان داود بن يوسف بن عمر (٧٠٠-٧٢٠هـ/

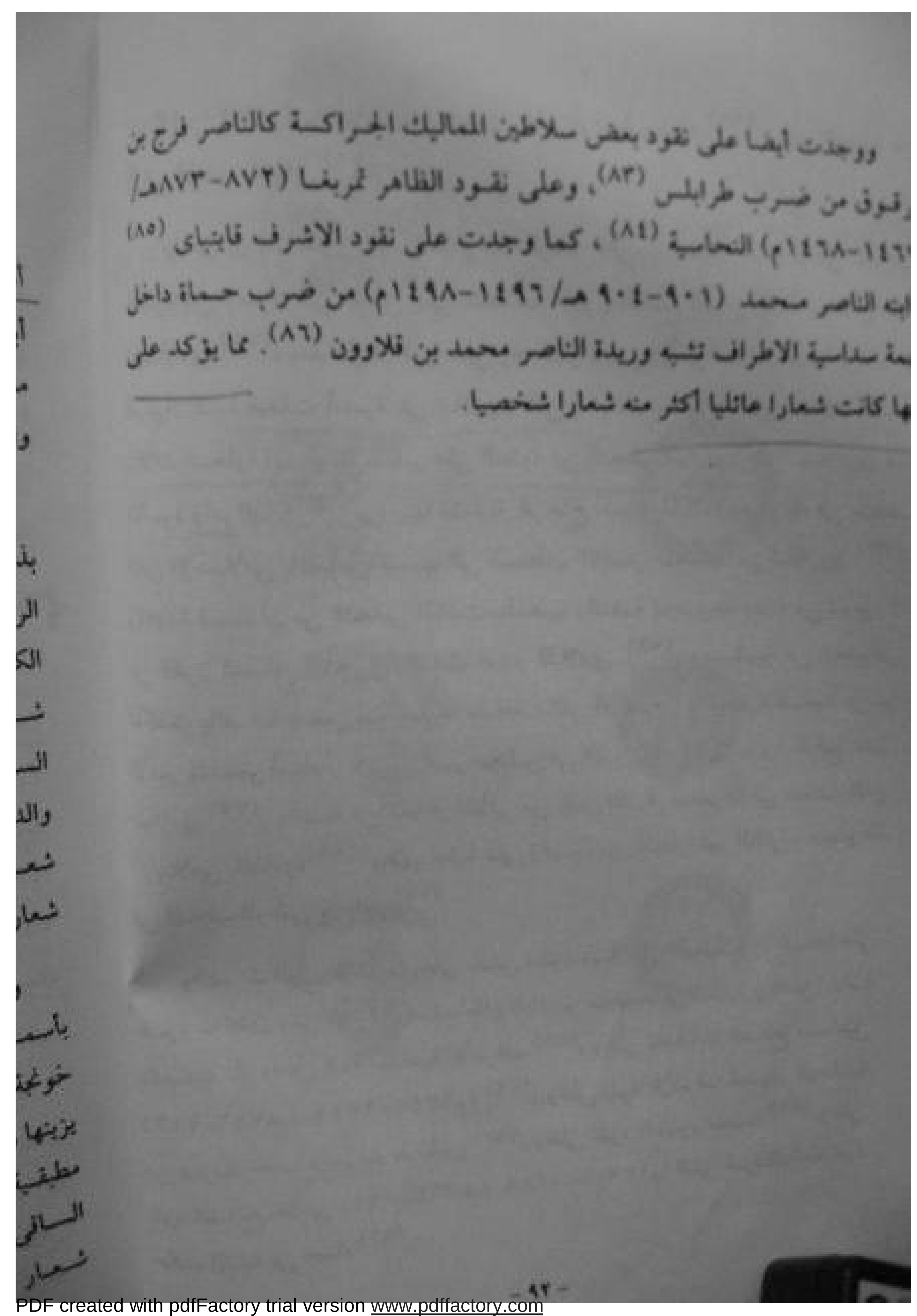


شكل رقم (٩) رنك الوريدة

١٣٠٠-١٣٢٠م) يزينها وريدة حمراء على أرضية بيضاء [٦٩] وعلى العديد من أوانى الفخار المطلى [٧٠].

والحق إن استمرار استخدام هذا الرنك على التحف المصنوعة فى القاهرة لأسرة بنى رسول فى اليمن حتى منتصف القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى [٧١]، يعد دليلا قويا على إحتكار بعض الأسرات الحاكمة لرنك من الرنوك كما فعلت أسرة بنى قلاوون التى إتخذت بدورها الوريدة ذات الست بتلات شعارا لها حيث نقش على العديد من التحف المنسوبة إلى سلاطين هذه الأسرة وأمرائها [٧٢]، من بينها مشكاة الزجاج المموه بالمينا، محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة تنسب الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٧٣]، وقاعدة شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة بمجموعة مدينة فى نيويورك من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى [٧٤]، وصدرية من النحاس المكفت بالفضة ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة صنعت برسم الأمير قشتمر أستادار طقزتمر أمير مجلس فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى [٧٥]. وزبدية من الفخار المطلى من نفس الفترة، محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة[٧٦] وظهر ايضا على زمزمية من الفخار غير المطلى، محفوظة فى المتحف الوطنى بدمشق [٧٧].

وظهرت الوريدة كذلك على بعض نقود سلاطين المماليك، إذ نجدها على نقود سلاطين بنى قلاوون كالسلطان الناصر محمد بن قلاوون داخل جامة مفصصة، أو داخل نجمة سداسية الأطراف [٧٨]، وعلى نقود ابنه الصالح اسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) [٧٩]، وعلى نقود الإشرف شعبان النحاسية من ضرب حلب وضرب طرابلس [٨٠]، وعلى نقود المنصور محمد [٨١] وعلى نقود الصالح حاجى (٧٩١-٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ - ١٣٩٠م) التى ضربت أثناء فترة حكمه الثانية فى حماه [٨٢].



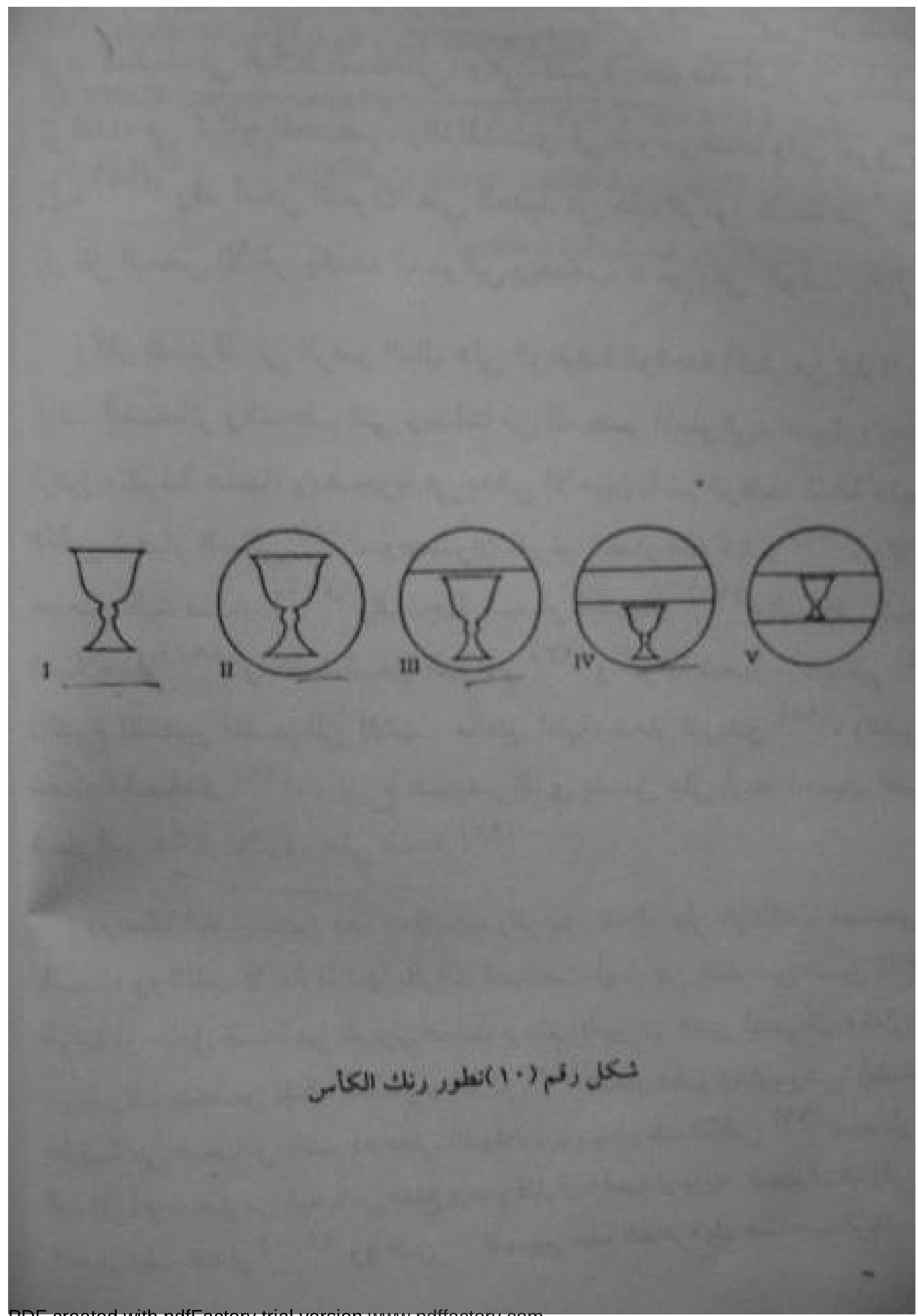
ووجدت أيضا على نقود بعض سلاطين المماليك الجراكسة كالناصر فرج بن
رقوق من ضرب طرابلس [٨٣]، وعلى نقود الظاهر تمربغا (٨٧٢-٨٧٣هـ/
١٤٦-١٤٦٨م) النحاسية [٨٤]، كما وجدت على نقود الأشرف قايتباى [٨٥]
ابنه الناصر محمد (٩٠١-٩٠٤ هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٨م) من ضرب حماة داخل
مة سداسية الأطراف تشبه وريدة الناصر محمد بن قلاوون [٨٦]. مما يؤكد على
نها كانت شعارا عائليا أكثر منه شعارا شخصيا.

ثانيا : الرنوك الوظائفية

ويقصد بهـا العلامات أو الرموز الدالة على الوظائف التى كـان يشغلها بعض أمراء المماليك فى البلاط السـلطانى، وهى كثيـرة ومتنوعة، أشار الى بعضها المؤرخ أبو الفداء فى كـتابه المخـتصر، والقلقشندى فى موسـوعتـه، وابن تغرى بردى فى منهله (٨٧)، وقد أمكن التعرف على العديد من هذه الرموز الدالة على الوظائف، وان ظل البعض الآخر يكتنفه الغموض ويصعب تفسيره فى الوقت الحالى.

وكان يشـترك فى الرمـز الدال على الوظيفـة الواحدة أكـثر من مملوك، يشـهد بذلك العمـائر والتحف التى وصلتنا من العـصـر المملوكى، حيـث وردت هذه الرموز منقوشة عليها، ومصحوبة فى بعض الأحيان باسم الوظيفة الدالة عليها مثل الكأس شعـار السـاقى (٨٨)، وعصـوان البولو شعـار الجوكندار (٨٩)، والقـوس شـعار البندقـدار (٩٠)، والبـقجة شـعـار الجمـدار (٩١) والسـيـف شـعـار السـلاحدار (٩٢)، والمقلمة شـعار الدوادار (٩٣) والخونجة شعـار الجاشنكير (٩٤)، والدرع المسـتدير المقسـم الى ثلاث مناطق أفقية، شعار البريدي (٩٥)، والدبوس شعار الجمـقدار (٩٦)، والدرع المسـتدير الذى يشتمل على أربعة قـضبـان أفقـيـة، شعار أمير شكار المشرف على الصيد (٩٧).

ووصلنا أيضا بـعض هذه العلامات والرمـوز الدالة على الوظائف مصـحوبة بأسماء ووظائف لا علاقة لـها بالرنك المصاحب لهـا، من ذلك على سبيل المثال خونجة أو حامل صينية من البرونز عملت برسـم الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش، يزينها رنك يتضمن نقشا لعصـوان البولو (٩٨) شـعار الجـوكندار، ولدينا أيضـا طبقية من النحـاس باسـم دمرداش الدوادار، يزينهـا رنك الكأس (٩٩) شـعـار السـاقى، وصحن من النحـاس صنع برسم قـازان الجمـدار يزينه عـصوان البـولو شعار الجـوكندار (١٠٠). ويمكـن تفـسيـر هذه الظاهرة بان صـاحـب الرنك



شكل رقم (١٠) تطور رنك الكأس

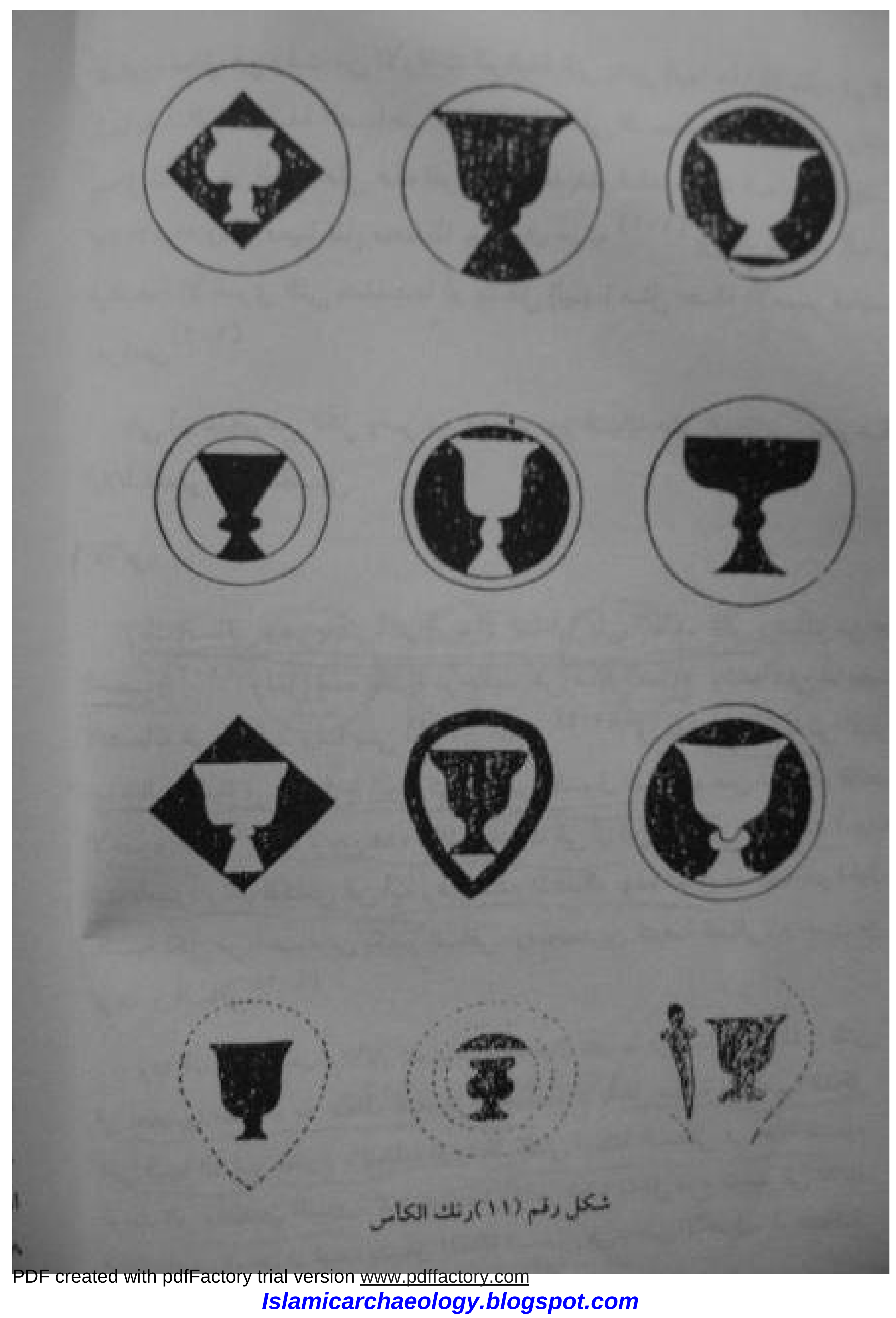
المذكور، شغل فى وقت من الأوقات الوظيفة التى يشير إليها هذا الشعار، ثم انتقل فيما بعد الى الوظيفة المصاحبة لهذا الرنك على التحفة المشار إليها، وفاته أن يسجل لنا الرمز الدال على هذه الوظيفة الجديدة، فقد جرت العادة أنه إذا منح أحد الأمراء رنكا معينا ظل محتفظا به طوال حياته (١٠١) بل قد يضيف إليه رنك الوظيفة الأخرى التى يتقلدها أو ينتقل إليها مثل حالة الأمير قانباى الجركسى (١٠٢).

بقى أن نتعرض لكل رمز من هذه الرموز الدالة على الوظائف المتنوعة فى البلاط المملوكى بالتفصيل.

الكأس:

رنك الساقى وهو يعتبر أكثر الرنوك انتشارا على التحف التي وصلتنا من هذا العصر (١٠٣)، ولعل هذه الكثرة مرجعها الى عناية الصناع بنقشه على ما يصنع لاصحابه من أدوات وما يبنى لهم من عمائر (١٠٤)، وربما ترجع أيضا الى كثرة عدد السقاة فى البلاط المملوكى كثرة تفوق غيرهم من ذوى الوظائف الأخرى (١٠٥). وقد ترجع هذه الكثرة كذلك الى ان ابن الساقى كان يرث أحيانا عند تأميره رنك الكأس عن أبيه رغم عدم اشتغاله بهذه الوظيفة كما هو الحال بالنسبة لكل من أحمد بن بكتمر الساقى، ومحمد بن كتبغا الساقى، وحسين بن قوصون الساقى (١٠٦).

وقد أمدتنا التحف والآثار المملوكية بأشكال متنوعة لرنك الكأس الذى نقش فى بعضها مفردا، بلا منطقة تحيط به أو تحدده، أو داخل منطقة مستديرة الشكل يملأ فيها الكأس الدرع بأكمله، أو يشغل ثلثى المنطقة السفلى فى حالة تقسيم الرنك الى منطقتين افقيتين، كما يصادفنا الكأس أيضا داخل درع مقسم الى ثلاث مناطق افقية، حيث نجده يشغل المنطقة السفلى فى بعض الأحيان، أو المنطقة



شكل رقم (١١) رنك الكأس

الوسطى أو الشطب فى كثير من الأحيان (شكل ١٠) (١٠٧).

ولقد وصلنا أسماء العديد من أسماء المماليك الذين شغلوا وظيفة الساقى فى البلاط المملوكى مصحوبة بـرنك الكأس على بعض التحف والعمائر التى صنعت ابان هذا العصر برسمهم من أشهرهم كتبغا المنصورى الذى تولى السلطنة فيما بين سنتى ٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م وتلقب بالعادل زين الدين وكان رنكه فى أيام إمرته كأسا وفى أيام ملكه رايات صفر (١٠٨)، وطرجى الناصرى المتوفى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م، الذى نجد رنكه منقوشا على شمعدان وعلى طست صنعا برسمه (١٠٩)، ويكتمر الناصرى المتوفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م (١١٠) الذى نجد رنكه منقوشا على شمعدان فى أحد المجموعات الخاصة (١١١)، وطنبغا حاجى الذى شغل وظيفة نائب غزة فى سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م (١١٢) وورد رنكه على صحن صنع برسمه (١١٣)، وتنكز الناصرى نائب السلطنة بالشام الذى قتل فى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م وورد رنكه منقوشا على بعض عمائره ببلاد الشام (١١٤). وعلى مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ضمن مجموعة المتحف الإسلامى فى القدس (١١٥). وقوصون الناصرى المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م، الذى نصادف رنكه منقوشا على مشكاتين من الزجاج المموه بالمينا (١١٦) وعلى الخان الذى أنشأه بمدينة القاهرة (١١٧)، والطنبغا الماردانى الذى توفى فى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م، ونجد رنكه منقوشا على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (١١٨) وعلى كسوة برونزية مكفتة بالنحاس بنفس المتحف (١١٩) وعلى كسرة من الفخار المطلى تحمل اسمه (١٢٠). ونفهم من المصادر المملوكية أيضا أن السلطان المؤيد شيخ المتوفى فى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م شغل وظيفة السقاية حيث تشاهد رنك الكأس منقوشا على الباب الشرقى بالمسجد الأموى بدمشق الذى أمر بعمله أثناء إمرته فى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م (١٢١)

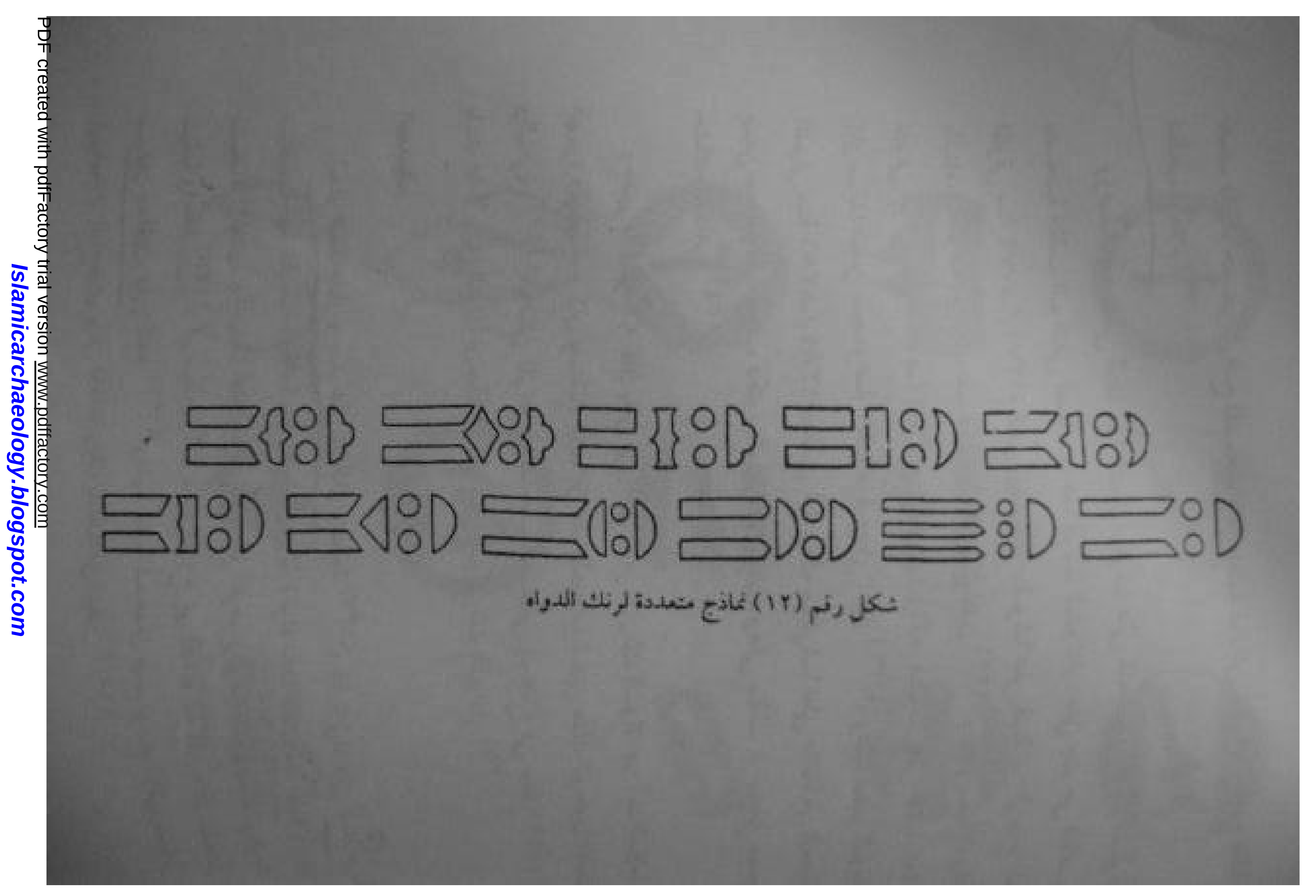
وورد رنك الكأس أيضا على عملة بعض سلاطين المماليك حيث نشاهده بسيطا على نقود العادل زين الدين كتبغا النحاسية [(١٢٢)]، وعلى بعض نقود المنصور محمد النحاسية من ضرب حماه [(١٢٣)]، وعلى عملات السلطان الأشرف برسباى الفضية من ضرب دمشق [(١٢٤)] وعلى نقود الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) من ضرب دمشق [(١٢٥)] وعلى نقود الظاهر تمربغا (٨٧٢-٨٧٣هـ/ ١٤٦٧-١٤٦٨م) النحاسية [(١٢٦)]. ونجده أيضا على بعض نقود السلطان قانصوه الغورى النحاسية من ضرب سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م [(١٢٧)].

كما جاء أيضا مركبا مع بعض الرموز الأخرى على نقود كل من السلطان الظاهر برقوق وابنه فرج والأشرف إينال والاشرف جان بلاط [(١٢٨)] كما سوف نشير فيما بعد.

الدواة:

شعار الدوادار، وهى أم آلات الكتابة وتعرف بالنون لقوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [(١٢٩)] وكانت تشتمل على سبع عشرة آلة أهمها المزبر وهو القلم، والمقلمة، والمدية، أو السكين، والمقط، والمجرة، والليقة، والمرملة أو المتربة، والمنشاة، والملفد، أو المخرز، والملزمة، والمفرشة، والممسحة، والمسطرة، والمصقلة، والمهرق أى القرطاس، وأخيرا المسن [(١٣٠)].

وقد نقشت على التحف والعمائر المملوكية بأشكال متعددة فى رنوك بسيطة أو رنوك مركبة، أمكن حصر إحدى عشرة شكلا منها (شكل)، يتألف أغلبها من أربعة عناصر رئيسية تتمثل فى جزئين مستطيلين أو ثلاثة تشير إلى موضع أقلام البوص التى كانت تستعمل فى الكتابة، وصندوق صغير يمثل المرملة أو المتربة، ودائرتين صغيرتين تمثلان موضعا الحبر والنشا، وأخيرا فراغ على شكل



شكل رقم (١٢) نماذج متعددة لرنك الدواه

Islamicarchaeology.blogspot.com

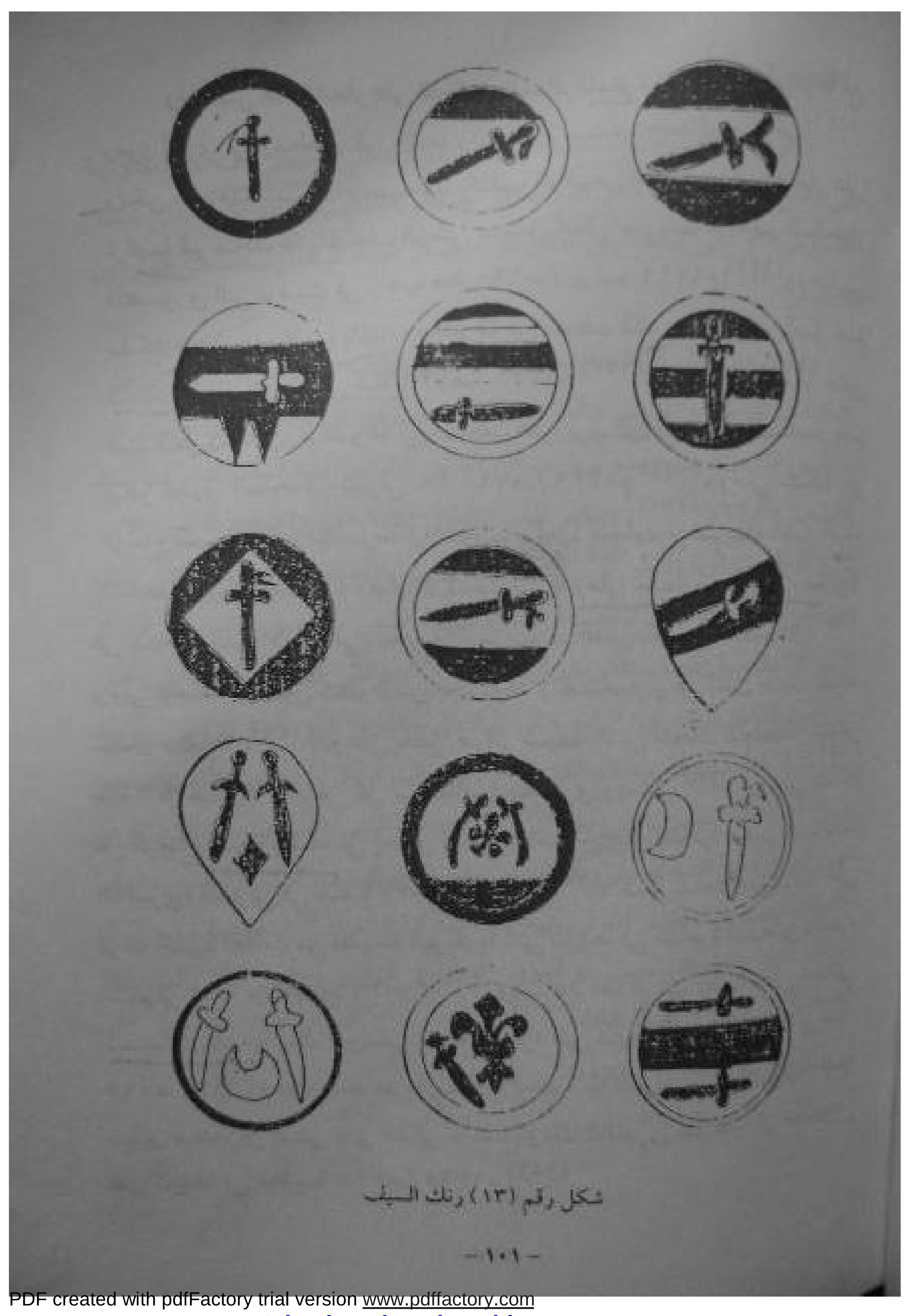
نصف دائرة، خصص لوضع المسحة، وهى قطعة قماش كانت تستخدم غالبا فى تنظيف الأقلام (١٣١).

ووصلنا العديد من أمثلة هذا الشعار منقوشا على التحف والعمائر المملوكية، بصحبة اللقب الوظيفى لصاحب هذا الرنك الدوادار، مثل جرجى الناصرى المتوفى سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م الذى نجد رنكه منقوشا على قنينة من الزجاج المموه بالمينا، محفوظة فى متحف فكتوريا والبرت بلندن (١٣٢) وقطلوبغا الدوادار، المتوفى حوالى سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، الذي نجد رنكه منقوشا على طشت معدنى كان سابقا ضمن مجموعة رالف هرارى فى لندن (١٣٣)، وطشتمر الدوادار، المتوفى سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، الذى نجد رنكه منقوشا على طاسة من النحاس ضمن مجموعة متحف فكتوريا والبرت بلندن، وعلى سقف ممر مدخل مسجد خشقدم بالقاهرة (١٣٤).

وجدير بالذكر أنه كان يظن فى بادئ الأمر ان رنك الدواة هو أحد العلامات الهيروغليفية، وكان يعتقد أيضا ان هذه العلامة تعنى ملك الوجهين القبلى والبحرى (١٣٥)، ولكن المرحوم عبدالحميد مصطفى إستطاع فى سنة ١٩١٨م ان يثبت بما لا يقبل الشك ان هذا الشعار يمثل الدواة رنك الدوادار (١٣٦).

السيف:

شعار السلحدار وجد على أشكال متعددة (١٣٧)، فتارة نراه على هيئة حربة مستقيمة لها عارضة (وقاء) بعد المقبضين، وتارة نراه سيفا مستقيما طويلا له عند مقبضه ذؤابتان، وأحيانا نجده منحنيا يمثل مائل الوضع أو قائما، وقد يضم الرنك سيفا واحدا (١٣٨)، او سيفين، فقد ذكر المؤرخ ابو الفداء انه كان هناك سلحدار بسيفين معلقين على كتفه (١٣٩) ولدينا أيضا شمعدان صنع برسم الأمير طغيدمر السلحدار الناصرى يزين قاعدته رنك يتألف من سيفين (١٤٠).



شكل رقم (١٣) رنك السيف

وقد نقش هذا الشعار على التحف والعمائر المملوكية إما بسيطا أو مركبا مع رموز أخرى في وسطه أو الى جانبه، وقد يكون سيفان يحميان رمزا آخر [141] ويمكن مشاهدته بسيطا ومصحوبا باللقب الوظيفى لصاحبه، السلحدار على تركيبة قبر محفوظة بالمتحف الوطنى بدمشق تحمل اسم بنت استدمر السلحدار المنصورى التى توفيت فى رجب سنة ٦٩٠هـ/ يوليو ١٢٩١م [142]، وعلى مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، محفوظة فى متحف فكتوريا والبرت تحمل اسم بجليس الناصرى المتوفى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م [143]، وعلى خونجة أو حامل صينية من النحاس، محفوظة فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك، تحمل اسم بهادر البدرى السلحدار، المتوفى سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م [144]، وعلى مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، محفوظة فى متحف برلين، عملت برسم بهاء الدين أصلم السلحدار المتوفى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م [145]، وعلى مشط من الخشب محفوظ فى متحف الفن الإسلامى، يحمل اسم سيف الدين بكتمر السلحدار [146]، وعلى قاعدة شمعدان كان ضمن مجموعة رالف هرارى فى لندن حيث نشاهد سيفان متقابلان [147]، وعلى بعض عمائر سيف الدين منجك السلحدار المتوفى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م فى كل من القاهرة وبصرى ودمشق [148]، وعلى مشكاة من الزجاج المموه بالمينا فى إحدى المجموعات الخاصة بالقاهرة، تحمل اسم يلبغا الناصرى، المتوفى فى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م [149]، كما نشاهد هذا الرنك على لوحة خشبية جاءت من المدرسة البوبكرية التى شيدها فى القاهرة أسنبغا بن بكتمر، المتوفى سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٦م [150]، ويشاهد هذا الرنك أيضا أعلى إحدى شمسيات مدرسة إينال اليوسفى بمدينة القاهرة التى انتهت أعمال تشييدها فى سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م بعد وفاته بما يقرب من العام [151]. ولدينا كذلك رنك يضم سيفين متدابرين ضمن نص انشائى باسم رزمك الظاهرى عثر عليه فى مدرسته التى شيدها فى غزة سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م [152].

القوس :

وهو يشير الى رنك البندقدار، ونجده منقوشا على العمائر والتحف المملوكية فى وضع رأسى سواء أكان بمفرده، او مصحوبا بسهمين، قد يكونا على يسار القوس، أو على يمينه، وفى بعض الأحيان نجد الرنك يتضمن قوسين متدابرين (١٥٣).

وقد وردت هذه الوظيفة مصحوبة برنك يتألف من قوسين متدابرين على شكاة من الزجاج المذهب والمموه بالمينا، محفوظة فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك، صنعت برسم تربة علاء الدين أيدكين البندقدار المتوفى سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م (١٥٤). ويظهر نفس الشكل أيضا على واجهة تربة نفس الأمير المعروفة باسم زاوية الابار (١٥٥) كما نجد القوس المصحوب بسهمين الى يساره على خوذة من الزجاج المذهب والمموه بالمينا ضمن مجموعة الصباح فى دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى (١٥٦)، وعلى كسرة من الفخار المطلى من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى محفوظة فى المعهد الالمانى ببيروت (١٥٧)، كذلك يحتفظ متحف الفن الإسلامى بكسرة أخرى يزينها رنك يتألف من قوس لصاحبه سهمين إلى يمينه (١٥٨). ويحتفظ نفس المتحف بكسرة ثالثة من نفس النوع تحمل اسم السيفى بكتمر، يزينها رنك يتألف من قوس وسهمين، لعلها خاصة ببكتمر السلحدار المتوفى سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م (١٥٩)، خاصة وقد أشار أبو الفداء أن شعار السلحدار هو القوس كما سبق ان أوضحنا من قبل، ولعله كان يقصد بذلك السلاح بصفة عامة (١٦٠).

بقى أن نشير الى أن هذا الشعار لم يرد على أى من العملات المملوكية.

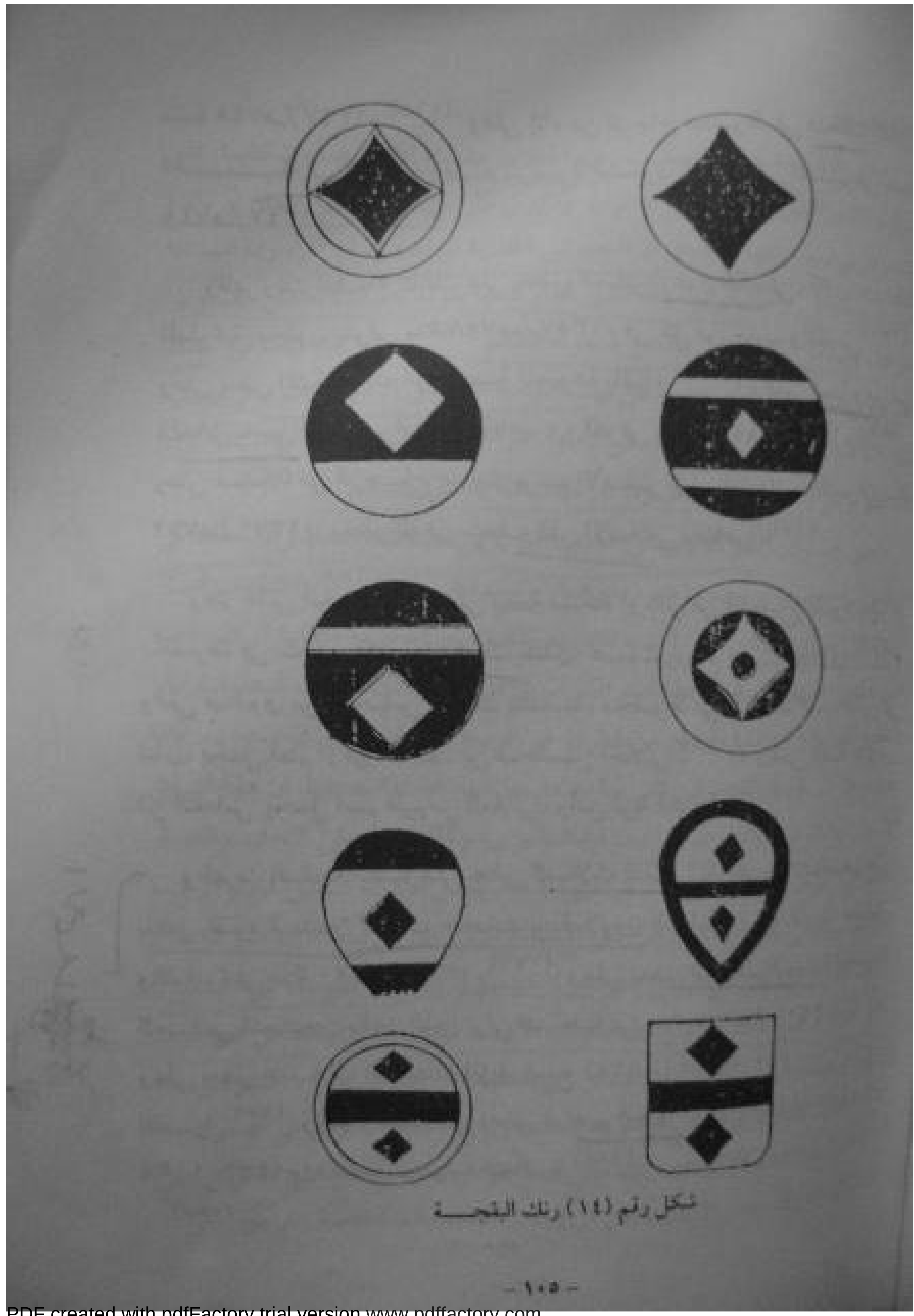
بقجـة:

وهى ترمز الى شعار الجمدار، الذى لفت الأنظار إليه للمرة الأولى المستشرق فرنسى كاترمير (١٦١). وكانت تنقش إما على هيئة مربع ذى أركان مرتفعة، أو فى شكل مثمن يرمز الى قطعة النسيج المربعة التى تطوى أطرافها تجاه الوسط، كان يوضع فيها الملابس المعدة للاستعمال، وقد يرسم فوق الوسط أحيانا دائرة صغيرة.

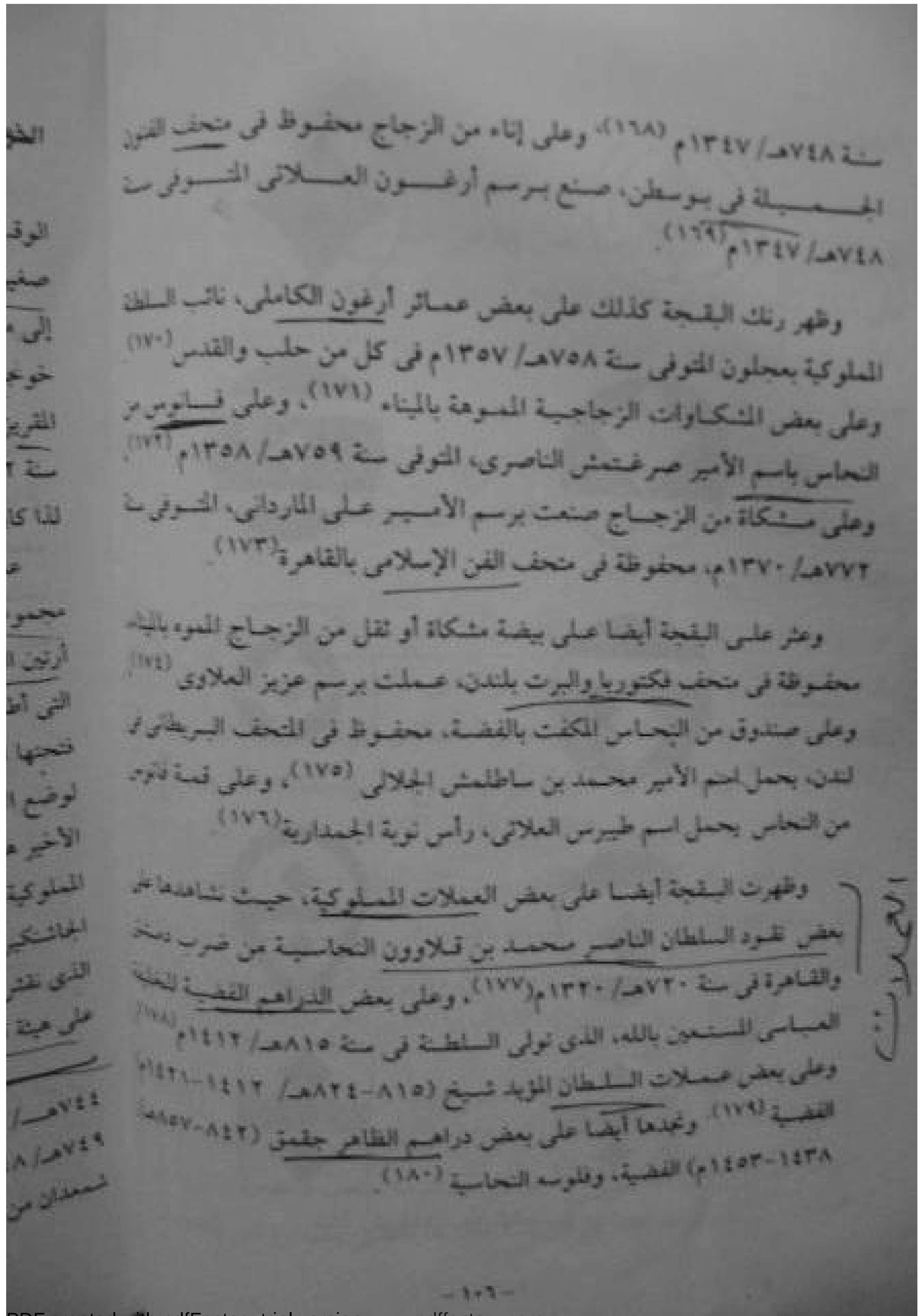
ومن المعروف ان التحف والعمائر المملوكية أمدتنا بالعديد من أمثلة هذا الشعار الذى نجده بسيطا بمفرده، أو مركبا مصحوبا برموز أخرى كما سوف تشير عند تناولنا لموضوع الرنوك المركبة.

ومن أقدم العمائر التى تحمل رنك البقجة نقش من الحجر الجيرى عثر عليها فى قلعة الربض بعجلون، يحمل اسم ركن الدين منكوبرش الجمدار المنصورى، يشير الى تجديده لعمارة المسجد فى جمادى الأول سنة ٦٨٦هـ/ يونيو ١٢٨٧م (١٦٢). ولدينا أيضا مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، صنعت برسم أرغون الناصرى، المتوفى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م (١٦٣). وعثر على رنك البقجة كذلك فى قصر الن آق بالقاهرة الذى ينسب الى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م (١٦٤)، وعلى بعض المشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا، التى صنعت برسم الأمير بشتاك الناصرى المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م (١٦٥)، وظهرت البقجة أيضا أعلى مدخل حمامه بشارع سوق السلاح بالقاهرة (١٦٦).

ونجدها كذلك على بعض تحف الأمير آقبغا من عبدالواحد المتوفى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م حيث نشاهدها على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، وعلى مزهرية من النحاس المكفت بالفضة ضمن مجموعة متحف فكتوريا والبرت فى لندن (١٦٧). ووجدت أيضا فى مدرسة قطلوبغا الذهبى بالقاهرة التى تنسب الى



شكل رقم (١٤) رنك البقجة

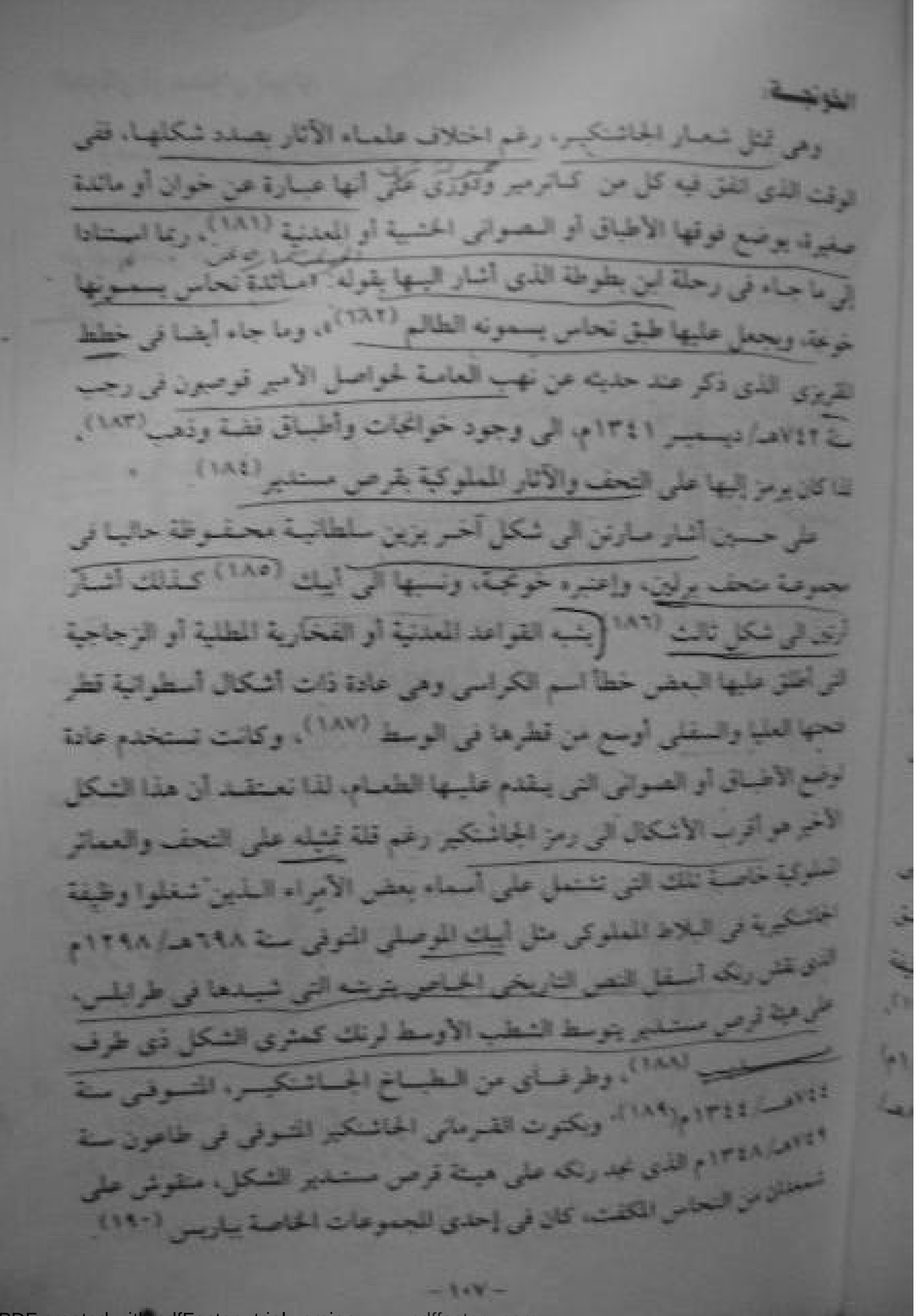


سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م [١٦٨]، وعلى إناء من الزجاج محفوظ فى متحف الفنون الجميلة فى بوسطن، صنع برسم أرغون العلائى المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م [١٦٩].

وظهر رنك البقجة كذلك على بعض عمائر أرغون الكاملى، نائب السلطنة المملوكية بمحلون المتوفى سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م فى كل من حلب والقدس [١٧٠] وعلى بعض الشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا [١٧١]، وعلى فانوس من النحاس باسم الأمير صرغتمش الناصرى، المتوفى سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م [١٧٢]، وعلى مشكاة من الزجاج صنعت برسم الأمير على الماردانى، المتوفى سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م، محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة [١٧٣].

وعثر على البقجة أيضا على بيضة مشكاة أو ثقل من الزجاج المموه بالمينا محفوظة فى متحف فكتوريا والبرت بلندن، عملت برسم عزيز العلاوى [١٧٤]، وعلى صندوق من النحاس المكفت بالفضة، محفوظ فى المتحف البريطانى، لندن، يحمل اسم الأمير محمد بن ساطلمش الجلالى [١٧٥]، وعلى قمة قبة من النحاس يحمل اسم طيرس العلائى، رأس نوبة الجمدارية [١٧٦].

وظهرت البقجة أيضا على بعض العملات المملوكية، حيث شاهدناها على بعض فلوس السلطان الناصر محمد بن قلاوون النحاسية من ضرب دمشق والقاهرة فى سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م [١٧٧]، وعلى بعض الدراهم الفضية للخليفة العباسى المستعين بالله، الذى تولى السلطنة فى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م [١٧٨]، وعلى بعض عملات السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) الفضية [١٧٩]، وتجدها أيضا على بعض دراهم الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م) الفضية، وفلوسه النحاسية [١٨٠].



الخونجة:

وهي تمثل شعار الجاشنكير، رغم اختلاف علماء الآثار بصدد شكلها، ففي الوقت الذي اتفق فيه كل من كاترمير وكوزي على أنها عبارة عن خوان أو مائدة صغيرة يوضع فوقها الأطباق أو الصواني الخشبية أو المعدنية [(١٨١)]، ربما استنادا إلى ما جاء في رحلة ابن بطوطة الذي أشار إليها بقوله: "مائدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم" [(١٨٢)]، وما جاء أيضا في خطط المقريزي الذي ذكر عند حديثه عن نهب العامة لحواصل الأمير قوصون في رجب سنة ٧٤٢هـ/ ديسمبر ١٣٤١م، إلى وجود خونجات وأطباق فضة وذهب [(١٨٣)]، لذا كان يرمز إليها على التحف والآثار المملوكية بقرص مستدير [(١٨٤)].

على حين أشار مايرن إلى شكل آخر يزين سلطانية محفوظة حاليا في مجموعة متحف برلين، واعتبره خونجة، ونسبها إلى أيبك [(١٨٥)] كذلك أشار أيضا إلى شكل ثالث [(١٨٦)] يشبه القواعد المعدنية أو الفخارية الطينية أو الزجاجية التي أطلق عليها البعض خطأ اسم الكراسي وهي عادة ذات أشكال أسطوانية قطر فتحتها العليا والسفلى أوسع من قطرها في الوسط [(١٨٧)]، وكانت تستخدم عادة لوضع الأطباق أو الصواني التي يقدم عليها الطعام، لذا نعتقد أن هذا الشكل الأخير هو أقرب الأشكال إلى رمز الجاشنكير رغم قلة تمثيله على التحف والعمائر المملوكية خاصة تلك التي تشتمل على أسماء بعض الأمراء الذين شغلوا وظيفة الجاشنكيرية في البلاط المملوكي مثل أيبك الموصلي المتوفي سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م الذي نقش رنكه أسفل النص التاريخي الخاص بتربته التي شيدها في طرابلس، على هيئة قرص مستدير يتوسط الشطب الأوسط لرنك كمثري الشكل ذي طرف مستدير [(١٨٨)]، وطرغاي من الطباخ الجاشنكير، المتوفي سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م [(١٨٩)]، وبكتوت القرماني الجاشنكير المتوفي في طاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م الذي نجد رنكه على هيئة قرص مستدير الشكل، منقوش على شمعدان من النحاس المكفت، كان في إحدى المجموعات الخاصة بباريس [(١٩٠)].

الجوكان أو عصوان البولو:

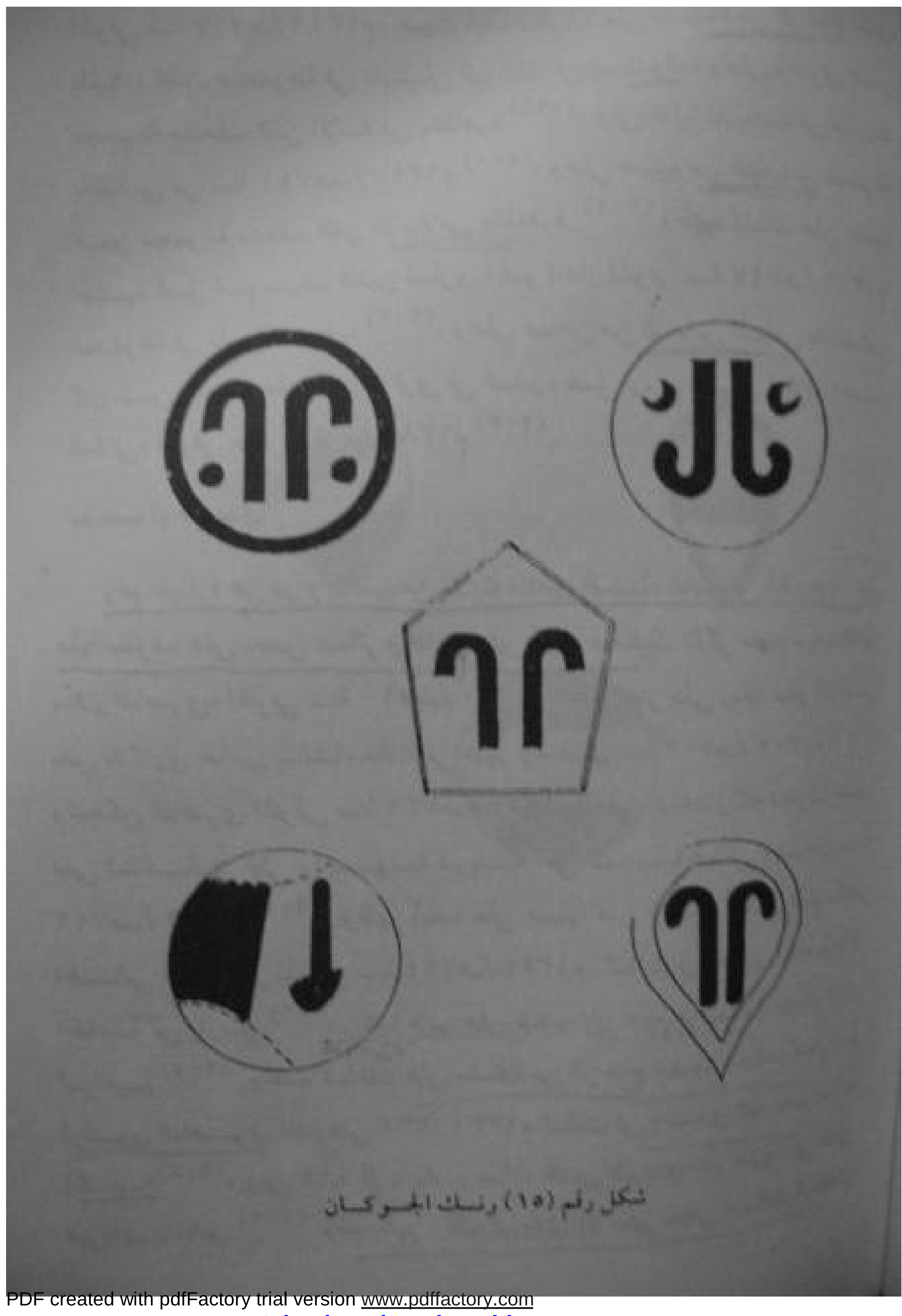
وهما يرمزان إلى رنك الجوكندار رغم خلو المصادر التاريخية من إشارة صريحة تنص على ذلك، مع أنها ذكرت أن الجوكان كان بمثابة عصا مدهونة طولها نحو أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدوبة تنيف عن نصف ذراع(١٩١)، وذكرت أيضا أن المحجن هو الذى تضرب به الكرة ويعبر عنه بالصولجان(١٩٢).

وقد أمدتنا التحف والعمائر المملوكية بأشكال متعددة لهذا الرنك الذى نقش بسيطا على هيئة عصوان متدبران، يصاحبهما كرة أو هلال عند عكفة كل عصا أو بين العصوين فى أعلى(١٩٣) ووصلنا أيضا مثال به عصا واحدة تشغل النصف الأيمن من الرنك تشبه عصا البولو المستخدمة فى العصر الحديث(١٩٤)، مثلما وصلنا بعض امثلة هذا الرنك مركبا مع بعض الرموز الوظائفية الأخرى، كما سوف نشير فيما بعد عند تناولنا لموضوع الرنوك المركبة.

وأقدم مثال لهذا الرنك نشاهده على خونجة أو حامل صينية من البرونز صنعت برسم عز الدين أيدمر الزردكاش الذى شغل وظيفة الجوكندارية فى أيام السلطان المنصور قلاوون (٦٨٧-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) (١٩٥). ووجد أيضا لوح رخام بزاوية أحمد البدوى بغزة باسم قطلوخاتون إبنة بهادر الجوكندار المتوفى سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٩م(١٩٦). ونقش كذلك على بعض عمائر قراسنقر المنصورى الجوكندار، حيث نشاهده فى مدرسته بالقاهرة وفى سبيل قسطل المقامات بحلب(١٩٧).

ويفهم أيضا من المؤرخ أبو الفداء أن رنك الطنبغا العلائى الجوكندار المتوفى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٣٢م كان عبارة عن جوكاين(١٩٨).

ويمكن مشاهدة هذا الرنك كذلك على عمائر وتحف آل ملك الجوكندار

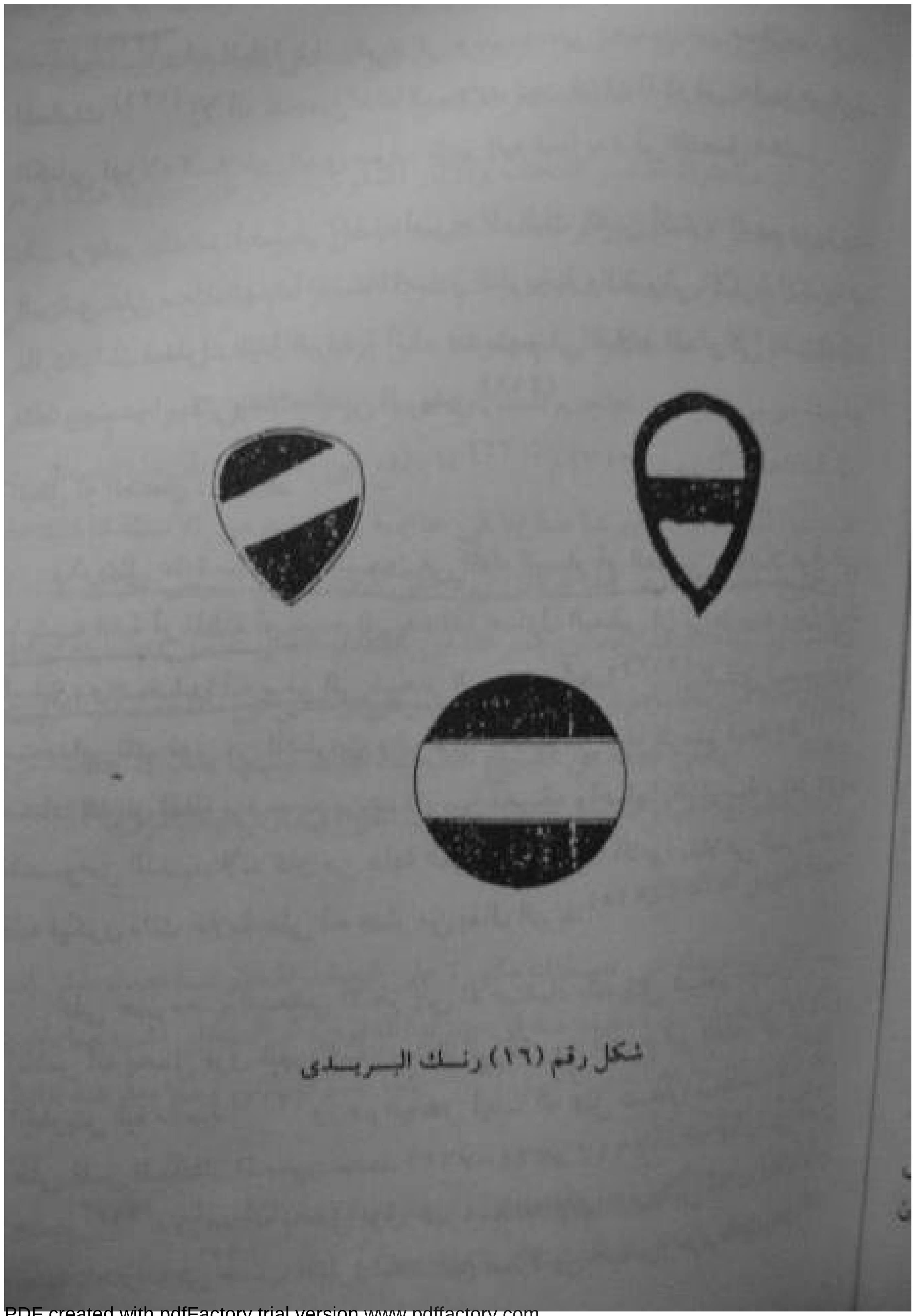


شكل رقم (١٥) رنـك الجـوكـان

المتوفى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، حيث نجده منقوشا على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، كانت محفوظة في تشينيلي كيوشك في إسطنبول، وعلى أخرى ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (١٩٩)، وفي كتابة تاريخية في مدرسته بالقدس من سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م (٢٠٠)، وعلى صينية من النحاس محفوظة ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٠١) وظهر كذلك على حشوة خشبية تحمل اسم سيف الدين قماري الجوكندار المتوفى سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، محفوظة في نفس المتحف (٢٠٢)، وعلى صحن من النحاس المطلي بالقصدير، كان ضمن مجموعة رالف هراري في لندن، عمل برسم السيفي قازان الجمدار العلائي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م (٢٠٣).

الشطب (و البريدي):

وهو عبارة عن درع يتألف من ثلاث مناطق أفقية، تخلو من أية رموز، عثر عليه منقوشا على بعض عمائر وتحف بعض أمراء المماليك نذكر منهم سيف الدين سلار الناصري، المتوفى سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، الذي عثر على رنكه منقوشا ضمن نص تذكاري خاص بانشاء مأذنة في شهر رمضان سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م(٢٠٤)، وكجكن الناصري المتوفى سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م الذي تشاهد رنكه منقوشا ضمن نص تذكاري على واجهة تربته التي شيدها في دمشق سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م(٢٠٥). وظهر أيضا على صينية من النحاس تحمل اسم بكتمر الحسامي الجمقدار المتوفى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، كانت في إحدى المجموعات الخاصة في باريس (٢٠٦)، كما ظهر على شمعدان صنع برسم ابنه جمال الدين ابراهيم (٢٠٧). ونجده كذلك على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، تحمل اسم أرغون الناصري المتوفى ٧٣١/ ١٣٣١م كانت في إحدى المجموعات الخاصة(٢٠٨)، وفي كتابة أثرية باسم علاء الدين البريدي عثر عليها في سبيل البريدي بدمشق (٢٠٩) ولم يظهر رنك البريدي إلا على بعض عملات السلطان



شكل رقم (١٦) رنك البريدى

المنصور لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٨م) النحاسية من ضرب دمشق (٢٢٠) رغم اشارة بول بالوج إلى وجوده على العديد من عملات سلاطين المماليك (٢٢١) إلا أنه بفحص هذه العملات تبين لنا ان المنقوش عليها هو الرنك الكتابي لهؤلاء السلاطين الذى سوف نشير إليه فيما بعد فى الفصل الخامس.

وجدير بالذكر أيضا أن أغلب أمراء المماليك الذين أشرنا إليهم وورد رنك البريدى على متعلقاتهم، أغفلت المصادر التاريخية والنقوش الأثرية الاشارة عما اذا كانوا قد شغلوا وظيفة البريدية أثناء خدمتهم فى البلاط المملوكى باستثناء اثنين فقط منهم هما سلار وعلاء الدين البريدي (٢١٢).

البغل أو الحصان:

وهو يمثل عادة سائرا من اليمين فى اتجاه اليسار أو العكس حاملا فوق ظهره ما يشبه القبة أو المظلة أو خرج البريد، لذا حاول البعض ان يربط بينه وبين الرنك السابق، واعتقدوا أنه يرمز الى شعار البريدي أيضا (٢١٣) الذى لم يرق له استخدام رنك غفل من الشارات والرموز، فإتخذ من هذا الرسم شعارا له (٢١٤) استنادا إلى ان لفظة برد جمع بريد، فارسية معربة، وأصلها بالفارسية بريدة دم أى مقصوص الذنب، لانه كان من عادة الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة على أنه صار من بغال البريد (٢١٥).

على حين ذهب البعض الآخر إلى الاعتقاد بانه يمثل شعار الجاويش على أساس انه يحمل فوق ظهره قبة، استناد الى ما رواه المؤرخ أبو الفدا، من أن شعار الجاويش قبة مذهبة (٢١٦) وزعم البعض أيضا أنه يمثل شعارا سلطانيا، لانه نقش على فلس للسلطان المنصور محمد (٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م) من ضرب حماه (٢١٧)، وزعم أنه يحمل فوق ظهره مظلة، لانها كانت من آلات الملك المعبر عنها بالجتر، وهى حسب تعبير القلقشندى عبارة عن قبة من حرير أصفر مزركش

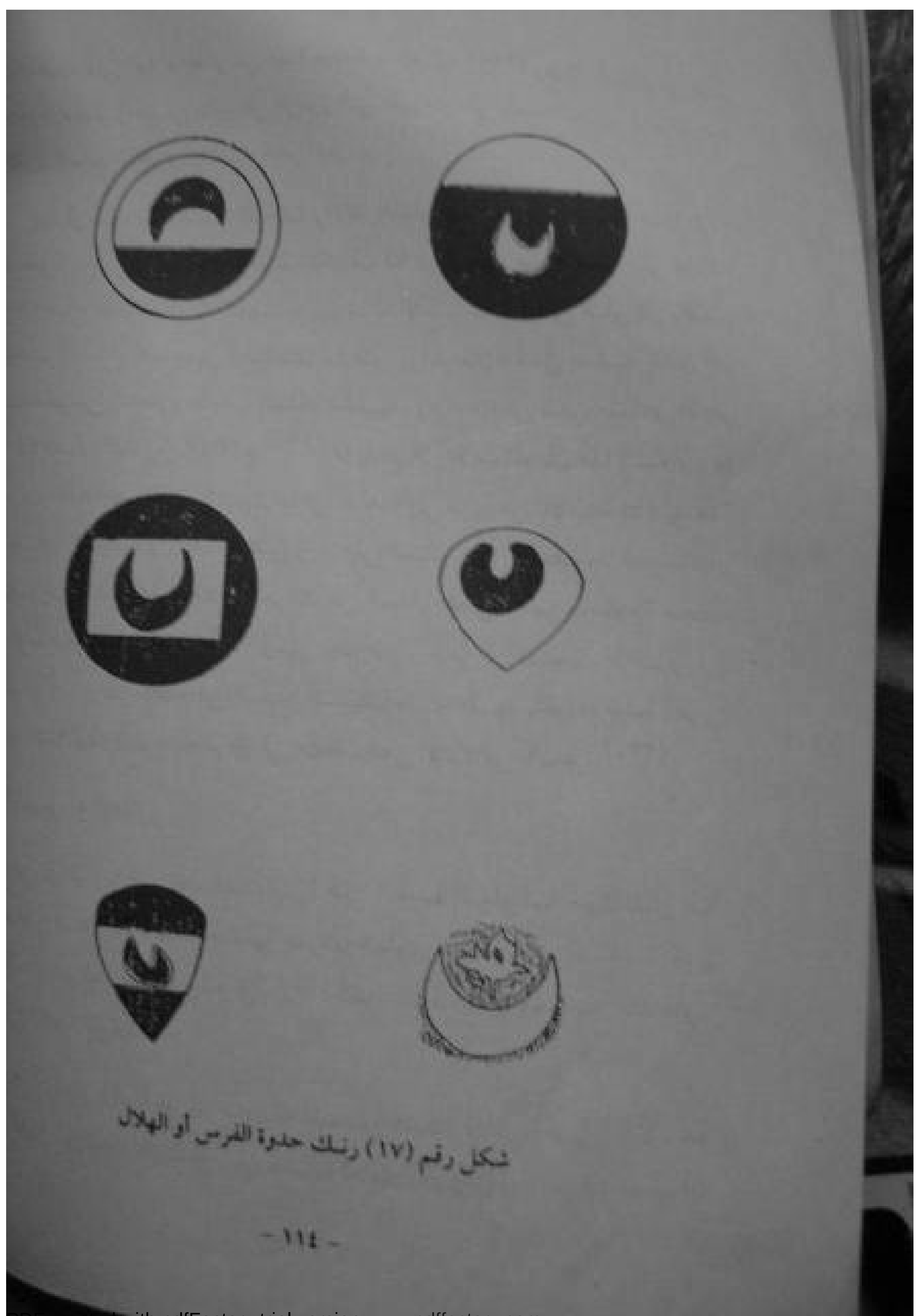
بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب» (٢١٨) وهناك كذلك من عده مجرد عنصر زخرفي بتأثير من الرموز التي ظهرت على العملات السلجوقية منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (٢١٩).

بيد أن محاولة حصر التحف والآثار المملوكية التي ظهر عليها هذا الرمز مصحوبا ببعض الأسماء والوظائف تكشف لنا عن وجود هذا الشعار على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، عملت برسم تربة الأمير علاء الدين على بن بكتمر الحاجب (٢٢٠)، كما يظهر أيضا منقوشا على بوابة خان العسل بحلب، الذي أمر بتشييده موسى الناصر، حاجب المملكة الحلبية، وفرغ منه في شهر جمادى الآخر سنة ٧٤٤هـ/ أكتوبر ١٣٤٣م (٢٢١) مما يدفع الى الاعتقاد بأن هذا الشعار ربما كان رمزا للحاجب، وان كنا مازلنا في حاجة إلى مزيد من الأمثلة لتأكيد هذا الترجيح. خاصة وأن هذا النقش ورد على العديد من التحف بلا أسماء أو وظائف، إذ نشاهده على بعض كسرات من الفخار المطلي ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٢٢) وعلى حوض رخامي في المتحف المركزي في بيروت (٢٢٣) وعلى قطعة من النسيج السميك مثبت عليها بالحياكة قطعة أخرى تتضمن نقشا لهذا البغل، محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٢٤).

حدوة الفرس او الهلال:

وهو من الرنوك التي تصادفنا بكثرة على التحف المملوكية حيث نقش إما منفردا على هيئة دائرة مفتوحة في جزئها العلوي، أو السفلي أشبه ما يكون بالهلال، أو مركبا مع رموز أخرى (٢٢٥) كما سوف نشير فيما بعد عند تناول موضوع الرنوك المركبة.

وقد أكد ماير وغيره من الباحثين أنه استخدم كشعار للأمير آخور (٢٢٦) رغم زعم المؤرخ أبو الفدا، بأن النعل كان شعارا للأمير آخور (٢٢٧) مع أننا نعلم أن



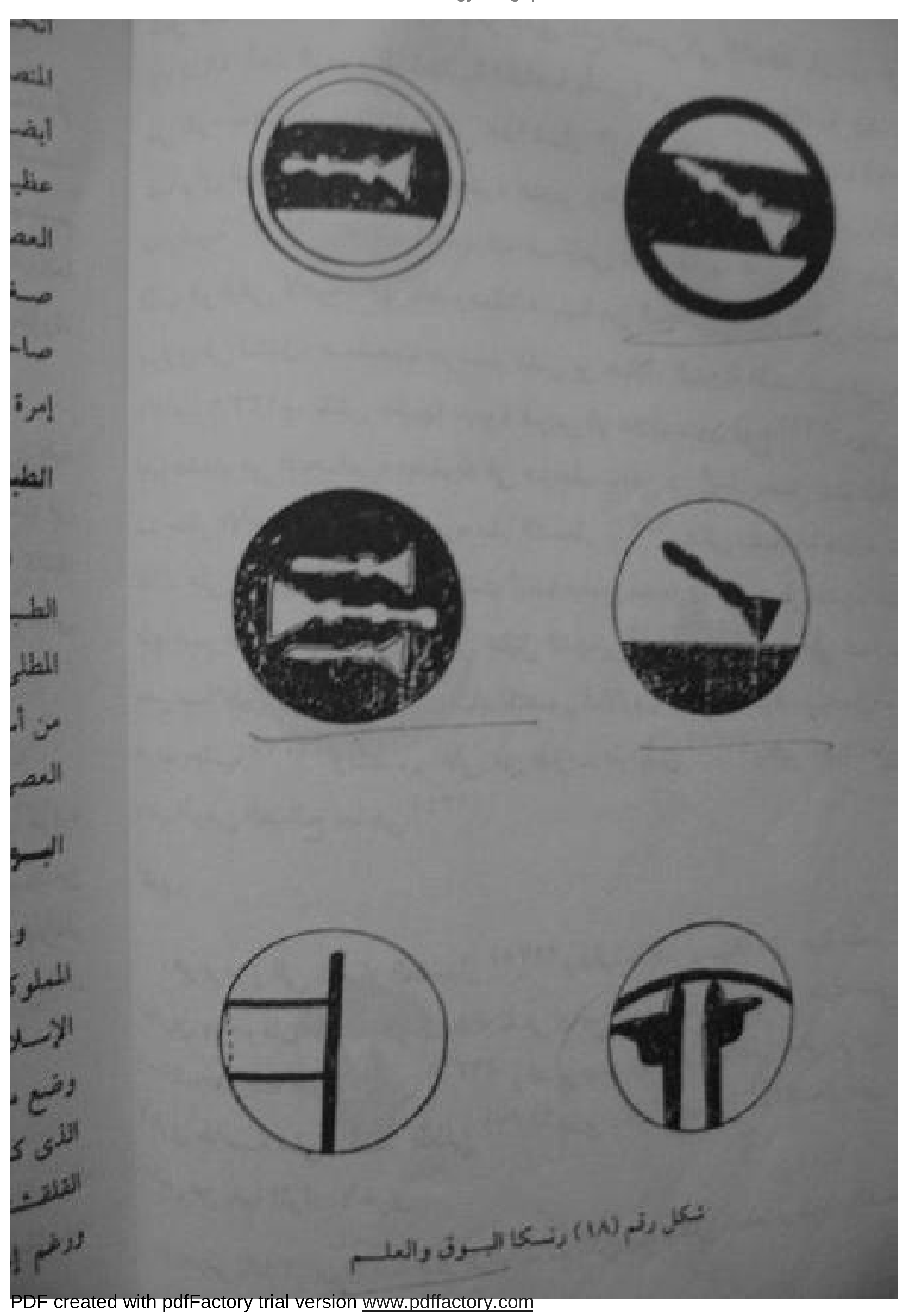
شكل رقم (١٧) رنك حدوة الفرس أو الهلال

النعل كان شعارا للبشمقدار، الأمر الذى دفع البعض الى الاعتقاد بأن هذا الرنك كان بمثابة أحد الرموز السلطانية الخاصة بأسرة بنى قلاوون، خاصة وقد نقش على نقود بعض أفرادها، شأنه فى هذا شأن كل من الفرنسيسة والوريدة (٢٢٧). كما رأى فيه البعض الآخر مجرد عنصر زخرفى خاصة فيما يتعلق بالعملة المملوكية (٢٢٨)، ربما لأن أغلب التحف التى نقش عليها هذا الشعار تخلو من اللقب الوظيفى لأصحابها فقد وصلنا صينية من النحاس كانت ضمن مجموعة هرارى فى لندن، صنعت برسم على بن هلال الدولة المتوفى سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، نقش عليها حدوة فرس أو هلال بدون درع (٢٢٩)، ولدينا أيضا طشت من النحاس، محفوظ فى متحف بناكى فى أثينا، يحمل اسم فاطمة بنت سنقر الأعسر، يحمل بدوره هذا الشعار (٢٣٠) ويمكن مشاهدة هذا الرنك كذلك على صينية من النحاس كانت أيضا ضمن مجموعة هرارى فى لندن، نقش عليها اسم صارم الدين إبراهيم بن عقيل الشهابى (٢٣١). كما وجد على عملات بعض سلاطين المماليك من أحفاد المنصور قلاوون، مثل الأشرف شعبان من ضرب حلب (٢٣٢) والمنصور على من ضرب طرابلس (٢٣٣) وظهر أيضا على بعض فلوس الصالح حاجى (٢٣٤).

العلم:

وهو يرمز الى شعار العلمدار (٢٣٥) وغالبا ما يمثل بسيطا على هيئة علمين متدابرين يخترقان أقسام الرنك الثلاثة فى وضع عمودى، أو يمثل على هيئة علم واحد تتجه رايته جهة اليمين (٢٣٦). وقد يوجد أيضا مركبا على بعض الرموز الأخرى خاصة على الفخار المطلى (٢٣٧) الذى يكثر عليه تمثيل هذا الشعار على العكس من بقية المواد الأخرى.

وجدير بالذكر ان الاعلام أو الرايات لم تكن وقفا على العلمدار فقط وانما



شكل رقم (١٨) رنكا البـوق والعلـم

اتخذت أيضا شعارا لبعض السلاطين، فقد روت بعض المصادر ان السلطان المنصور كتبغا كان رنكه فى أيام ملكة الرايات الصفر (٢٣٨). ويشير القلقشندى أيضا إلى أن الرايات كانت من ضمن آلات الملك وأنها كانت «عدة، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه، وتسمى العصابة، وراية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش، ورايات صفر صغار تسمى السناجق (٢٣٩)». ويفهم من نفس المؤرخ أيضا أن امرة علم كان صاحبها متحدثا على الطبلخاناه السلطانية وأهلها، متصرفا فى أمرها، وعادتها إمرة عشرة (٢٤٠)».

الطبلة والعصى:

وهى تشير الى شعار الطبلدار (٢٤١) أو الدبندار الذى يضرب على الطبل (٢٤٢)، وتبدو قليلة ونادرة على التحف والعمائر المملوكية باستثناء الفخار الظلى الذى نجدها منقوشة عليه بكثرة على هيئة الترس أو الدرع المدبب الطرف من أسفل، فوق شطب الرنك الأوسط، يصاحبها فى كثير من الأحيان زوجان من العصى (٢٤٣).

البوق:

وهو يعد بدوره من الرموز التى ترد بكثرة على الفخار المطلى من العصر المملوكى، حيث تشاهده على العديد من الكسرات المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وقد نقش على شطب الرنك الأوسط فى وضع مستقيم أو وضع مائل (٢٤٤)، ولا ندرى شيئا عن الوظيفة التى كان يرمز إليها ولا عن الأمير الذى كان يتخذ منه شعارا له لصمت المصادر إزاء هذا الموضوع، رغم إشارة القلقشندى عند حديثه عن الطبلخاناه إلى المنفر، الذى يضرب بالبوق (٢٤٥)، ورغم إشارة بعض المؤرخين بأن البوق والعلم كانا من علامات الامرة (٢٤٦).

الدبوس:

وهو يمثل آلة من آلات القتال الفردية وكان يتخذ من الحديد بأكمله أو الخشب ومزود فى أعلاه برأس مستديرة مضرسة (٢٤٧)، لذا عرف أحيانا بالمقمع، وكان يحمل فى السرج تحت أرجل الفارس (٢٤٨) ويعد ضمن أسلحة تهشيم الرأس التى «لا يثبت لها شئ تصدمه، ولا يقف لها جسد تلاقيه إلا وتهلكه». كما كان على أصناف متعددة تختلف من حيث الرأس واللون والأضراس والحزوز وطرق صنعها وتلبيسها بمواد صلبة قاتلة مثل الماس وغيره (٢٤٩).

وكان يرمز الى رنك الجمقدار، وورد بكثرة أيضا على الفخار المطلى دون بقية التحف المملوكية الأخرى (٢٥٠)، إما مفردا يتوسط الشطب الأوسط للرنك فى وضع أفقى أو فى وضع مائل. كما ورد أيضا على كسرة من هذا النوع، كانت سابقا ضمن مجموعة غالب بك بالقاهرة، ضمن نص كتابى باسم الخليلى الجمقدار (٢٥١).

الطبر:

ويعرف أيضا بالطبرزين أى الفأس (٢٥٢)، وهو عبارة عن آلة ذات هراوة قصيرة ورأس حاد، كان يتخذ عادة من النحاس أو الحديد (٢٥٣)، ويعد من أسلحة الضرب والتهشيم عند الاشتباك (٢٥٤)، ويرجح أنه كان رنك الطبردار الذى كان يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه فى المواكب وغيرها كما سبق توضيحا من قبل. وهو من الرنوك القليلة على التحف والعمائر المملوكية.

النعل:

ويعد بدوره نادراً للغاية على التحف والآثار المملوكية، ويرمز الى رنك البشمقدار (٢٥٥)، ولعل سبب هذه الندرة هو ضآلة مركزه، اذا كان يشغل ...

الوظيفة العصر المملوكي بعض الخاصكية، كانت مهمة الواحد منهم حمل نعل السلطان أو الأمير عند خلعه للصلاة[٢٥٦].

وجدير بالذكر ان رجال الدين والفقهاء كانوا يقرون هذه الوظيفة، وكانوا يعدونها من أقبح البدع لأنها كانت تدل في نظرهم على الرعونة والحمق والاستعلاء[٢٥٧].

قرون البارود:

ومن الرنوك التي كانت ذات صلة بالوظيفة التي يشغلها الأمير يمكننا ان نضيف أيضا الرمز الذي يبدو على شكل قرن والذي فسره ماير بأنه يدل على القرن أو الاناء الذي كان يحفظ فيه البارود[٢٥٨]، وذلك لأن أول ظهوره كان في رنوك الثلث الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عندما عم استعمال البارود في الأسلحة، ويحتمل أنه كان شعارا للفرقة التي كانت تشرب كأس الفتوة وترمي البندق باسمه، وكانت تقوم بألعابها خارج المدينة ومن أهمها رمي الحمام، وكانت خاضعة للسلطان له ان يدخل فيها من يشاء ويخرج من يريد[٢٥٩].

وجدير بالملاحظة ان هذا الشعار قلما وجد مفردا ، وإنما نشاهده عادة يكتنف أحد الرموز الأخرى من كلا الجانبين خاصة على الرنوك المركبة.

رقعة الشطرنج :

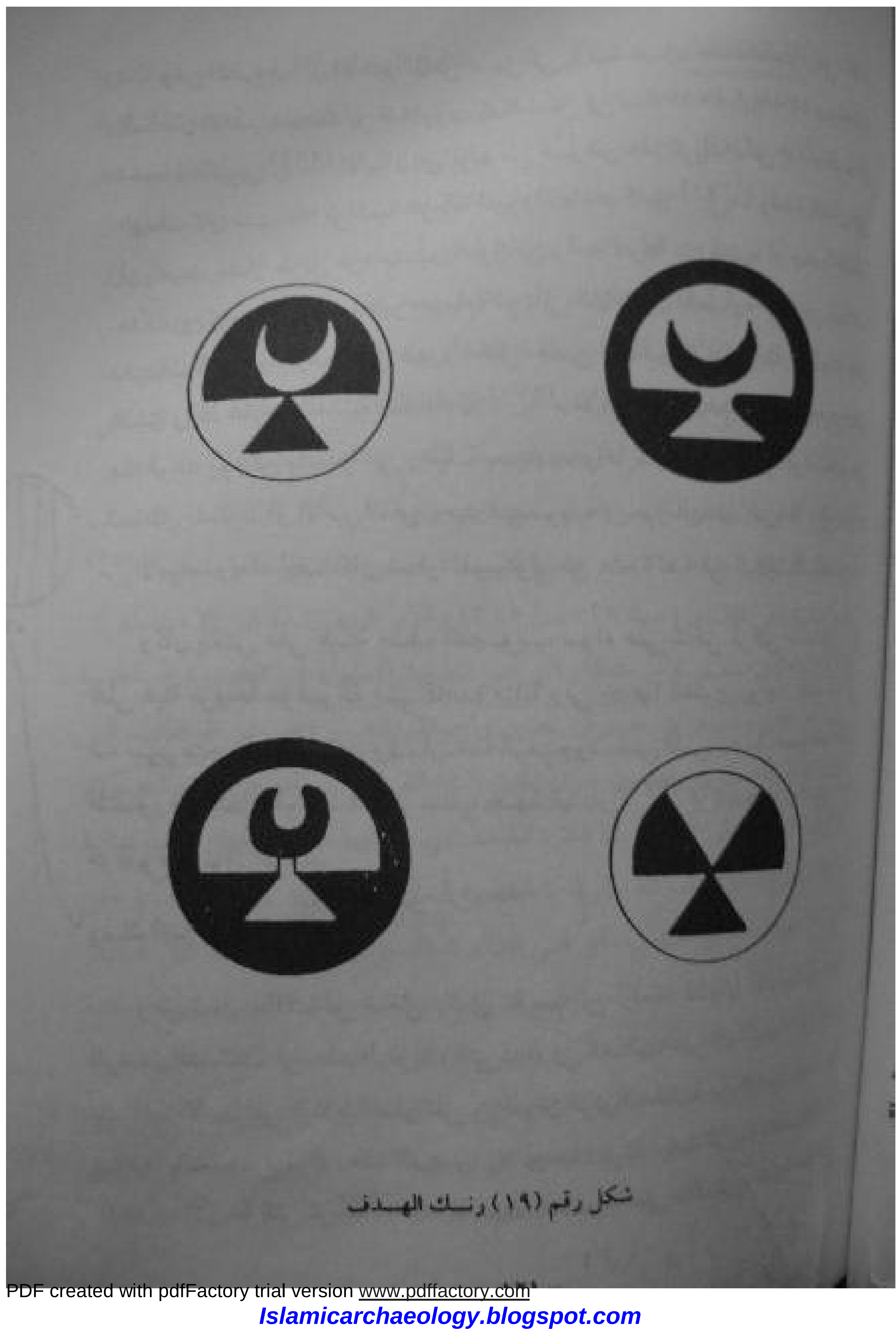
وهي من الرنوك التي مازال الغموض يكتنفها وكانت تمثل غالبا على هيئة منطقة مستديرة نقشت على الفخار المطلي[٢٦١] ويرجح أنها كانت شعارا للمشرف على هذه اللعبة في البلاط المملوكي، لاسيما وقد حظيت لعبة الشطرنج بشغف سلاطين المماليك وكانوا يمارسونها مع المقربين إليهم من الأمراء والعلماء

والأدباء (٢٦٢)، وحرص بعضهم انه إذا خرج فى أسفاره أن يحمل معه كمية من العاج برسم خرط الشطرنج، لانه جرت العادة إذا لعب السلطان بشطرنج مرة أخذه بعد ذلك أرباب النوبة وجدد غيره للسلطان (٢٦٣).

وجرت العادة أيضا ان المماليك الذين كانوا يقومون عند بيت السلطان بالسهر على حراسته وتقسيم الليل بينهم، كانوا يحرصون على القيام بلعب الشطرنج (٢٦٤)، أثناء قيامهم بنوبات الحراسة حتى يصرفون النوم عن أجفانهم الأمر الذى يؤكد على أهمية هذه اللعبة إبان هذا العصر كأحدى وسائل التسلية، فلا غرو ان يكون المشرف عليها قد صار له رنكا خاصا به أسوة ببقية موظفى البلاط المملوكى، ولكن بماذا نفسر وجود هذا الشعار على بعض عملات السلطان الأشرف قايتباى النحاسية من ضرب القاهرة، وعلى فلس باسم السلطان قانصوه الغورى (٢٦٥). يبدو ان الغرض من استعمالها كان زخرفيا بحتا (٢٦٦).

الهدف:

وهو يعد بدوره من الرنوك الغامضة التى يصعب تفسيرها خاصة وان المصادر المملوكية والتحف المنقوش عليها تخلو من وجود اللقب الوظيفى الخاص بصاحب هذا الرنك ومع ذلك فقد زعم أحد الباحثين انه يمثل رمزا سلطانيا استنادا الى انه نقش على بعض التحف التى تتضمن بعض الألقاب المضافة الى لفظة الدين مثل شهاب الدين، الذى نجده منقوشا على زبدية من الفخار المطلى محفوظة ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى، صنعت برسم شهاب الدين أحمد بن فرجى الملكى الناصرى (٢٦٧)، بيد ان هذا الرأى يجانبه الصواب لأننا نجد هذا الرنك منقوشا أيضا على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا، محفوظة فى نفس المتحف، صنعت برسم جامع الأمير الماس الناصرى، الذى شيده فى القاهرة سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٣٠م، أى قبل مقتله بحوالى خمس سنوات (٢٦٨).



شكل رقم (١٩) رنـك الهـدف

ومن المعروف أن الأمير الماس عمل في بداية حياته جاشنكيرا في بلاط السلطان الناصر محمد بن قلاوون، كما شغل في سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م وظيفة الحجابة الكبرى (٢٦٩) الأمر الذي يزيد من غموض هذا الرنك لكن إذا تذكرنا أن الهدف كان مستعملاً في لعبة الرماية المعروفة باسم القبق (٢٧٠). ولعبة القبق هي نصب صار طويل من خشب يكون في رأسه قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف، ويكون في القرعة طير حمام، ثم يأتي اللاعبون للمباراة في رمي الهدف بالنشاب أو السهام وهم على ظهور الخيل، فمن أصاب القرعة وأطار الحمام حاز السبق وأخذ القرعة المعدنية مكافأة له (٢٧٠). الأمر الذي يدفع الى الترجيح بأن هذا الرنك لم يكن يشير الى وظيفة بعينها، وانما كان بمثابة هدية أو منحة من السلطان للمملوك أو الأمير الذي يجيد التصويب ويحرز الهدف تميزا له على غيره من الأمراء، ولعله أيضا كان شعارا للمسئول عن هذه اللعبة في البلاط السلطاني.

وكان ينقش على هيئة هدف التصويب سواء على شكل قرص مستدير، أو على هيئة مروحة موضوعة على قاعدة مثلثة وفي جزئها العلوي يوجد ثقب يتدلى منه سهم متحرك. ومن المعروف أن هذا الرمز ورد على فلس يحمل اسم السلطان المنصور محمد يعلو نقشا لنسر ساترا جهة اليسار (٢٧١) مما يجعله يندرج تحت موضوع الرنوك المركبة.

رنك أمير شكار:

وهو شعار يتألف من شكل دائري مقسم إلى أربعة قضبان أفقية تخلو من الرموز الشائعة في علم الرنوك والتي تدل في الغالب على الوظيفة التي كان يشغلها الأمير في البلاط المملوكي ورغم ان الرنوك الخالية من الرموز تعد أمرا مألوفا بالنسبة لرنوك هذا العصر، إلا أن هذا الرنك يعد غريبا بالنسبة لعدد القضبان الأربعة التي توجد داخله، اذ لم نصادفه إلا على مثال فريد عبارة عن قاع

إناء من الفخار المطلى، ينسب الى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، ولكنه بدون كتابة تذكارية مصاحبة له مما يقلل من أهميته (٢٧٢)، وذلك فى الوقت الذى وصلنا فيه بضعة رنوك من هذا النوع، أحدها يحتوى على ثلاثة قضبان فقط ونعنى به رنك البريدى كما سبق أن نوهنا من قبل، كما وصلنا شكل آخر لهذا الرنك الغفل من الرموز يتألف من خمسة قضبان على درع مستدير وجد على متعلقات كل من الأمير بهادر المتحكى، والأمير قشتمر شاد الدواوين، والأمير طرنطاى الطباخى، مما يجعل من الصعب نسبة هذا الرنك الى وظيفة بعينها (٢٧٣)، وذلك على النقيض من هذا الرنك الذى يتضمن أربعة قضبان الذى نشاهده أيضا على مشكاة من زجاج المموه بالمينا محفوظة ضمن مجموعة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى، صنعت برسم جامع أمير حسين بن جندربك أمير شكار (٢٧٤) الذى شيده فى القاهرة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م الأمر الذى يدفع الى الاعتقاد بأن هذا الرنك كان شعار لأمير شكار أى أمير الصيد المسئول عن الصيود السلطانية وجوارح الطير وغيرها من حيوان الصيد وأحواش الطيور وهى من الوظائف التى شغلها كبار العسكريين من بين امراء المئين أثناء القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، وذلك على العكس مما ذكره القلقشندى من انها كانت تحتل المرتبة الثانية والعشرين بين الوظائف العسكرية بالحضرة السلطانية، وأنها كانت قاصرة على امراء العشرات فى عصره، أى فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى (٢٧٥) وان كنا لا نستطيع ان نقطع بصحة هذا الرأى بصورة قاطعة ونهائية حتى نعثر على تحف أخرى تحمل هذا الرنك مصحوبا باللقب الوظيفى لأمير شكار، خاصة وان المصادر التاريخية التى أشارت الى ضرب الأمير حسين بن جندر لرنكه على الخوخة التى فتحها فى سور القاهرة الغربى لينفذ منها الى جامعه، لم تهتم باعطائنا وصفا مفصلا لهذا الرنك (٢٧٦).

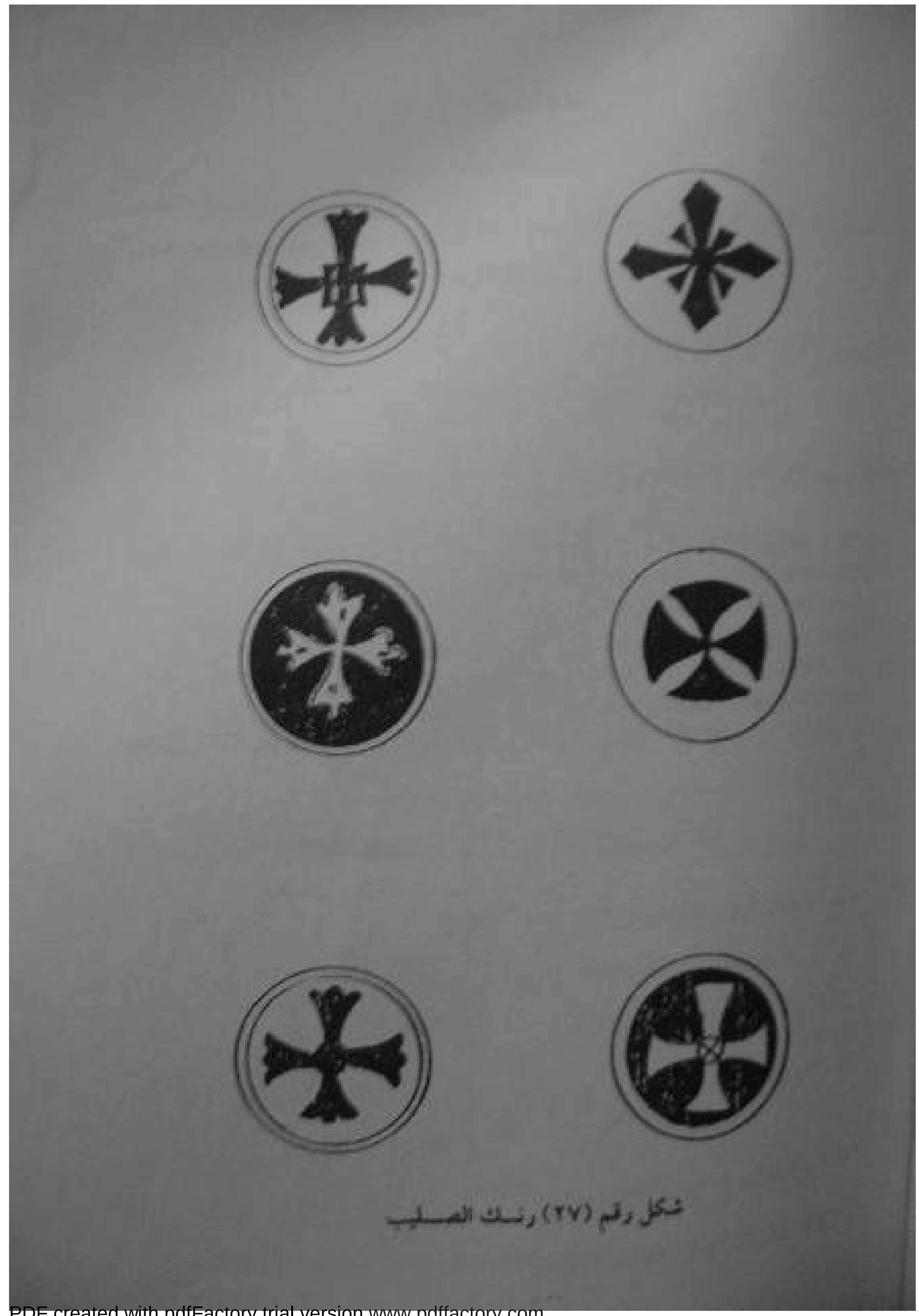
الصليب:

وهو من الرموز الشائعة على التحف المملوكية، حيث نشاهده بكثرة على الفخار المطلى (٢٧٧)، كما نشاهده على زجاجة عطر تنسب الى أواخر القرن السابع - أوائل الثامن الهجرى/ الثالث عشر - الرابع عشر للميلاد، محفوظة ضمن مجموعة مدينة بنيويورك (٢٧٨) وعلى مشكاتين من الزجاج المموه بالمينا، أحدهما فى المتحف الإسلامى بالقاهرة، والأخرى فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك (٢٧٩).

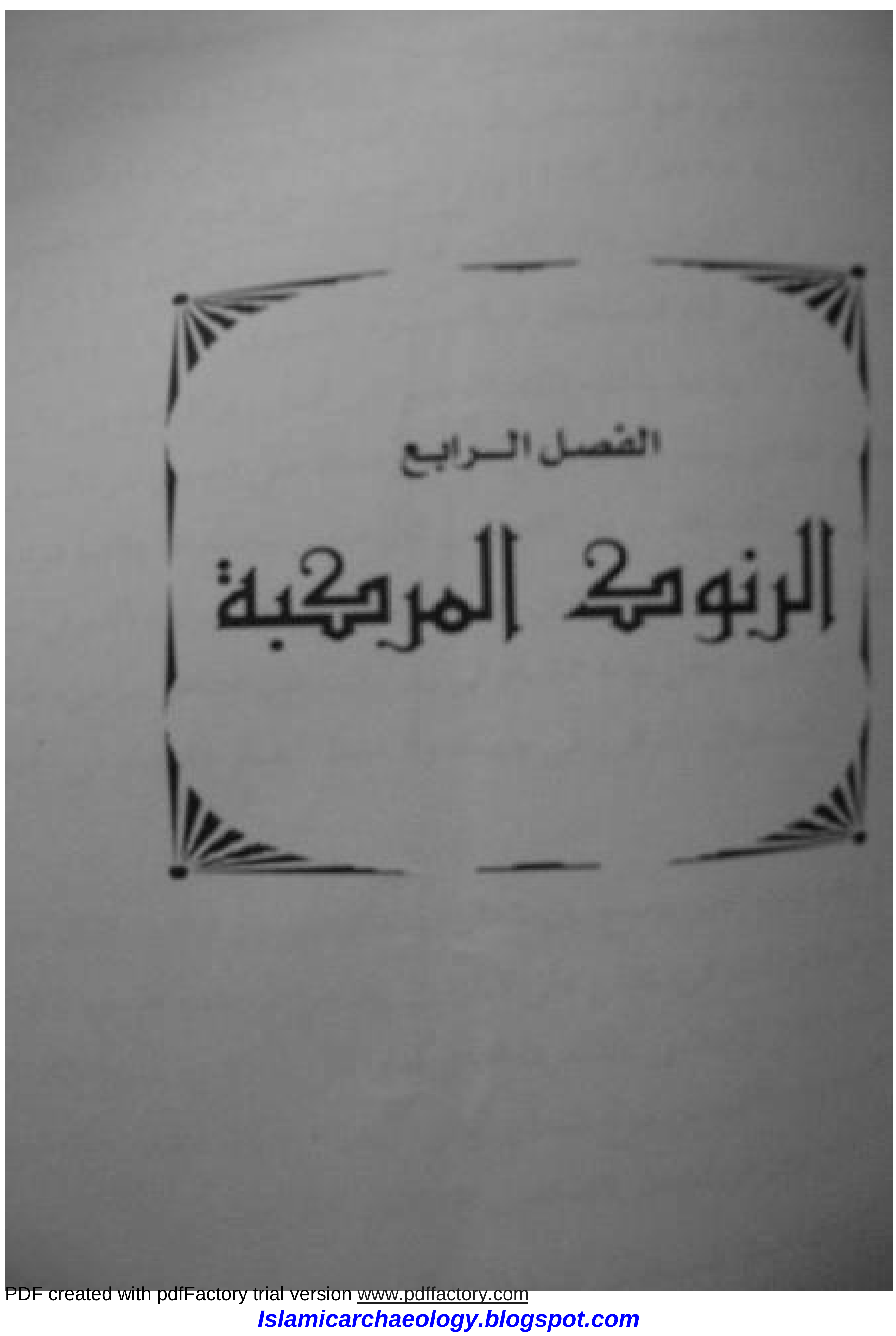
والصليب يعتبر من أقدم الرموز استعمالا منذ القرن الثالث الميلادى بعد أن أصبح بمثابة الرمز الكامل للسيد المسيح، أو بمثابة علامة الدين المسيحى، وهو يعنى غفران الخطايا والخلاص.

وللصليب أشكال متعددة، أهمها شكلين هما الصليب اللاتينى، والصليب اليونانى. والأول عبارة عن عمودين متعامدين ونقطة تقابلهما تكون فى الوسط وله ثلاثة أطراف متساوية. أما الطرف الرابع وهو السفلى فأطول من الأطراف الثلاثة الأخرى، ويروى أن السيد المسيح صلب على صليب من الشكل اللاتينى وهو نادر الوجود على التحف المملوكية.

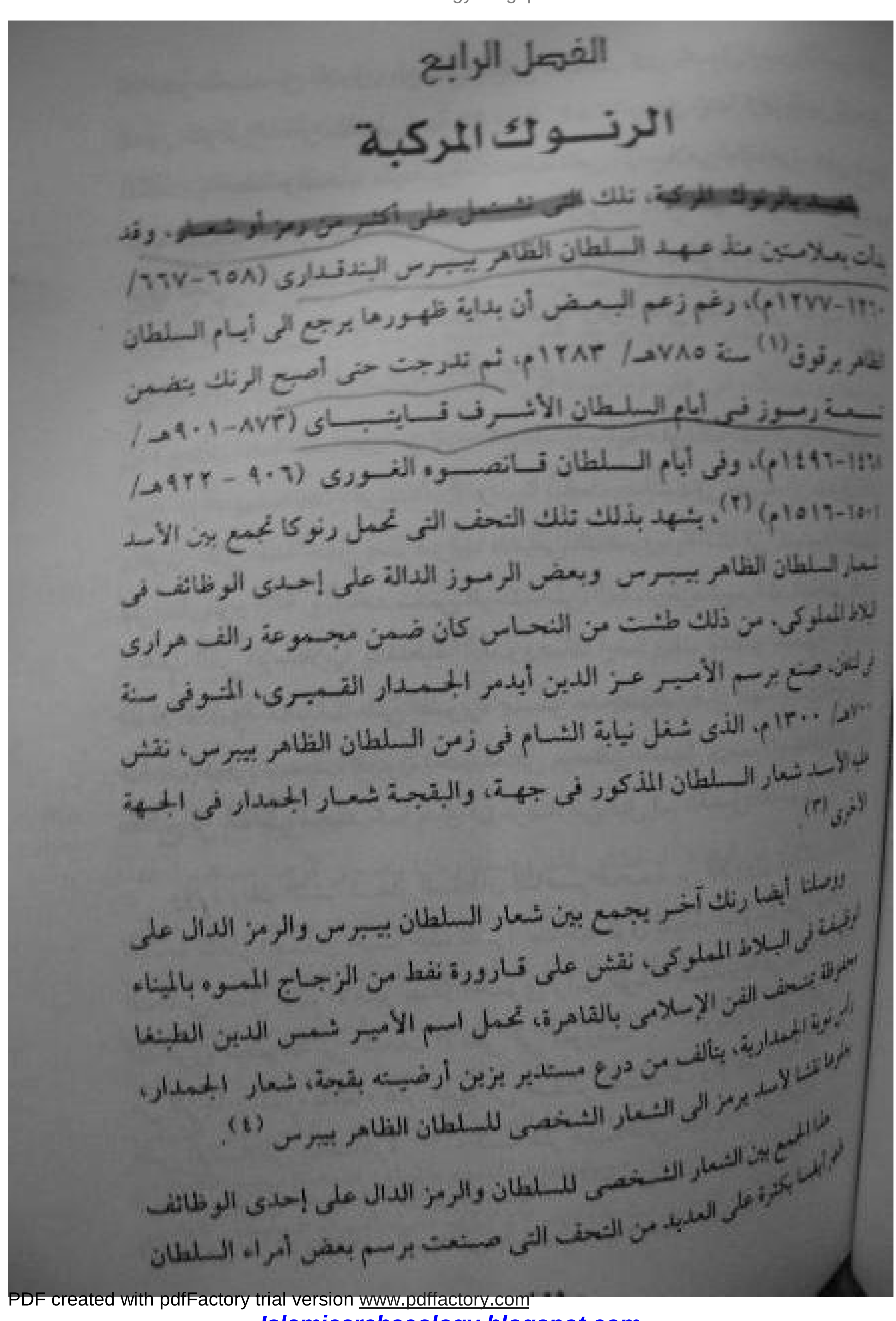
أما الصليب اليونانى فهو يتألف من أربعة أضلاع متساوية ويستعمل للدلالة على كنيسة المسيح ويرمز به الى تضحية المسيح من أجل خلاص البشر (٢٨٠). ونشاهده بكثرة على تحف عصر المماليك ولعله يرمز الى مستوفى الديوان من المسيحيين (٢٨١) فى العصر المملوكى، وبذا يندرج ضمن الرنوك الدالة على الوظائف، ولعله يشير أيضا الى ان التحفة قد صنعت لاحد المسيحيين العاملين فى البلاط المملوكى (٢٨٢).



شكل رقم (٢٧) رنك الصليب



الفصل الرابع
الرنوك المركبة



الفصل الرابع

الرنوك المركبة

يقصد بالرنوك المركبة، تلك التى تشتمل على أكثر من رمز أو شعار. وقد [ظهر]ت بعلامتين منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨-٦٦٧هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، رغم زعم البعض أن بداية ظهورها يرجع الى أيام السلطان الظاهر برقوق[1] سنة ٧٨٥هـ/ ١٢٨٣م، ثم تدرجت حتى أصبح الرنك يتضمن تسعة رموز فى أيام السلطان الأشرف قايتباى (٨٧٣-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م)، وفى أيام السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)[2]. يشهد بذلك تلك التحف التى تحمل رنوكا تجمع بين الأسد شعار السلطان الظاهر بيبرس وبعض الرموز الدالة على إحدى الوظائف فى البلاط المملوكى، من ذلك طشت من النحاس كان ضمن مجموعة رالف هرارى [في] لندن، صنع برسم الأمير عز الدين أيدمر الجمدار القميرى، المتوفى سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، الذى شغل نيابة الشام فى زمن السلطان الظاهر بيبرس، نقش عليه الأسد شعار السلطان المذكور فى جهة، والبقجة شعار الجمدار فى الجهة الأخرى[3].

ووصلنا أيضا رنك آخر يجمع بين شعار السلطان بيبرس والرمز الدال على وظيفة فى البلاط المملوكى، نقش على قارورة نفط من الزجاج المموه بالمينا، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تحمل اسم الأمير شمس الدين الطيبغا [...] الجمدارية، يتألف من درع مستدير يزين أرضيته بقجة، شعار الجمدار، يعلوها نقش لأسد يرمز الى الشعار الشخصى للسلطان الظاهر بيبرس[4].

هذا الجمع بين الشعار الشخصى للسلطان والرمز الدال على إحدى الوظائف نجده أيضا بكثرة على العديد من التحف التى صنعت برسم بعض أمراء السلطان

الناصر محمد بن قلاوون من ذلك بعض التحف التي تحمل اسم الأمير سيف الدين طغزتمر الساقي، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، من بينها زهرية من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، على بدنها كتابة نسخية باسم هذا الأمير يتخللها ثلاثة رنوك، يكل منها نسر باسطا جناحيه فوق كأس [5]، وطشت من النحاس المكفت بالفضة محفوظ بنفس المتحف يزينه شريط عريض من الكتابات النسخية يقطعها رنوك على هيئة ترس مدبب الطرف داخله نسر باسطا جناحيه فوق كأس صغير [6].

وهناك أيضا مصباحين من الزجاج المموه بالمينا في المتحف البريطاني بلندن، يزين كل منهما نفس الرنك [7]. ولدينا أيضا رنك يمثل نسر سائرا فوق كأس منقوش على طبلة تحمل اسم قرابغا الساقي الناصري، كانت في كنيسة سان بول في تارسون [8] ونشاهد نفس الرنك على العديد من كسرات الفخار المطلي بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة [9]، ووصلنا أيضا رنك النسر المبسوط الجناحين فوق الكأس، منقوشا على تصويرة ضمن مخطوط الحيل الهندسية للجزري، محفوظ في متحف الفنون الجميلة في بوسطن، عمل برسم السلطان الصالح صالح بن الناصر محمد كما سبق أن نوهنا من قبل في الفصل السابق [10].

وورد رنك النسر شعار السلطان الناصر محمد بن قلاوون كذلك بصحبة البقجة شعار الجمدار حيث نجده ناشرا جناحيه فوق بقجة، منقوشا على مبخرة من النحاس تحمل اسم الأمير بهادر الحموي رأس نوبة الجمدارية في بلاط السلطان المذكور، محفوظة في المتحف الأهلي في فلورنسا [11]، ونشاهد أيضا على قطعة من الزجاج المموه بالمينا عثر عليها في حفائر الفسطاط، وتوجد حاليا في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة [12]، كما عثر عليه على بقايا إناء من الفخار المطلي محفوظ في المعهد الألماني ببيروت [13]. ويحتفظ كل من المتحف الإسلامي [14]، والمتحف البريطاني بلندن [15] بكسرات من الفخار المطلي يزينها

رنك يتألف من نسر باسطا جناحيه نقش إلى يساره السيف شعار السلحدار، وتحتفظ دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى بدورها بقاع إناء من نفس النوع يزينه رنك يتألف من نسر باسطا جناحيه فوق علمين متدابرين، شعار العلمدار [16].

ووصلنا من هذا العصر أيضا رنك يتألف من ثلاثة رموز تتمثل فى نسر منشور الجناحين يعلو كأس، يوجد على جانبيه وريدة ذات شحمات ست، رمز بنى قلاوون، منقوش على زمزمية من الفخار، محفوظة فى المتحف الوطنى بدمشق [17]. ويمكن مشاهدة الوريدة ذات الشحمات الست كذلك على كسرة من الفخار المطلى ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، تتوسط سيفين، شعار السلحدار [18] ولدينا كذلك رنك من هذا النوع يتألف من كأس على الشطب الأوسط، يتوسط وريدتين ذات شحمات ست منقوش على سبيل شيد فى سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م بإشارة من الأمير بيبغا القاسمى فى حلب [19]. الأمر الذى يؤكد على معرفة الرنوك المركبة منذ أوائل سلطنة المماليك واستمرارها طوال العصر البحرى، حيث شهد هذا العصر أيضا وجود نوع آخر من الرنوك المركبة، تمثلت فى الرنوك التى تشتمل على أكثر من شعار يرمز الى الوظائف التى كان يشغلها المملوك فى البلاط السلطانى فقد وصلنا رنك يتضمن قرصا مستديرا، لعله يرمز الى الخونجة شعار الجاشنكير، بداخله رنك الهدف الذى رجحنا انه يرمز الى شعار المشرف على لعبة القبق فى البلاط المملوكى، منقوشا على كرسى مصحف من الخشب، عثر عليه فى مسجد العمرى فى قوص بصعيد مصر، من عمل غرس الدين خليل الناصرى، أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون [20] ولدينا أيضا رنك يتألف من دواة، فى المنطقة العليا من الرنك، وكأس على الشطب الأوسط، نقشا على مشكاتين من الزجاج المموه بالمينا، صنعتا برسم طقبتمر النجمى الدوادار، المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، أحد أمراء السلطان الناصر

...مد، أحدهما محفوظة في المتحف الوطني في فلورنسا، والأخرى في متحف ... الإسلامي بالقاهرة [٢١]. وعثر كذلك على رنك يشتمل على دواة في المنطقة ...يا وعلى بقجة على شطب الرنك باسم سيف الدين أقتمر الشهابي الحنبلي ...سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م [٢٢]، وعلى رنك آخر يشتمل على كأسين يحتل الكبير ...ا شطب الرنك، والصغير أسفله، منقوش على أحد أبواب مسجد الكرك ... جدده الزيني بركة رأس نوبة الملكي المنصوري في سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠ - ...١م [٢٣].

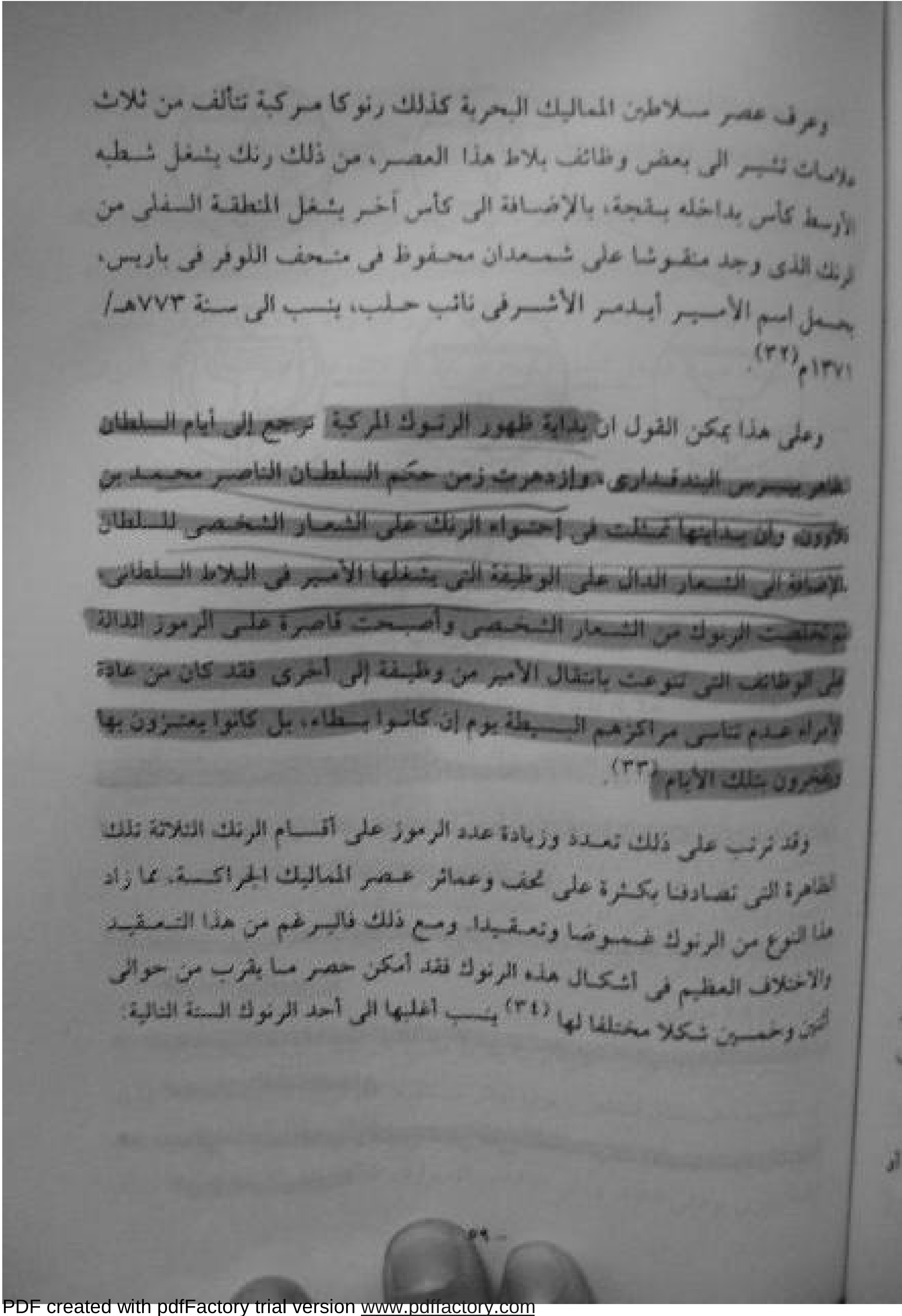
كما وصلنا رنك آخر يشتمل أيضا على كأسين ولكن بتوزيع مختلف باسم ...تمر المنصوري ينسب الى نفس السنة، يشغل فيه الكأس الصغير المنطقة العليا ...الرنك، على حين يشغل الكأس الكبير شطب الرنك [٢٤].

وعثر كذلك على رنك يتألف من كأس يشغل شطب الرنك وبقجة تشغل ...طقة السفلى منه باسم كمشبغا الحموي، ينسب الى سنة ٧٨٣هـ/ ...١٣٨م [٢٥].

ووجدت أيضا رنوكا مركبة تشتمل على بقجتين تمثلان المنطقة العليا، والمنطقة ...سفلى من الرنك تزين بعض كسرات من الفخار المطلي، ترجع الى القرن الثامن ...هجري/ الرابع عشر الميلادي [٢٦].

وأمدنا فخار هذا العصر أيضا ببعض الرنوك الوظائفية المركبة، حيث نشاهد ...لى بعض كسراته السيف شعار السلحدار مع حدوة الفرس، أو الهلال شعار ...مير أخور الذي نقش عادة يتوسط سيفين [٢٧]، أو نقش الى يمين أحد السيوف ...[٢٨]، أو يعلو أحد السيوف [٢٩].

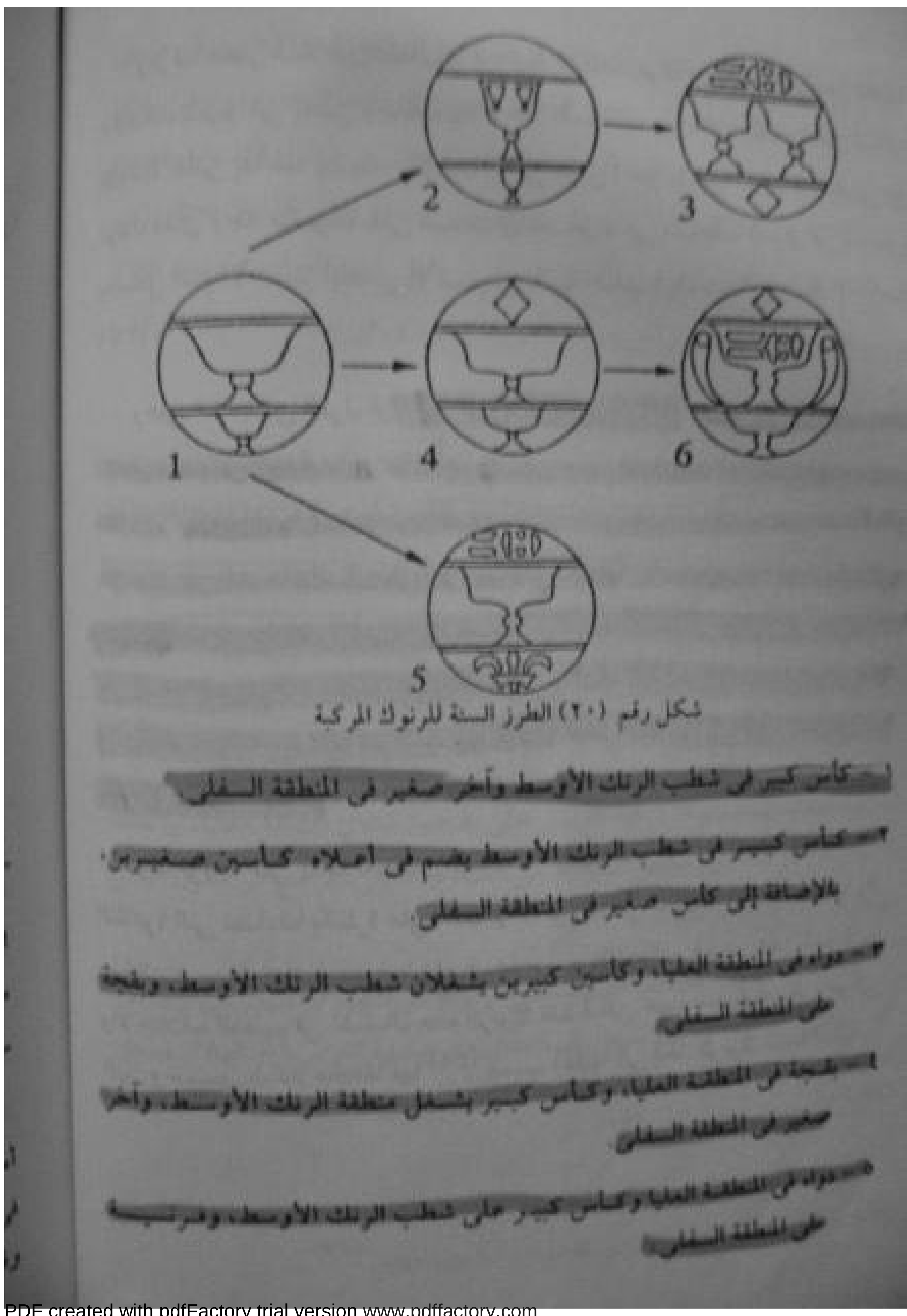
وعثر كذلك على شعار السلحدار بصحبة الكأس شعار الساقي [٣٠] أو ...صحبة البقجة شعار الجمدار التي نقشت عادة بين سيفين [٣١].



وعرف عصر سلاطين المماليك البحرية كذلك رنوكا مركبة تتألف من ثلاث علامات تشير الى بعض وظائف بلاط هذا العصر، من ذلك رنك يشغل شطبه الأوسط كأس بداخله بقجة، بالإضافة الى كأس آخر يشغل المنطقة السفلى من رنك الذى وجد منقوشا على شمعدان محفوظ فى متحف اللوفر فى باريس، يحمل اسم الأمير أيدمر الأشرفى نائب حلب، ينسب الى سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م(٣٢).

وعلى هذا يمكن القول ان بداية ظهور الرنوك المركبة ترجع إلى أيام السلطان ظاهر بيبرس البندقدارى، وازدهرت زمن حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأن بدايتها تمثلت فى احتواء الرنك على الشعار الشخصى للسلطان بالإضافة إلى الشعار الدال على الوظيفة التى يشغلها الأمير فى البلاط السلطانى. ثم تخلصت الرنوك من الشعار الشخصى وأصبحت قاصرة على الرموز الدالة على الوظائف التى تنوعت بانتقال الأمير من وظيفة إلى أخرى فقد كان من عادة الأمراء عدم تناسى مراكزهم البسيطة يوم إن كانوا بسطاء، بل كانوا يعتزون بها ويفخرون بتلك الأيام(٣٣).

وقد ترتب على ذلك تعدد وزيادة عدد الرموز على أقسام الرنك الثلاثة تلك الظاهرة التى تصادفنا بكثرة على تحف وعمائر عصر المماليك الجراكسة. مما زاد هذا النوع من الرنوك غموضا وتعقيدا. ومع ذلك فالبرغم من هذا التعقيد والاختلاف العظيم فى اشكال هذه الرنوك فقد أمكن حصر ما يقرب من حوالى ثمان وخمسين شكلا مختلفا لها(٣٤) ينسب اغلبها الى أحد الرنوك الستة التالية:



شكل رقم (٢٠) الطرز الستة للرنوك المركبة

١- كأس كبير فى شطب الرنك الأوسط وآخر صغير فى المنطقة السفلى.

٢- كأس كبير فى شطب الرنك الأوسط يضم فى أعلاه كأسين صغيرين، بالإضافة إلى كأس صغير فى المنطقة السفلى.

٣- دواة فى المنطقة العليا، وكأسان كبيران يشغلان شطب الرنك الأوسط، وبقجة على المنطقة السفلى.

٤- بقجة فى المنطقة العليا، وكأس كبير يشغل منطقة الرنك الأوسط، وآخر صغير فى المنطقة السفلى.

٥- دواة فى المنطقة العليا وكأس كبير على شطب الرنك الأوسط، وفرنسيسة على المنطقة السفلى.

وبقجة فى المنطقة العليا، وكأس كبير فى المنطقة الوسطى يشغل أعلاه دواة، ويكتنفه من كلا الجانبين قرنى بارود، وفى أسفل الرنك كأس صغير (٣٥).

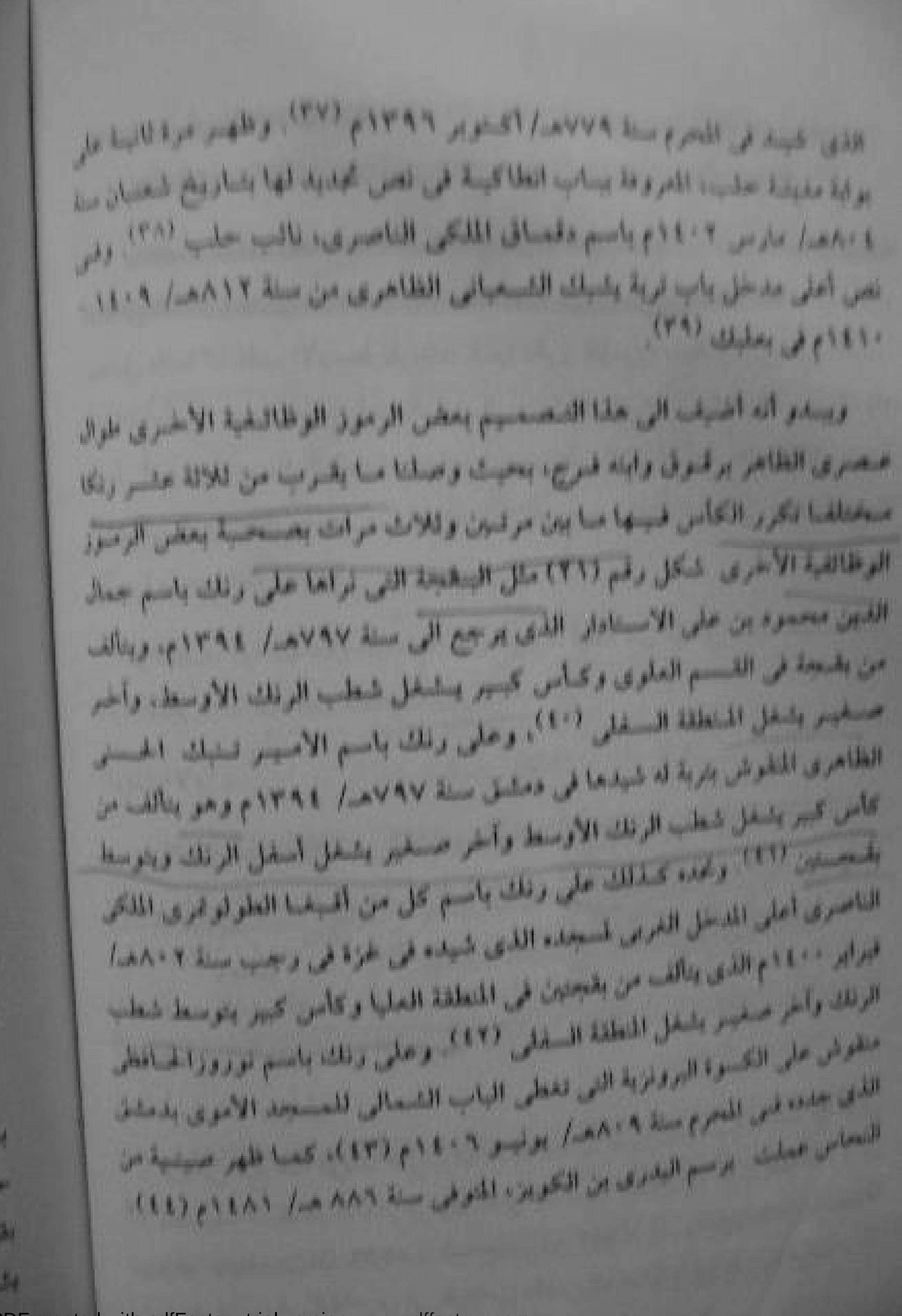
وتكشف دراسة هذه الأشكال الستة عن بعض الحقائق الثابتة أهمها أن رنك الكأس شعار الساقى قد ظهر بصفة أساسية فى جميع هذه الأشكال حيث نراه يحتل دائما الشطب الأوسط للرنك، كما تكرر ظهوره بصفة ثانوية فى خمسة أشكال منها، حيث شغل أحد أقسام الرنك الثلاثة، على حين ورد رنك الدواة، شعار الدوادار، ورنك البقجة، شعار الجمدار على ثلاثة أشكال فقط لكل منهما. أما رنكى قرون البارود، وزهرة اللوتس أو الفرنسية فلم يظهرا فى هذه المجموعة إلا مرة واحدة لكل منهما.

وكشفت دراسة هذه المجموعة من الرنوك أيضا عن أن كل رنك منها عاصر فترة حكم أحد سلاطين المماليك الجراكسة.

الرنك الأول:

نراه على مجموعة من التحف والعمائر المنسوبة إلى أمراء السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج منذ سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وشاع استخدامه حتى سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م (٣٦)، وبذا يعد استمرارا لرنك الزينى بركة رأس نوبة الملكى المنصورى الذى ظهر فى أواخر عصر المماليك البحرية على أحد أبواب بقايا مسجد الكرك الذى جدده الأمير المذكور فى سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠-١٣٨١م كما سبق أن نوهنا من قبل.

ويمكن تتبع هذا الرنك على بوابة مدينة حلب المعروفة باسم باب انطاكية الذى أمر بتجديده السلطان الظاهر برقوق بنظر كمشبغا الظاهرى، نائب المملكة الحلبية فى شهر رمضان سنة ٧٩٢هـ/ اغسطس ١٣٩٠م (٣٦). وأعلى مدخل مسجد ... تغرى برمش الظاهرى فى طرابلس المعروف حاليا باسم المدرسة الظاهرية،



الذي كتبه في المحرم سنة ٧٩٩هـ/ أكتوبر ١٣٩٦م (٣٧)، وظهر مرة ثانية على بوابة مدينة حلب، المعروفة بباب انطاكية في نص تجديد لها بتاريخ شعبان سنة ٨٠٤هـ/ مارس ١٤٠٢م باسم دقماق المحمدي الناصري، نائب حلب (٣٨). وفي نص أعلى مدخل باب تربة يشبك الشعباني الظاهري من سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩-١٤١٠م في بعلبك (٣٩).

ويبدو أنه أضيف الى هذا التصميم بعض الرموز الوظائفية الأخرى طوال عصري الظاهر برقوق وابنه فرج، بحيث وصلنا ما يقرب من ثلاثة عشر رنكا مختلفا تكرر الكأس فيها ما بين مرتين وثلاث مرات بمصاحبة بعض الرموز الوظائفية الأخرى شكل رقم (٣٦) مثل البقجة التي نراها على رنك باسم جمال الدين محمود بن علي الأستادار الذي يرجع الى سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، ويتألف من بقجة في القسم العلوي وكأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط، وآخر صغير يشغل المنطقة السفلى (٤٠)، وعلى رنك باسم الأمير تنبك الحسني الظاهري المنقوش بتربة له شيدها في دمشق سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وهو يتألف من كأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط وآخر صغير يشغل أسفل الرنك ويتوسط بقجتين (٤١) ونجده كذلك على رنك باسم كل من أقبغا الطولوتمري الملكي الناصري أعلى المدخل الغربي لمسجده الذي شيده في غزة في رجب سنة ٨٠٢هـ/ فبراير ١٤٠٠م الذي يتألف من بقجتين في المنطقة العليا وكأس كبير يتوسط شطب الرنك وآخر صغير يشغل المنطقة السفلى (٤٢). وعلى رنك باسم نوروز الحافظي منقوش على الكسوة البرونزية التي تغطي الباب الشمالي للمسجد الأموي بدمشق الذي جدده في المحرم سنة ٨٠٩هـ/ يوليو ١٤٠٦م (٤٣)، كما ظهر صينية من النحاس عملت برسم البدري بن الكويز، المتوفى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م (٤٤).



شكل رقم (٢١) رنوك الظاهرية برقوق المركبة

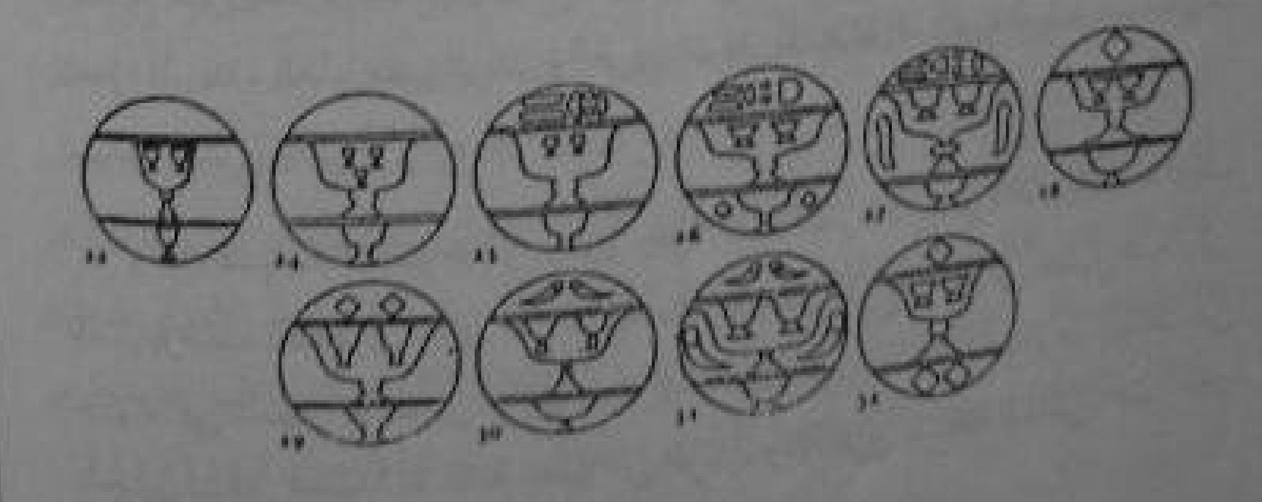
وظهرت الدواة أيضاً مع رسوم الكأس على بعض رنوك هذه الفترة من بينها رنك باسم يونس الدوادار الملكى الظاهرى المتوفى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م يشتمل على دواة فى المنطقة العليا وكأس كبير على الشطب الأوسط، وآخر صغير على المنطقة السفلى، منقوش على بعض عمائره فى القاهرة ودمشق وغزه (٤٥). ورنك باسم أرغون شاه الظاهرى يرجع الى سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م، يتألف من بقجة تشغل المنطقة العليا من الرنك وأخرى تشغل المنطقة السفلى، أما شطب الرنك فيشغله نقش لكأس (٤٦).

ونجد السيف كذلك ضمن رموز رنوك هذه الفترة كما هو الحال بالنسبة لرنك باسم يوسف الظاهرى الذى عثر عليه منقوشا على لوح رخام فى سبيل شيده فى حماه فى شهر جمادى الأول سنة ٧٩٧هـ/ فبراير ١٣٩٥م، وهو يتألف من شعبتين تشغل أحدهما المنطقة العليا من الرنك والأخرى المنطقة السفلى، على حين يشغل الكأس شطب الرنك الأوسط (٤٧).

الرنك الثانى:

وهو يظهر بدوره على التحف والعمائر المنسوبة إلى أمراء السلطان المؤيد شيخ فى الفترة الممتدة من سنة ٨١٥ - ٨٧١هـ/ ١٤١٢ - ١٤٦٦ أى حتى عصر السلطان الظاهر خشقدم.

وجدير بالذكر أنه ظهر للمرة الأولى على بعض متعلقات المؤيد شيخ وقت ان كان ساقيا فى بلاط السلطان الظاهر برقوق أى منذ سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م حيث نراه على بقايا كسوة الباب الشرقى للجامع الأموى المحفوظة حاليا فى المتحف الوطنى بدمشق وهو يتألف كما سبق أن نوهنا من قبل من كأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط ، يشتمل على كأسين صغيرين، بالاضافة الى كأس صغير يشغل المنطقة السفلى (٤٨). كما ظهر على إناء لحفظ الطعام مطبقية من النحاس محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة صنعت برسم إبراهيم بن بيغوت المؤيدى المتوفى سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م (٤٩). ثم أضيفت إليه بعض الرموز الوظائفية الأخرى (شكل رقم ٢٢) كما يتضح من رنك جقمق الدوادار المؤيد الذى يتألف



شكل رقم (٢٢) رنوك المؤيدية شيخ المركبة

من دواه تشغل المنطقة العليا من الرنك، ومن كأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط ويشتمل على كأسين صغيرين، بالاضافة الى كأس رابع يشغل أسفل الرنك، الذى وجد فى الخانقاة التى شيدها فى دمشق سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٢١م (٥٠).

ورنك باسم يشبك الحمزاوى المتوفى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، الذى يتألف من دواه تشغل منطقة الرنك العليا، وكأس كبير يشغل منطقة الرنك الوسط وبه كأسان صغيران، ويكتنفه من الجانبين بعض رموز السمغا، بالإضافة الى كأس رابع يشغل أسفل الرنك. ونراه منقوشا على بدن شمعدان من النحاس صنع برسم هذا الأمير (٥١). كما ظهر بشكل آخر على رنك باسم تنم المؤيدى الملكى الظاهرى، منقوش على شمعدان من النحاس صنع فيما بين سنتى ٨٥١-٨٦٥هـ/ ١٤٤٧ - ١٤٦٠م، على هيئة درع مستدير يتضمن بقجتين فى المنطقة العليا، وكأس كبير يشتمل على كأسين صغيرين على شطب الرنك الأوسط وكأس رابع على أسفل الرنك (٥٢) وظهر بشكل خامس على طشت عمل برسم فاطمة بنت سودون المؤيدى المتوفى سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م، محفوظ فى متحف فكتوريا والبرت بلندن على هيئة درع مستدير يتضمن فى المنطقة العليا بقجة، وعلى الشطب الأوسط كأس كبير يشغله كأسان صغيران بالإضافة الى كأس رابع يشغل أسفل الرنك (٥٣). وعثر أيضا على شكل سادس باسم سودون اليشبكى الأشرف، المتوفى سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م على صينية من النحاس صنعت برسمه، يتألف من دواه فى المنطقة العليا، وكأس كبير يشتمل على كأسين صغيرين على شطب الرنك، وكأس رابع يتوسط بقجتين على أسفل الرنك (٥٤).

وهناك شكل سابع يقتصر على مجموعة من الكؤوس فقط نشاهده على رنك باسم مغلطاى طاز المؤيدى ينسب الى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، يتألف من كأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط ويتضمن ثلاثة كؤوس صغيرة بالاضافة الى كأس خامس يشغل أسفل الرنك (٥٥). ولدينا أيضا من هذه الفترة شكل ثامن

باسم قراز المؤيدى الأشرفى المتوفى سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، يتألف من بقجة فى المنطقة العليا، وكأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط ويشتمل على كأسين صغيرين، وبقجتين فى أسفل الرنك، عثر عليه فى قبر بنى الله رويبن فى غزة(٥٦).

الرنك الثالث :

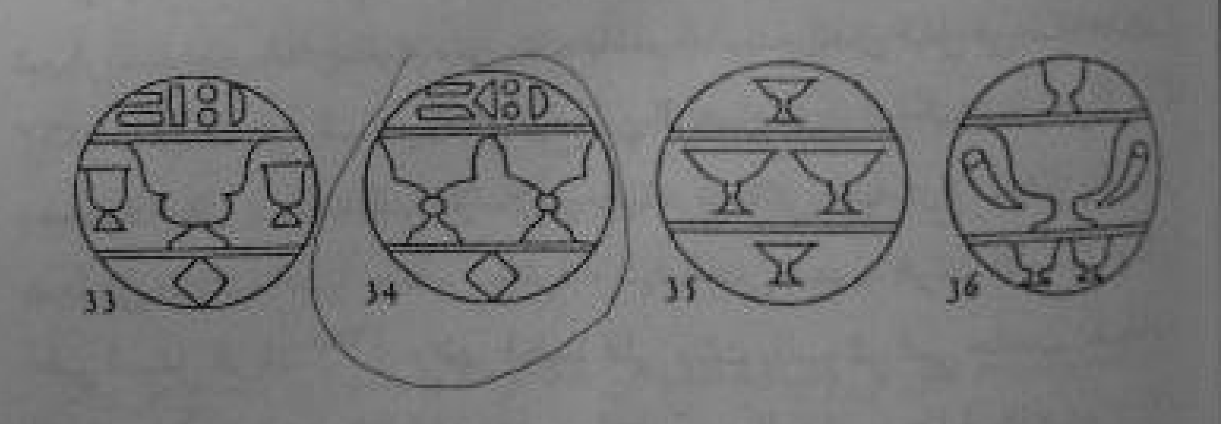
رغم شيوع استخدامه على تحف وعمائر المماليك الأشرفية برسباى إعتبارا من سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م، واستمرار ظهوره حتى سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، حيث وصلنا ثلاثة نماذج منه لعبت فيها الكؤوس دورا رئيسيا فى مضمون الرنك بالاضافة الى رنك الدواه، ورنك البقجة ورنك قرون البارود، فاننا تصادف هذا التصميم الذى يتألف من دواه فى المنطقة العليا وكأسان على شطب الرنك الأوسط، وبقجة أسفل الرنك، على رنك باسم السيفى أزدمر الذى كان فى الأصل مملوكا للسلطان الظاهر برقوق، ثم صار أحد أمراء المئين فى عهد المؤيد شيخ، وقتل فى سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، وهو منقوش على طشت من النحاس المطلى بالقصدير، كان فى إحدى المجموعات الخاصة فى برلين (٥٧).

وظهر أيضا على رنك باسم جانبك الملكى الأشرفى منقوشا على سماعة باب مسجده الذى شيده فى القاهرة سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦ - ١٤٢٧م (٥٨)، وظهر أيضا على رنك باسم تانق الملكى الأشرفى المتوفى سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، على طبق من النحاس المطلى بالقصدير فى إحدى المجموعات الخاصة بقبرص (٥٩) ويشاهد كذلك على رنك باسم الماس الملكى الأشرفى، الذى قتل أثناء حملة شاه سوار فى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٧٦م، منقوشا على طست من النحاس المطلى بالقصدير، كان ضمن مجموعة رالف هرار فى لندن (٦٠). وعلى رنك باسم قطب الدين الدمرداشى يزين زهرية من النحاس غفل من التاريخ (٦١).

ووجد تصميم آخر معدل من الرنوك المنسوبة إلى مماليك السلطان الأشرف

برساى، يتألف من دواه فى المنطقة العليا وكأس كبير يتوسط كأسين صغيرين على الشطب الرنك الأوسط وبقجة أسفل الرنك، مثل رنك السيفى بايزيد المتوفى سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م الذى وجد منقوشا على خولجة، أو حامل صينية من النحاس محفوظة فى متحف فكتوريا والبرت فى لندن (٦٢).

ووصلنا تصميم ثالث من رنوك المماليك الأشرفية برسباى، اختفت فيه الدواه والبقجة واقتصرت رموزه على أربعة كؤوس وزعت على أقسام الرنك الثلاثة فصرنا نشاهد كأس صغير يشغل أعلى الرنك، وكأس كبير يتوسط قرنى باورد على الشطب الأوسط، وكأسين على المنطقة السفلى للرنك، مثل رنك السيفى سرداش الملكى الأشرفى المنقوش على مطبقية من النحاس، كانت فى إحدى المجموعات الخاصة بالقاهرة (٦٣) (شكل رقم ٢٣).



شكل رقم (٢٣) رنوك الأشرفية برسباى المركبة

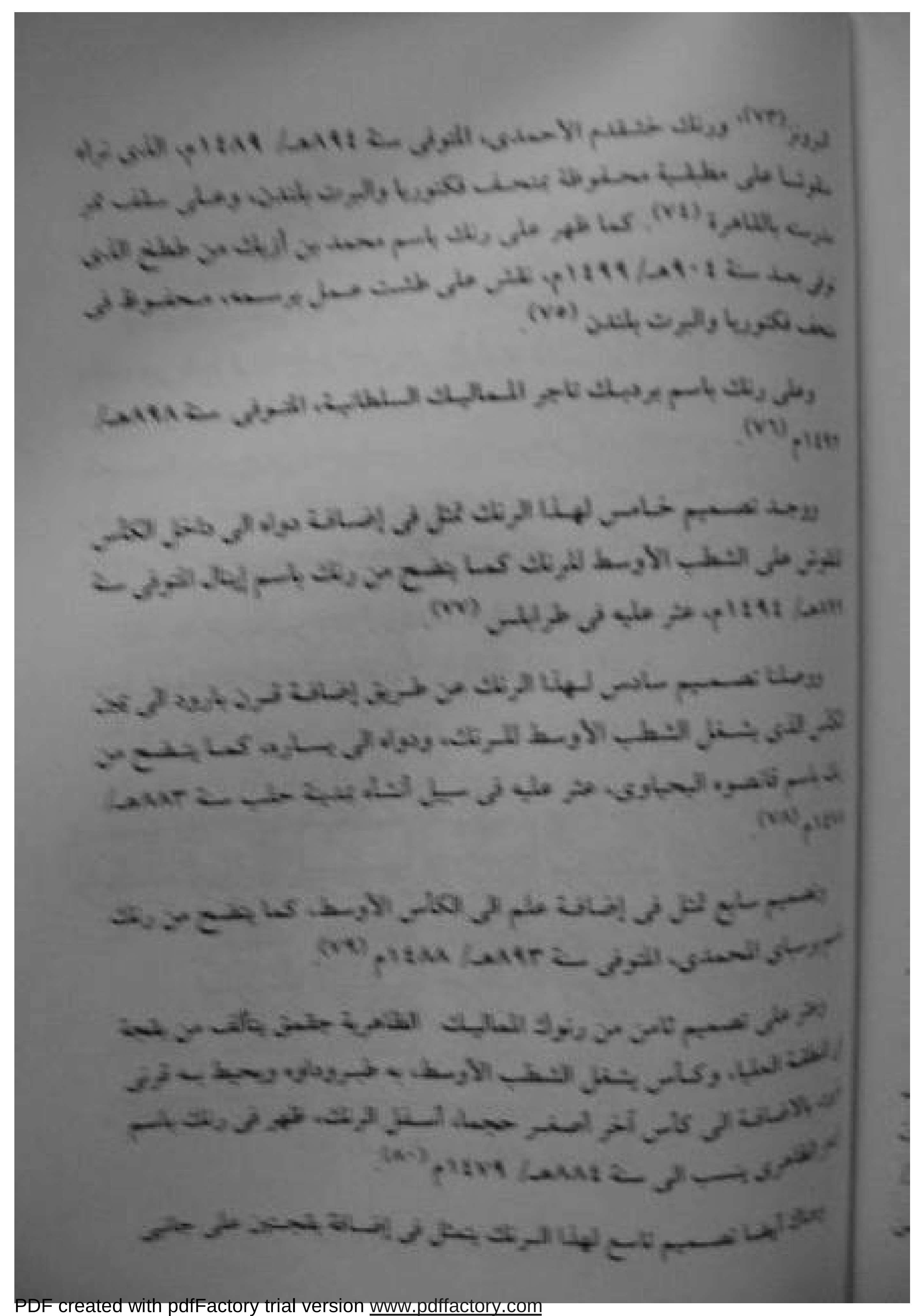
الرنك الرابع :

وهو يعد بمثابة الأساس الذى تفرعت منه الرنوك المركبة للمماليك الظاهرية جقمق ويبدو أنه كان على صلة وثيقة بالرنك الأول الخاص بمماليك السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج مع تعديل طفيف تمثل فى اضافة رمز البقجة فى

أعلى الرنك، ولعل مرجع هذا الى أن السلطان جقمق كان في الأصل أحد مماليك الظاهر برقوق (٦٤)، وقد شاع هذا التصميم اعتبارا من سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م واستمر حتى سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م في أيام السلطان الأشرف قايتباي ويمكن مشاهدة هذا التصميم من خلال رنك باسم قانصوه المحمدي الذي قتل خلال حملة شاه سوار سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م، نقش على إناء من النحاس صنع برسمه (٦٥)، وعلى رنك باسم تمراز الظاهري منقوش داخل مسجده بالقاهرة الذي فرغ من بنائه في صفر سنة ٨٧٦هـ/ يوليو ١٤٧١م (٦٦)، وعلى رنك باسم علي بن شاهين، المتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، المنقوش على مطبقية باحدى المجموعات الخاصة بالقدس (٦٦)، كما ظهر على رنوك كل من أحمد بن المغربي، وبرقوق أحد مماليك الأشرف، وسيف الدين قايتباي (٦٧).

وشهد هذا التصميم أيضا إضافة بعض الرموز الوظائفية الأخرى مثل السيف شعار السلحدار الذي نراه على رنك باسم جانبك، الذي قتل في سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م، وذلك في قبته وعلى لوح من الرخام جاء من مسجده بالقاهرة، ومحفوظ حاليا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، نقش عليه درع مستدير يتألف من بقجة في المنطقة العليا، وكأس يخترقه سيف على شطب الرنك الأوسط، وكأس آخر أسفل الرنك (٦٨). وظهر أيضا على رنك باسم تمر أمير حاجب الحجاب، المتوفى سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، على سلطانية من النحاس مطلية بالقصدير (٧٠)، ووجد رنك آخر تضمن سيفين نقشا على جانبي الكأس الذي يحتل الشطب الأوسط (٧١).

ووجد رنك آخر باسم سيف الدين جانم البلهوان استبدلت فيه البقجة في أعلى الرنك بدواة (٧٢) وعثر على تصميم رابع لهذا الرنك استبدل فيه السيفين بقرني بارود كما هو الحال بالنسبة لرنك أزبك من ططخ، المتوفى سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م، المنقوش على طبق من النحاس المطلي بالقصدير، وعلى آخر من



الروك(٧٣)، ورنك خشقدم الأحمدي المتوفي سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م الذي نراه منقوشا على مطبقية محفوظة بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن، وعلى سقف قبر بتربته بالقاهرة (٧٤). كما ظهر على رنك باسم محمد بن أزبك من ططخ الذي توفي بعد سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م، نقش على طست عمل برسمه، محفوظ في متحف فكتوريا وألبرت بلندن (٧٥).

وعلى رنك باسم بردبك تاجر المماليك السلطانية، المتوفي سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م (٧٦).

ويوجد تصميم خامس لهذا الرنك تمثل في إضافة دواة إلى داخل الكأس الذي يشغل الشطب الأوسط للرنك كما يتضح من رنك باسم إينال المتوفي سنة [illegible]هـ/ ١٤٩٤م، عثر عليه في طرابلس (٧٧).

ووصلنا تصميم سادس لهذا الرنك عن طريق إضافة قرن بارود إلى يمين الكأس الذي يشغل الشطب الأوسط للرنك، ودواة إلى يساره، كما يتضح من رنك باسم قانصوه البحياوي، عثر عليه في سبيل أنشأه بمدينة حلب سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م (٧٨).

وتصميم سابع تمثل في إضافة علم إلى الكأس الأوسط، كما يتضح من رنك برسباي المحمدي المتوفي سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م (٧٩).

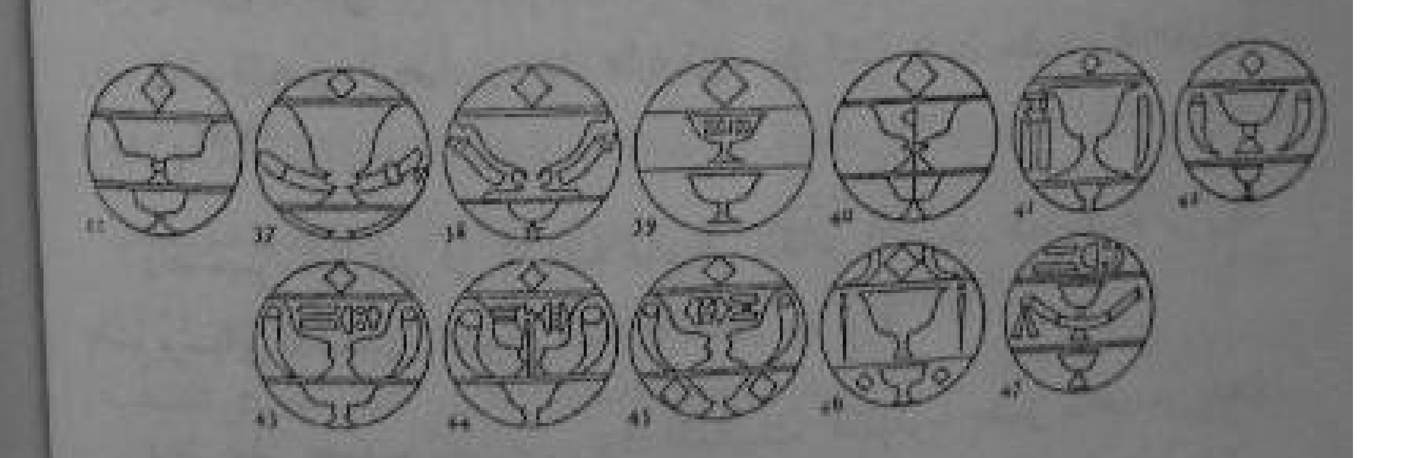
وعثر على تصميم ثامن من رنوك المماليك الظاهرية جقمق يتألف من الشطبة العليا، وكأس يشغل الشطب الأوسط به قلم ودواة ويحيط به قرني [illegible] بالإضافة إلى كأس آخر أصغر حجما أسفل الرنك، ظهر في رنك باسم [illegible] الظاهري ينسب إلى سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م (٨٠).

ويوجد أيضا تصميم تاسع لهذا الرنك يتمثل في إضافة [illegible] على جانبي

الكأس الذى يحتل أسفل الرنك، مع حذف الطبر الذى يوجد داخل الكأس الأوسط، والابقاء على الدواه، كما يستشف من رنك باسم اينال الأشرفى، ورد ضمن منشور له نقش فى المسجد الجامع بحماه من سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م[٨١].

كما وجد تصميم عاشر يعكس لنا بعض رنوك المماليك الظاهرية جقمق، يتألف من بقجة فى المنطقة العليا تتوسط قرنى بارود، وكأس كبير على شطب الرنك الأوسط يتوسط بدوره، قرنى بارود، وكأس صغير أسفل الرنك يحيط به بقجتين، كما يتضح من رنك باسم أزبك اليوسفى الذى يتضمن تسع علامات وعشر عليه فى مسجده الذى شيده بالقاهرة فى شهر شعبان سنة ٩٠٠هـ/ مايو ١٤٩٥م[٨٢]، وعلى سيف له محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة[٨٣].

ويعد هذا الرنك من أكثر رنوك المماليك الظاهرية جقمق ثراء بالرموز التى اشتمل عليها رنكا مركبا حتى الآن[٨٤] (شكل رقم ٢٤).



شكل رقم (٢٤) رنوك الظاهرية جقمق المركبة

الرنك الخامس :

وهو يعكس لنا الرنك الخاص بإينال قبل سلطنته الذي عثر عليه ضمن كتابة أثرية على مئذنة مسجد كاتب الوالي بغزة مؤرخة في سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٣٢م، ثم صار بعد سلطنته بمثابة التصميم الأصلي الذي تفرعت منه رنوك المماليك الأشرفية إينال (٨٥) منذ سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م واستمرت حتى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م(٨٦)، شهد خلالها إضافة العديد من رموز الوظائف الأخرى الى الكأس الذي يحتل شطب الرنك الأوسط مثل عصوان البولو، أو البقجة، أو قرون البارود، فقد وصلنا رنك باسم الأمير جانى بك، نقش على صينية من النحاس المطلي بالقصدير يتألف من دواه في المنطقة العليا وكأس على شطب الرنك الأوسط يحيط به بقجتين، وزهرة لوتس أو فرنسية أسفل الرنك (٨٧)، كما أشار ماير إلى أمثلة أخرى حل فيها قرنا البارود محل البقجتين على جانبي الكأس الأوسط، كرنك تاني بك أمير دوادار المنقوش على سلطانية من النحاس (٨٨).

وفي مثال ثالث إستبدل قرنا البارود بعصوان البولو، وفي مثال رابع نجد البقجة تحتل منطقة الرنك العليا، ويحيط بالكأس الأوسط قرني البارود، على حين ظلت الفرنسية في مكانها أسفل الرنك. وأشار أيضا الى مثال خامس يتألف من دواة في أعلى الرنك، وكأس يحتل الشطب الأوسط ويحتوى على بقجة بداخله، وفرنسية أسفل الرنك. كما أشار الى مثال سادس صمم على نمط الرنك السابق بزيادة قرني البارود على جانبي الكأس الأوسط (٨٩) (شكل رقم ٢٥).

شكل رقم (٢٥) رنوك الأشرفية إينال المركبة

الرنك السادس:

سبق إن ظهر هذا التصميم من قبل فى أيام السلطان الظاهر جقمق، ثم إتخذه قايتباى شعارا له بعد إعتلائه للعرش فى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م، ومن وقتها صار شعارا للماليك الأشرفية قايتباى ومن جاء بعدهم من مماليك السلطان الأشرف جانبلاط (٩٠٥ - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٠١م) الذى سبق له أيضا ان أتخذ من هذا الرنك شعارا له منذ ان كان دوادارا أو نائبا لبلاد الشام، حيث ظهر على بعض التحف المصنوعة برسمه من بينها طست من النحاس، وطبق مطلى بالقصدير[٩٠]، كما إتخذه قانصوه الغورى شعارا له منذ أن كان حاجبا للحجاب فى حلب، حيث يظهر على سلطانية من النحاس صنعت برسمه[٩١] وصار شعارا لماليكه بعد سلطنته (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ - ١٥١٦م). ولا عجب فى هذا لأن كلا من جانبلاط والغورى سبق لهما أن خدما فى بلاط السلطان الأشرف قايتباى[٩٢]. وهذا الرنك يتألف من درع مستدير يشغل المنطقة العليا منه بقجة، ويحتل شطبه الأوسط كأس كبير يحتوى على دواه فى أعلاه ويكتنفه من كلا الجانبين قرنى بارود، على حين يشغل أسفله كأس صغير[٩٣].

ويمكن مشاهدة هذا الرنك (شكل رقم ٢٦) على العديد من التحف والعمائر المنسوبة الى هذه الفترة من بينها قطعة من النسيج محفوظة بمتحف المتروبوليتان فى نيويورك[٩٤]، وعلى صينية من النحاس المطلى بالقصدير،



شكل رقم (٢٦) رنك الأشرفية قايتباى المركب

محفوظة فى سفارة جمهورية مصر العربية فى واشنطن [٩٥]، وعلى سلطانية من نحاس صنعت برسم اقبردى بن عليباى المتوفى سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م [٩٦]، وجاء أيضا على طبق من النحاس المطلى بالقصدير صنع برسم خاير بك من إينال [٩٧]، وعلى آخر يحمل اسم حليمة بنت النانق كان ضمن إحدى المجموعات الخاصة فى باريس [٩٨]. ونصادفه أيضا على طبق ثالث من النحاس المطلى بالقصدير صنع برسم تانى بك الخزندار، الذى قتل على أيدى العثمانيين فى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م [٩٩]، على سلطانية من النحاس صنعت برسم تمرباى لجاوى، محفوظة فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة [١٠٠]. ووجد كذلك فى طبق من النحاس المطلى بالقصدير صنع برسم السيفى تغرى ورمش الدوادار [١٠١] وظهر أيضا فى مسجد قجماس الاسحاقى بالقاهرة الذى شيد فيما بين سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، و على فانوس من النحاس صنع برسمه، محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [١٠٢] كما ظهر أيضا على بعض قطع من النجار [١٠٣].

وظهرت الرنوك المركبة أيضا على عملة بعض سلاطين المماليك والبحرية حيث نصادفها للمرة الأولى على بعض عملات السلطان المنصور محمد (٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١ - ١٣٦٣م) من ذلك فلس من النحاس يزينه رنكا مركبا يتألف من علامتين: نسر محور يسير فى اتجاه اليسار ويعلوه حدوة الفرس أو الهلال شعار أمير آخور، وآخر نقش عليه أيضا رسما لنسر على نفس الهيئة ولكن يعلوه رمز الهدف [١٠٤].

ووصلنا أيضا بعض الرنوك المركبة على عملات المماليك الجراكسة مثل عملة السلطان الظاهر برقوق وابنه فرج من بينها فلس يحمل اسم السلطان برقوق يزينه نقشا لأسد يسير فى اتجاه اليسار، ويعلوه كأسا يرمز الى شعار الساقى [١٠٥]. ومنها أيضا فلس آخر من ضرب ابنه الناصر فرج يزينه رنكا مركبا يتألف من ثلاث



شكل رقم (٢٨)

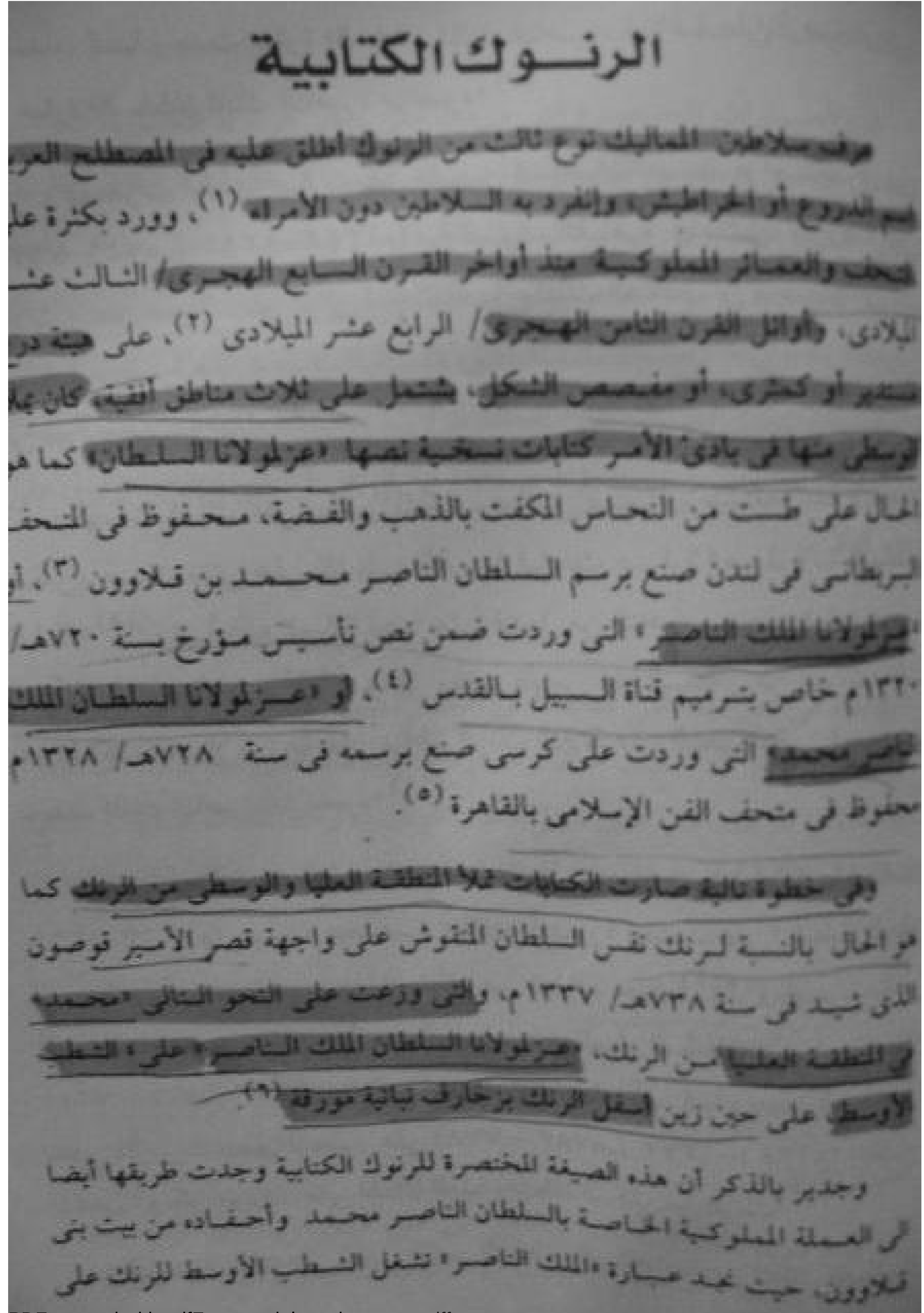
نماذج من الرنوك المنقوشة على العملة المملوكية نقلاً عن بالوج

علامات على شطب الرنك الأوسط يضم كأسا يكتنفه من الجانبين عصوان البولو، ويعلو العصا اليسرى منهما حدوة الفرس أو الهلال شعار أمير أخور[١٠٦].

وجدير بالذكر ان كلا الرنكين لا يمتان بصلة للرنك المركب الخاص بالسلطان الظاهر برقوق والمماليك الظاهرية الذى يتألف من كأسين يعلو أحدهما الآخر فوق منطقتى الرنك الوسطى والسفلى، الأمر الذى يصعب تفسيره فى الوقت الحالى.

خلاصة القول ان تلك المجموعة من الرنوك الستة المركبة لم تكن ذات طابع شخصى أو شعارا للدلالة على الوظيفة التى كان يشغلها الأمير فى البلاط السلطانى كما كان الحال فى عصر المماليك البحرية، وإنما صارت على عهد المماليك الجراكسة شعارا لجماعات من المماليك يتبعون أحد السلاطين أو أحد الأمراء كالمماليك الظاهرية برقوق الذين اتخذوا من الرنك الاول شعارا لهم، والمماليك المؤيدية شيخ الذين اتخذوا من الرنك الثانى رمزا لهم، والمماليك الأشرفية برسباى الذين اتخذوا من الرنك الثالث شعارا يشير اليهم ويميزهم والمماليك الظاهرية جقمق الذين اتخذوا من الرنك الرابع رمزا لهم، والمماليك الأشرفية إينال الذين اتخذوا من الرنك الخامس شعارا لهم، والمماليك الأشرفية قايتباى الذين اتخذوا من الرنك السادس شعارا لهم وقد شاركهم فى ذلك كل المماليك الأشرف جانبلاط والأشرف قانصوه الغورى.


الفصل الخامس
الرنوك الكتابية



الرنـــوك الكتابية

عرف سلاطين المماليك نوع ثالث من الرنوك أطلق عليه في المصطلح العربي اسم الدروج أو الخراطيش، وإنفرد به السلاطين دون الأمراء[1]، وورد بكثرة على التحف والعمائر المملوكية منذ أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[2]، على هيئة درع مستدير أو كمثرى، أو مفصص الشكل، يشتمل على ثلاث مناطق أفقية، كان يملأ الوسطى منها في بادئ الأمر كتابات نسخية نصها «عز لمولانا السلطان» كما هو الحال على طست من النحاس المكفت بالذهب والفضة، محفوظ في المتحف البريطاني في لندن صنع برسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون[3]، أو «عز لمولانا الملك الناصر» التي وردت ضمن نص تأسيس مؤرخ بسنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م خاص بترميم قناة السبيل بالقدس[4]، أو «عز لمولانا السلطان الملك الناصر محمد» التي وردت على كرسي صنع برسمه في سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[5].

وفي خطوة تالية صارت الكتابات تملأ المنطقة العليا والوسطى من الرنك كما هو الحال بالنسبة لرنك نفس السلطان المنقوش على واجهة قصر الأمير قوصون الذي شيد في سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، والتي وزعت على النحو التالي «محمد» في المنطقة العليا من الرنك، «عز لمولانا السلطان الملك الناصر» على الشطب الأوسط، على حين زين أسفل الرنك بزخارف نباتية مورقة[6].

وجدير بالذكر أن هذه الصيغة المختصرة للرنوك الكتابية وجدت طريقها أيضا إلى العملة المملوكية الخاصة بالسلطان الناصر محمد وأحفاده من بيت بني قلاوون، حيث نجد عبارة «الملك الناصر» تشغل الشطب الأوسط للرنك على

بعض الفلوس النحاسية، من ضرب دمشق وحلب، أو تشغل أعلى الرنك وأسفله، كما وجدت عبارة «السلطان الملك الناصر»، موزعة على أرضية الرنك، أو عبارة «السلطان الملك الناصر، عز نصره» (٧).

وظهرت أيضاً على بعض فلوس السلطان الصالح اسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) من ضرب القاهرة ودمشق، موزعة على ثلاث مناطق على النحو التالي: «اسماعيل، الملك الصالح، بن محمد»، ووردت بصيغة مختصرة على شطب الرنك الأوسط «الملك الصالح» على بعض الفلوس من ضرب حلب وحماه (٨).

وظهرت كذلك على بعض المشكاوات التي صنعت برسم مدرسة السلطان حسن، حيث نقش على الشطب الأوسط للرنك عبارة «عز لمولانا السلطان الملك»(٩)، ونقرأ هذه العبارة أيضا على قنديل من النحاس محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (١٠)، وعلى بعض فلوس هذا السلطان من ضرب حلب بصيغة أكثر تفصيلا موزعة على مناطق الرنك الثلاثة على النحو التالي: «حسن بن محمد، الملك الناصر، عز نصره» (١١).

ووصلنا أيضا رنك كتابي باسم السلطان المنصور محمد (٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م) بصيغة مختصرة «الملك المنصور» نقشت على شطب الرنك الأوسط على بعض فلوس هذا السلطان من ضرب حماه (١٢)، وظهرت نفس الصيغة المختصرة «الملك الأشرف» على بعض فلوس السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٧م) من ضرب حماه (١٣) كما وجدت أيضا على بعض فلوس السلطان المنصور علي (٧٧٨ - ٧٨٣هـ/ ١٣٧٧-١٣٨١م) «الملك المنصور» ولكن موزعة على المنطقة العليا والمنطقة السفلى من الرنك (١٤).

وظهرت كذلك على بعض فلوس السلطان الصالح حاجي «الملك الصالح»

التي ضربت أثناء فترة حكمه الأولى (٧٨٣-٧٨٤هـ/ ١٣٨١-١٣٨٢م) على شطب الرنك الأوسط (١٥).

هذه العبارات المختصرة التي وردت على بعض الرنوك الكتابية لكل من السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأحفاده، أفضت في النهاية الى ظهور الرنك الكتابي الكامل ابتداء من عصر المماليك الجراكسة، وبالتحديد على عمائر وتحف أول سلاطين هذه الأسرة الظاهر برقوق، حيث صارت عبارات الرنك موزعة على أقسام الرنك الثلاثة على النحو التالي: اسم السلطان في المنطقة العليا، وفي الوسطى التعظيم له وفي السفلى الدعاء له (١٦) مع بعض الاختلافات البسيطة التي أفضت الى وجود خمسة طرز مختلفة من الرنك الكتابي للظاهر برقوق على النحو التالي:

الطراز الأول:

وجد في مدرسته التي شيدها في القاهرة فيما بين سنتي ٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤-١٣٨٦م (١٧) حيث احتلت عبارة التعظيم للسلطان «عزلمولانا السلطان» المنطقة العليا للرنك، على حين شغل شطب الرنك الأوسط ألقاب السلطان «الملك الظاهر» أما أسفل الرنك فقد نقش عليه كنية السلطان والدعاء له «أبو سعيد نصره الله» (١٨)

١ - عزلمولانا السلطان

٢ - الملك الظاهر

٣ - ابو سعيد نصره الله

الطراز الثاني:

جاء فيه لقب السلطان «الظاهر» في أعلى الرنك، وعبارة التعظيم له «عزلمولانا السلطان الملك» على شطب الرنك الأوسط، والدعاء له «عز نصره» في

المنطقة السفلى من الرنك

- الظاهر

- عزلمولانا السلطان الملك

- عز نصره

حيث نصادفه على العديد من المشكاوات الزجاجية التى صنعت برسم الظاهر برقوق والمحفوظة حاليا ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (١٩).

الطراز الثالث :

إحتل فيه لقب «الملك» المنطقة العليا من الرنك، وعبارة التعظيم له «عزلمولانا السلطان» شطب الرنك الأوسط، ولقب السلطان «الظاهر» أسفل الرنك

الملك

عزلمولانا السلطان

الظاهر

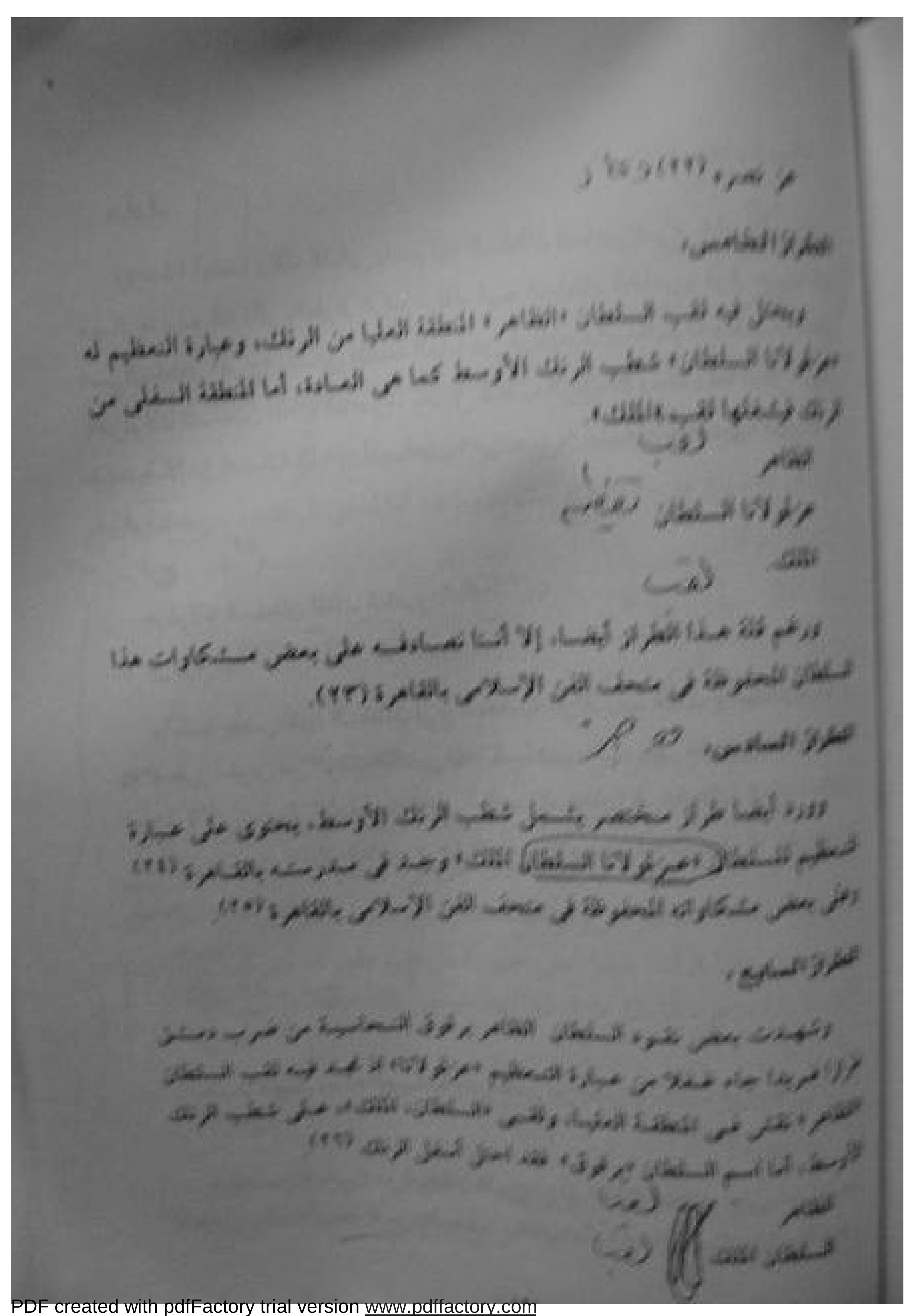
وقد ورد بهذه الهيئة على مشكاة محفوظة أيضا ضمن مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (٢٠)، وهذا الطراز قليل للغاية على العمائر والتحف المنسوبة الى هذا السلطان (٢١).

الطراز الرابع :

وفيه يحتل اسم السلطان «برقوق» المنطقة العليا من الرنك، على حين تشغل عبارة التعظيم له ولقب السلطان «عزلمولانا السلطان الظاهر» شطب الرنك الأوسط، أما عبارة الدعاء له «عز نصره» فتجئ كما هى العادة فى أسفل الرنك

برقوق

عزلمولانا السلطان الظاهر



عز نصره (٢٢) ...

الطراز الخامس:

ويحتل فيه لقب السلطان «الظاهر» المنطقة العليا من الرنك، وعبارة التعظيم له «عز لمولانا السلطان» شطب الرنك الأوسط كما هي العادة، أما المنطقة السفلى من الرنك فيشغلها لقب «الملك».

الظاهر

عز لمولانا السلطان

الملك

ورغم قلة هذا الطراز أيضا، إلا أننا نصادفه على بعض مشكاوات هذا السلطان المحفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٣).

الطراز السادس:

وورد أيضا طراز مختصر يشغل شطب الرنك الأوسط، يحتوي على عبارة تعظيم للسلطان «عز لمولانا السلطان الملك» وجد في مدرسته بالقاهرة (٢٤) وعلى بعض مشكاوات المحفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٢٥).

الطراز السابع:

وشوهدت بعض نقود السلطان الظاهر برقوق النحاسية من ضرب دمشق طرازا فريدا جاء خاليا من عبارة التعظيم «عز لمولانا» لا نجد فيه لقب السلطان الظاهر يشغل في المنطقة العلوية، وفي «السلطان الملك» على شطب الرنك الأوسط، أما اسم السلطان «برقوق» فقد احتل أسفل الرنك (٢٦).

الظاهر

السلطان الملك

برقوق

ووصلنا أيضا رنك كتابي باسم ابنه السلطان الناصر فرج نقش على بعض عمائره، يبدو أنه تأثر بالطراز الرابع لرنك أبيه السلطان الظاهر برقوق حيث نجد اسم السلطان «فرج» يشغل المنطقة العليا من الرنك، والتعظيم له ولقب السلطان «عزلمولانا السلطان الملك الناصر»، يحتل شطب الرنك الأوسط، أما أسفل الرنك فقد خلا من عبارة الدعاء للسلطان «عز نصره» وشغله بدلا منها اسم الأب «برقوق»

فرج

عزلمولانا السلطان الملك الناصر

بن برقوق (٢٧).

وأمدتنا بعض نقود السلطان فرج النحاسية من ضرب حلب وحماة وطرابلس بثلاثة طرز أخرى من الرنك الكتابي لهذا السلطان خلت بدورها من عبارة التعظيم «عزلمولانا» يشتمل الأول منها على لقب «السلطان» في المنطقة العليا، ولقب السلطان واسمه «الملك الناصر فرج» الشطب الأوسط، أما الدعاء له «عز نصره» فيشغل أسفل الرنك

السلطان

الملك الناصر فرج

عزنصره

حيث ظهر بهذه الهيئة على فلس من ضرب حلب في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م(٢٨).

ويتضمن الثاني اسم السلطان «فرج» على المنطقة العليا، على حين يشغل شطب الرنك الأوسط لقبي «السلطان والملك»، أما أسفل الرنك فقد خصص

للقب السلطان «الناصر».

فرج
السلطان الملك
الناصر

كما يتضح من أحد فلوس السلطان النحاسية من ضرب حماة (٢٩).

أما الطراز الثالث فيحتوى على اسم السلطان على المنطقة العليا، ولقبيه «الملك الناصر» على شطب الرنك الأوسط، أما أسفل الرنك فقد خصص لاسم أبيه «ابن برقوق».

فرج
الملك الناصر
بن برقوق

كما يظهر على فلس من النحاس من ضرب طرابلس (٣٠).

وعثر أيضا على رنك كتابى باسم الخليفة العباسى المستعين بالله، الذى تقلد السلطنة فى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، نقش على لوح رخامى يتضمن مرسوما بالغاء مظالم السلطان الناصر فرج فى المسجد الجامع بغزة، إحتل فيه لقب النسبة «العباسى» منطقة الرنك العليا، على حين شغل لقب «أمير المؤمنين» منطقة الرنك الوسطى، أما الجزء الأسفل من الرنك فقط خصص للدعاء له «عز نصره».

العباسى
أمير المؤمنين
عز نصره (٣١).

كما أمدتنا العملة بطرازين آخرين للرنك الكتابى الخاص بالخليفة المستعين، نقش الأول على بعض دنانيره الذهبية من ضرب القاهرة حيث نجد لقب النسبة

«العباس» يحتل أعلى الرنك، وباقى القابه واسمه وكنيته «الامام الأعظم المستعين بالله أبو الفضل» على شطب الرنك الأوسط، أما أسفل الرنك فقد خصص للدعاء له، بعد أن استبدلت عبارة «عز نصره» بعبارة «خلد الله ملكه».

العباس
الأمام الأعظم المستعين بالله الأفضل
عز نصره [32]

أما الثانى فقد نقش على بعض الدنانير من ضرب دمشق، وفيها يحتل أيضا لقب النسبة «العباس» أعلى الرنك، وباقى ألقاب الخليفة واسمه «أمير المؤمنين المستعين بالله»، الشطب الأوسط للرنك، أما أسفل الرنك فتشغله كنية الخليفة «أبو الفضل» بدلا من الدعاء له الذى لا أثر له فى هذا التصميم

العباس
أمير المؤمنين المستعين بالله
أبو الفضل [33]

وتكشف لنا الطرز المختلفة لرنك الخليفة المستعين العباسى بدورها عن حذف عبارة التعظيم «عز لمولانا» [34]، التى عادت الى الظهور من جديد على رنك السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) الذى نجده منقوشا على أحد أبواب المسجد الأموى بدمشق حيث تحتل كنية السلطان واسمه «أبو النصر شيخ» أعلى الرنك، وعبارة التعظيم له وألقابه، عز لمولانا السلطان الملك المؤيد» شطب الرنك الأوسط، والدعاء له «عز نصره» أسفل الرنك.

أبو النصر شيخ
عز لمولانا السلطان الملك المؤيد
عز نصره [35]

ووصلنا طراز آخر من الرنك الكتابي للسلطان المؤيد شيخ حذفت فيه عبارة الدعاء للسلطان من أسفل الرنك، وحل محلها لقب «السلطان» على النحو التالي:

النصر شيخ

عزلمولانا السلطان الملك

المؤيد أبو (٣٦)

كما أمدتنا العملة المملوكية بطرازين آخرين للرنك الكتابي لهذا السلطان، اختفت فيهما عبارة التعظيم «عزلمولانا»، نجد الأول منها على دينار من الذهب من ضرب القاهرة في سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، ويشتمل في إعلاه على كنية السلطان واسمه «بوالنصر شيخ»، وعلى الشطب الأوسط، ألقاب السلطان «الملك المؤيد»، وعلى أسفل الرنك الدعاء له بصيغة مختلفة «خلد ملكه» التي حلت محل عبارة «عز نصره».

بو النصر (كذا) شيخ

السلطان الملك المؤيد

خلد ملكه (٣٧).

ونقش الثاني على دينار من ضرب سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م حيث نجد كنية السلطان وأسمه «بو النصر شيخ» كما هي العادة في أعلى الرنك، والقابه على المنطقة الوسطى «السلطان الملك المؤيد» والدعاء له أسفل الرنك «عز نصره» التي عادت الى الظهور من جديد.

بو«كذا» النصر شيخ

السلطان الملك المؤيد

عز نصره (٣٨)

ووصلنا أيضا رنك كتابى باسم السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) يتفق فى طرازه ومضمونه على ما استقرت عليه الرنوك الكتابية فى عهد السلطان المؤيد شيخ بحيث نجد كنية السلطان ولقبه «أبو النصر برسباى» على القسم العلوى من الرنك، وعبارة التعظيم وألقاب السلطان «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف» على الشطب الأوسط، والدعاء له «عزنصره» على أسفل الرنك.

أبو النصر برسباى

عزلمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٣٩)

وأمدتنا الفلوس النحاسية بطراز مختلف للرنك الكتابى الخاص بالسلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣م) يتألف من ثلاثة أسطر موزعة على مناطق الرنك الثلاث، نجد فى العليا منها النصف الأول من العبارة الدعائية «عز»، وألقاب السلطان «الملك الظاهر» على المنطقة الوسطى، والنصف الثانى من العبارة الدعائية «نصره» على أسفل الرنك.

عز

الملك الظاهر

نصره (٤٠)

وعثر أيضا على رنك كتابى باسم السلطان الأشرف إينال (٨٥٧ - ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦١م) فى مجموعته المعمارية التى شيدها فى القاهرة وافتتحها فى سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م يتألف بدوره من ثلاثة أسطر نجد فى الأول منها كنية السلطان واسمه «أبو النصر إينال»، وفى الثانى عبارة التعظيم وألقاب السلطان «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف»، وفى الثالث الدعاء له «عز نصره».

أبو النصر إينال

عزلمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٤١)

ووجد نفس الرنك أيضا على بعض دنانير السلطان إينال باستثناء بسيط تمثل فى حزف عبارة التعظيم له «عزلمولانا» من فوق الشطب الأوسط للرنك.

أبو النصر اينال

السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٤٢)

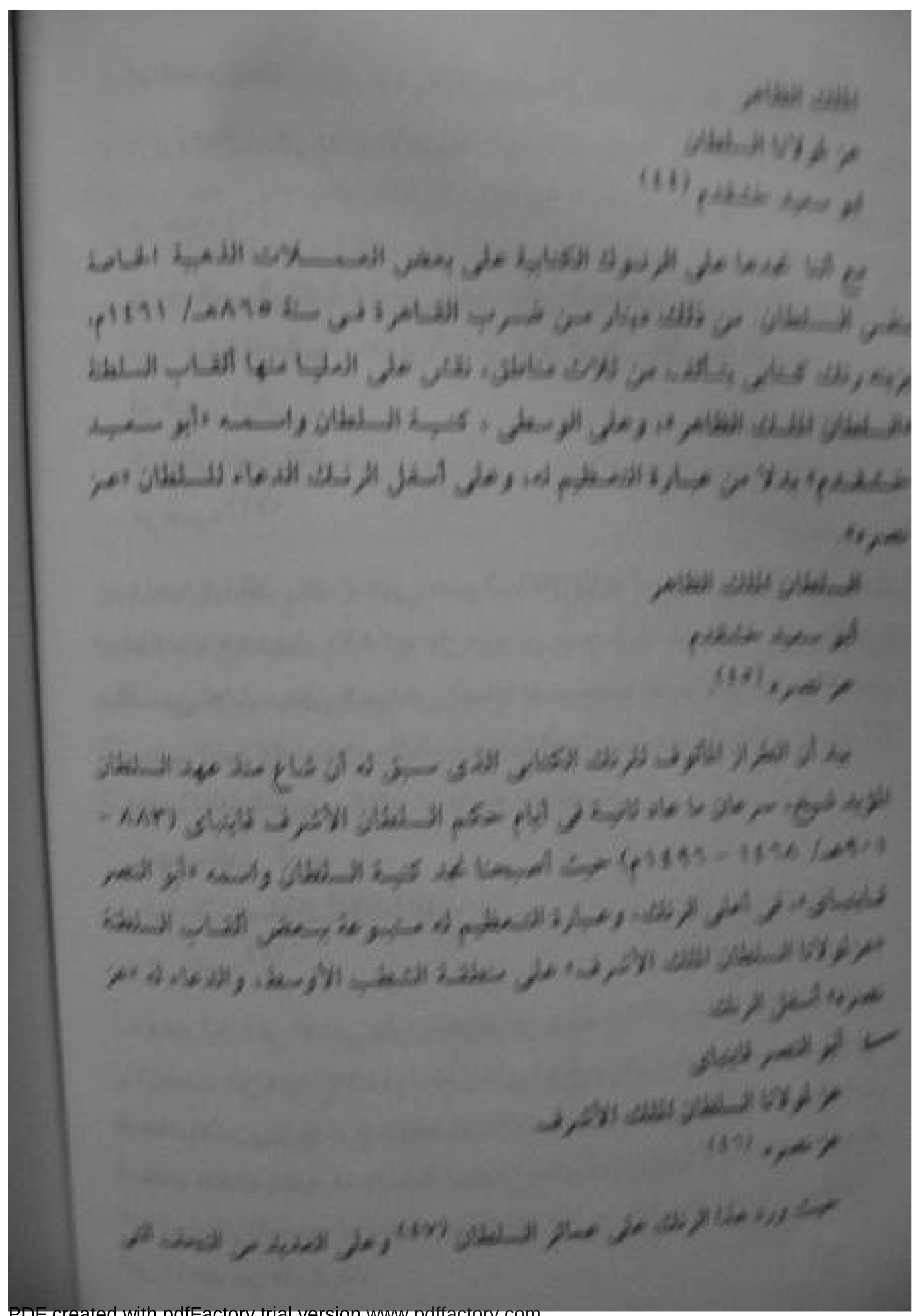
ولدينا كذلك رنك كتابى باسم السلطان المؤيد أحمد بن إينال الذى تولى السلطة سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م، عثر عليه فى مسجد خشقدم الأحمدى بالقاهرة، يتألف من ثلاث مناطق كما هى العادة تضم العليا منها كنية واسم السلطان «(شهاب الدين) أحمد»، والثانية عبارة التعظيم وألقاب السلطان «عزلمولانا السلطان [الملك] المؤيد»، والثالثة الدعاء له «عز نصره».

شهاب الدين أحمد

عزلمولانا السلطان [الملك] المؤيد

عز نصره (٤٣)

وعثر أيضا فى القدس على رنك كتابى باسم السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ - ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ - ١٤٦٧م) نقش على لوح من الرخام كان محفوظا فى المتحف الاثرى يزينه درع يتألف من ثلاث مناطق يشغل الأولى منها ألقاب السلطان «الملك الظاهر»، والثانية عبارة التعظيم له «عزلمولانا السلطان» والثالثة كنية السلطان واسمه «أبو سعيد خشقدم»، بدلا من عبارة الدعاء له «عز نصره» التى حذفت من هذا الرنك.



الملك الظاهر
عز لمولانا السلطان
أبو سعيد خشقدم (٤٤)

ثم إننا نجدها على الرنوك الكتابية على بعض العملات الذهبية الخاصة بهذا السلطان من ذلك دينار من ضرب القاهرة في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م، يوجد رنك كتابي يتألف من ثلاث مناطق، نقش على العليا منها ألقاب السلطنة "السلطان الملك الظاهر"، وعلى الوسطى، كنية السلطان واسمه "أبو سعيد خشقدم" بدلاً من عبارة "التعظيم له"، وعلى أسفل الرنك الدعاء للسلطان "عز نصره".

السلطان الملك الظاهر
أبو سعيد خشقدم
عز نصره (٤٥)

بيد أن الطراز المألوف للرنك الكتابي الذي سبق له أن شاع منذ عهد السلطان المؤيد شيخ، سرعان ما عاد ثانية في أيام حكم السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ - ١٤٩٦م) حيث أصبحنا نجد كنية السلطان واسمه "أبو النصر قايتباي" في أعلى الرنك، وعبارة التعظيم له مسبوقة ببعض ألقاب السلطنة "عز لمولانا السلطان الملك الأشرف" على منطقة الشطب الأوسط، والدعاء له "عز نصره" أسفل الرنك.

سبحا أبو النصر قايتباي
عز لمولانا السلطان الملك الأشرف
عز نصره (٤٦)

حيث ورد هذا الرنك على عمائر السلطان (٤٧) وعلى العديد من التحف التي

صنعت برسمه من معدن (٤٨) وخزف (٤٩)، وزجاج (٥٠). ووصلنا طراز ثان لرنك قايتباى اختصت به بعض التحف المعدنية دون غيرها، اقتصرت فيه المنطقة العليا من الرنك على اسم السلطان فقط دون كنية «قايتباى»، وخلت المنطقة الوسطى فيه من عبارة التعظيم والسلطان واقتصرت على بعض القابه فقط «الملك الأشرف» على حين احتفظ أسفل الرنك بالدعاء له «عز نصره»

قايتباى
الملك الأشرف
عز نصره (٥١)

واشتملت نقود قايتباى على طراز ثالث لرنكه الكتابي ورد على بعض الدنانير، نقرأ في المنطقة العليا بعض ألقاب السلطنة «السلطان الملك الأشرف»، وعلى شطب الرنك الأوسط كنية السلطان وإسمه «ابو النصر قايتباى» بدلا من عبارة التعظيم له، على حين احتفظ أسفل الرنك بالدعاء المعتاد «عز نصره».

السلطان الملك الأشرف
ابو النصر قايتباى
عز نصره (٥٢)

وعثر أيضا على رنك كتابي باسم إبنه السلطان الناصر أبو السعادات محمد (٩٠١ - ٩٠٤هـ/ ١٤٩٦ - ١٤٩٨م) عرف منه طرازين: الأول يشتمل في المنطقة العليا على اسم السلطان دون كنيته «محمد»، وفي المنطقة الوسطى على التعظيم له وبعض ألقاب السلطنة «عزلمولانا السلطان الملك الناصر»، أما أسفل الرنك فقد احتفظ بالدعاء التقليدى للسلطان «عز نصره».

محمد
عزلمولانا السلطان الملك الناصر
عز نصره (٥٣)

والثاني نجد فيه اسم السلطان وابيه «محمد بن قايتباى» منقوشا على منطقة الرنك العليا، على حين احتل شطب الرنك الأوسط بعض ألقاب السلطنة وكنية السلطان «السلطان الملك الناصر ابو السعادات» بدلا من عبارة التعظيم. أما أسفل الرنك فقد احتفظ بالدعاء للسلطان كما جرت العادة «عز نصره».

محمد بن قايتباى
السلطان الملك الناصر ابو السعادات
عز نصره (٥٤)

وأمدتنا الدنانير المملوكية الخاصة بهذا السلطان بطراز ثالث اشتملت في منطقة الرنك العليا على بعض ألقاب السلطنة «السلطان الملك الناصر»، بدلا من كنية السلطان واسمه، اللذان إحتلا شطب الرنك الأوسط «أبو السعادات محمد»، على حين تضمن أسفل الرنك على اسم أبيه والدعاء له «بن قايتباى عز نصره»

السلطان الملك الناصر
ابو السعادات محمد
بن قايتباى عز نصره (٥٥)

ووصلنا أيضا رنك كتابى باسم السلطان الظاهر ابو سعيد قانصوه (٩٠٤ - ٩٠٥ هـ/ ١٤٩٨--١٥٠٠م) يتفق مع الطراز الذى استقرت عليه الرنوك الكتابية منذ عهد المؤيد شيخ حيث نجد فى المنطقة العليا كنية السلطان واسمه «ابو سعيد قانصوه»، وعلى شطب الرنك الأوسط، التعظيم للسلطان وبعض القابه «عزلمولانا السلطان الملك الظاهر»، اما أسفل الرنك فقد خصص للدعاء له «عز نصره».

ابو سعيد قانصوه
عزلمولانا السلطان الملك الظاهر
عز نصره (٥٦)

وأمدتنا العملة المملوكية بدورها بطراز آخر للرنك الكتابى الخاص بنفس

السلطان، يختلف عن بقية الرنوك الكتابية المعروفة، حيث نجده يشتمل على أربعة أسطر أفقية بدلا من ثلاثة، احتل السطر الأول لقب السلطنة «السلطان»، السطر الثاني بعض ألقاب السلطان «الملك الظاهر»، السطر الثالث كنية السلطان واسمه «أبو سعيد قانصوه»، أما السطر الرابع والأخير فقد خصص للدعاء له «عز نصره».

السلطان

الملك الظاهر

ابو سعيد قانصوه

عز نصره (٥٧).

ويشبه هذا الرنك، رنك آخر أمدتنا به العملة المملوكية باسم السلطان الأشرف جان بلاط (٩٠٥ - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٠١م)، يتضمن بدوره أربعة أسطر أفقية، اشتمل الأول منها على لقب السلطنة «السلطان»، والثاني على بعض ألقاب السلطنة «الملك الأشرف»، والثالث على كنية واسم السلطان «أبو النصر جان بلاط»، والرابع على الدعاء له «عز نصره».

السلطان

الملك الأشرف

ابو النصر جان بلاط

عز نصره (٥٨)

واشتملت العملة المملوكية كذلك على رنك باسم السلطان العادل أبو النصر طومان باى (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) يتألف من ثلاثة أسطر أفقية، نقش فى السطر الأول لقب السلطنة «السلطان»، والثاني بعض ألقاب السلطان «الملك العادل»، أما السطر الثالث، والأخير فقد اشتمل على كنية السلطان واسمه والدعاء له «أبو النصر طومان باى عز نصره».

السلطان

الملك العادل

ابو النصر طومان باى عز نصره (٥٩)

وعثر كذلك على عدة طرز من الرنك الكتابى للسلطان الأشرف قانصوه
ورى (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م) الأول منها يشتمل فى منطقته العليا،
ى كنية واسم السلطان «أبو النصر قانصوه»، وفى شطب الرنك الأوسط على
رة التعظيم له وبعض القاب السلطان «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف» وعلى
ل الرنك نجد الدعاء التقليدى له «عز نصره»

ابو النصر قانصوه

عزلمولانا السلطان الملك الأشروف

عز نصره (٦٠)

ونقش على الطراز الثانى اسم السلطان «قانصوه الغورى» على المنطقة العليا
رنك، والتعظيم له وبعض ألقابه «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف» على
شطب الأوسط، أما أسفل الرنك فقد تضمن الدعاء للسلطان «عز نصره».

قانصوه الغورى

عزلمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٦١)

ونجد على الطراز الثالث كنية السلطان واسمه «أبو النصر قانصوه الغورى»
أعلى الرنك، والتعظيم له وبعض ألقابه «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف» على
الشطب الأوسط، والدعاء له «عز نصره أسفل الرنك».

أبو النصر قانصوه الغورى

عز لمولانا السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٦٢)

وتضمن الطراز الرابع اسم السلطان «قانصوه» فى المنطقة العليا، وألقاب

السلطان وكنيته واسمه «المالك الملك الأشرف أبو النصر الغورى» على شطب الرنك الأوسط، أما الدعاء له «عز نصره» فقد إحتل أسفل الرنك.

قانصوه

المالك الملك الأشرف أبو النصر الغورى

عز نصره (٦٣)

واحتوى الطراز الخامس على اسم السلطان «قانصوه فى أعلى الرنك، والتعظيم له وألقابه، وكنيته واسمه «عزلمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى»، شطب الرنك الأوسط، والدعاء له «عز نصره» المنطقة السفلى من الرنك.

قانصوه

عز لمولانا السلطان المالك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى

عز نصره (٦٤)

وعثر على طراز سادس على لوح من الخشب محفوظ حاليا فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة يشتمل فى أعلى الرنك على اسم السلطان «قانصوه الغورى» وعلى الشطب الأوسط ألقاب السلطان «السلطان الملك الأشرف» وعلى أسفل الرنك الدعاء له «عز نصره».

قانصوه الغورى

السلطان الملك الأشرف

عز نصره (٦٥)

وأمدتنا العملة المملوكية بدورها بعدة طرز أخرى للرنك الكتابى الخاص بالسلطان قانصوه الغورى، يتألف بعضها من أربعة أسطر أفقية من ذلك دينار من ضرب سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، يشتمل السطر الأول على لقب السلطنة «السلطان»، والثانى على بعض ألقاب السلطان «الملك الأشرف»، والسطر الثالث



شكل رقم (٢٩) الرنوك الكتابية على العملة المملوكية

على اسم السلطان «قانصوه الغوري»، والسطر الرابع على الدعاء له «عز نصره».

السلطان

الملك الأشرف

قانصوه الغوري

عز نصره (٦٦)

واشتملت الفلوس النحاسية من ضرب القاهرة في سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م على طراز ثان نقش عليه ثلاثة أسطر أفقية، يحتوي الأول منها على لقب السلطنة «السلطان»، والثاني على اسم السلطان «قانصوه» والثالث على الدعاء له «عز نصره»

السلطان

قانصوه

عز نصره (٦٧)

وعثر أيضاً على طراز ثالث منقوش على فلس من النحاس يشتمل على سطرين فقط، يضم الأول اسم السلطان «قانصوه»، والثاني الدعاء له «عز نصره»

قانصوه

عز نصره (٦٨)

بقي أن نشير إلى أن هذا النوع من الرنوك الكتابية المعروفة بالفروع أو الخراطيش كانت مختصة بالسلاطين وحدهم دون الأمراء، حقيقة أنه عثر على رنك وحيد من هذا النوع يحمل اسم الأمير دولتباي نائب غزة حيث نجد الشطفة الأولى تحمل اسم الأمير «دولتباي»، والثانية بعض ألقابه «المقر الأشرف العالي السيفي»، والثالثة الدعاء له «عز نصره»، أسوة بالرنوك السلطانية

دولتباي

المقر الأشرف العالى السيفى
عز نصره»(٦٩)

بيد أن اتخاذ هذا الأمير لمثل هذا النوع من الرنوك تشبها بالسلاطين مرجعه من غير شك الى ضعف السلطان فى عهده (٧٠) وذلك لحرص سلاطين المماليك على حمل هذا النوع من الرنوك الكتابية وضربها على متعلقاتهم الشخصية، بل ونبذ كل ما كان لهم من رنوك قبل اعتلائهم عرش السلطنة وحسبنا دليلا على ذلك حالة السلطان المؤيد شيخ الذى عثر على رنك مركب باسمه يتألف من كأس كبير يشغل شطب الرنك الأوسط، ويتضمن كأسين صغيرين بداخله، بالاضافة الى كأس رابع يشغل اسفل الرنك، وجد منقوشا على الكسوة النحاسية التى كانت تصفح الباب الشرقى بالمسجد الأموى، بالاضافة الى الرنك الكتابى الخاص بالسلطان المنصور عبدالعزيز بن برقوق (٨٠٨-٨٠٩هـ/ ١٤٠٥-١٤٠٦م)، الذى كان المؤيد نائبا له على بلاد الشام، كما يفهم من النص التاريخى المصاحب للرنكين على نفس الباب (٧١). إلا أنه بمجرد اعتلاء المؤيد شيخ للسلطنة سارع بنبذ رنكه القديم الذى يشير الى فرقة المماليك التى كان ينتمى إليها. كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الرنوك المركبة، وسارع باتخاذ رنك كتابى له وجد بدوره منقوشا على أحد أبواب المسجد الأموى بدمشق (٧٢).

وتنطبق نفس الحالة أيضا على السلطان الأشرف إينال، الذى شيد وقت إمرته مجموعة معمارية بالقاهرة فى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥٣م عثر بداخل قبتها على رنكه الوظيفى المركب الذى يتألف من دواه تشغل المنطقة العليا، وكأس على الشطب الأوسط، وفرنسيه على أسفل الرنك (٧٣)، عثر على نظير له على مأذنه مسجد كاتب الولاية بغزة التى أمر بعمارتها أيضا فى سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م (٧٤)، والذى سارع بدوره بعد اعتلائه عرش السلطنة المملوكية الى ترك رنكه القديم، واتخذ لنفسه رنكا كتابيا أسوة بباقى سلاطين هذه الدولة كما سبق أن أشرنا من

قبل.

ولدينا نص تاريخى يؤكد هذه الحقيقة من خلال ما ذكره المؤرخ ابن طولون الذى روى بصدد تنصيب العادل طومان باى لنفسه سلطانا بدمشق سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، أنه «نقل لقبه من المؤيد الى العادل، ونقش له بذلك على أركان داخل القلعة، وفى دار الضرب، وغير ذلك» (٧٥). الأمر الذى يؤكد على حرص سلاطين المماليك على اتخاذ رنوك كتابية لأنفسهم.


الخاتمة

الخاتمـــة

وهكذا تكشف لنا هذه الدراسة عن مدى أهمية الدور الذى لعبته الرنوك فى العصر المملوكى بأنواعها الثلاثة: البسيطة والمركبة والكتابية التى استطعنا من خلالها التعرف على الرنوك الشخصية والرنوك الوظائفية البسيطة منها والمركبة والتى يبدو أنها استمرت الى أوائل الفتح العثمانى لكل من مصر وبلاد الشام، بدليل ما ذكره المؤرخ ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م من إن رنك السلطان سليم بن عثمان صار مضروبا على غالب البيوت [(١)] وبدليل العثور أيضا على رنك كتابى باسم السلطان سليمان الأول فى قلعة القدس يشبه إلى حد كبير الرنوك الكتابية لسلاطين المماليك [(٢)]. ولعلها استمرت أيضا الى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى كما يستشف من رواية الجبرتى الذى ذكر فى أحداث سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م ما نصه: «فوقع الإتفاق على يوسف أغا السلمانى، وعبد أغا كاشف الشرقية هذا وكان ضرب هذا سويد قبل تاريخه، واشتهر بالشجاعة فخلع عليهما فى يوم واحد وعملوا لهما رنوك وسماط»[(٣)]. بيد أنه لم تصلنا تحف أو آثار عربية من العصور التالية لعصر سلاطين المماليك يزينها رنوك، ربما بسبب تدهور الصناعات فى مصر مع بداية الغزو العثمانى نتيجة لنقل السلطان سليم الأول لأغلب الصناع الى القسطنطينية.

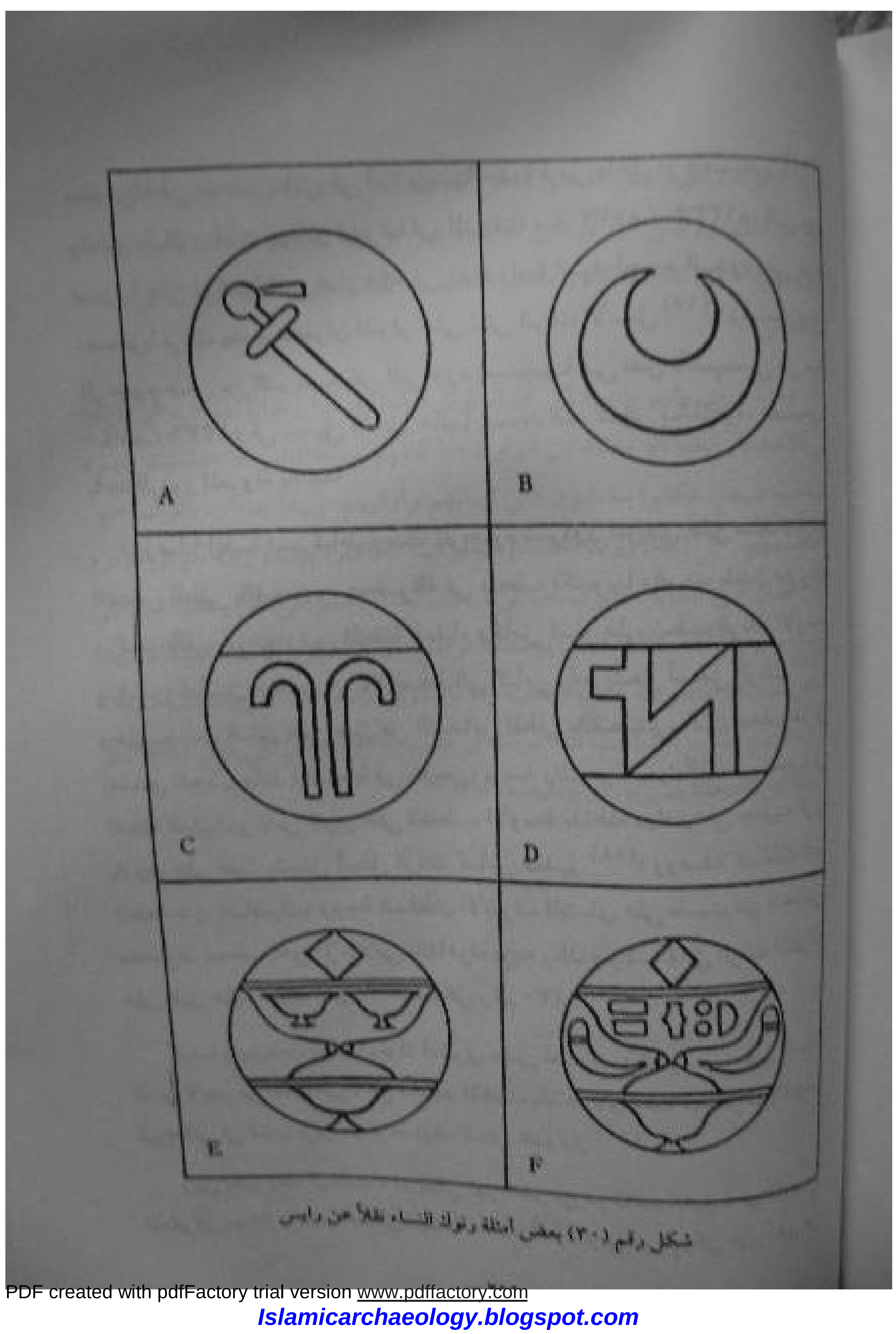
وشهد هذا العصر أيضا ظاهرة تقلد بعض الأبناء لرنوك آبائهم وأجدادهم مما دفع بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن الرنوك فى الشرق كانت وراثية مثلها فى الغرب إستنادا إلى تقلد السلطان السعيد بركة خان للأسد، الشعار الشخصى لأبيه بيبرس، وتوارث أبوك لرنك جده المنصور قلاوون [(٤)] وتوارث أحفاد هذا السلطان لشعار ابنه الناصر محمد [(٥)]. على حين زعم البعض الآخر بأنها لم تكن وراثية فى الأسرة الواحدة [(٦)].

والواقع أنه من الصعب الجزم بأن الرنوك كانت متوارثة إلا فى حالات قليلة، وذلك لقلة المعلومات التى وصلتنا عن أبناء المماليك خاصة وأنهم لم يسمحوا لهم بالانخراط فى سلكهم ولم يقبلوا ضمهم الى زمرتهم للاختلاف بين النشأتين [٧]. فالأمراء أصلهم رقيق، وأبناؤهم ليسوا كذلك، كما أن المماليك لم يسيروا على قاعدة وراثة العرش إلا فى القليل النادر، مثلما فى حالة تولية السعيد بركة خان بعد والده الظاهر بيبرس، وفى أسرة قلاوون، فكلاهما يعدمن الحالات الشاذة ولم تكن القاعدة المتبعة طوال عصر سلاطين المماليك [٨].

وعلى ذلك يمكن القول ان الرنوك لم تكن متوارثة اللهم إلا فى بعض الأبناء الذين كانوا ينشأون نشأة حربية ويقتفون آثار آبائهم، وحسبنا دليلا على ذلك حالة كل من أحمد بن بكتمر [٩]، ومحمد بن كتبغا [١٠] وحسين بن قوصون [١١] الذين ورثوا رنك الكأس عن آبائهم، رغم أنهم لم يعملوا كسقاة فى البلاط المملوكى [١٢].

أما باقى الأبناء وهم الغالبية العظمى فكانوا يوجهون وجهة حربية ويعدون للوظائف الدينية والدنيوية، وبذلك يحرمون من حمل رنوك آبائهم وتوارثها.

وتطرح هذه الدراسة سؤالا هاما هو هل كان من حق النساء حمل الرنوك وتقلدها شأنهن فى هذا شأن رجال الطبقة العسكرية من المماليك، وإذا كان السؤال بالنفى، فبماذا نفسر إذن ظهور بعض الرنوك على تحف صنعت برسم بعض النسوة إبان هذا العصر، أمكن حصر سبعة أسماء منها، مثل تخينى (!) بنت عبدالله، عتيقة أستدمر السلحدار، المتوفى سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، التى ورد اسمها على تركيبة قبر، محفوظة بالمتحف الوطنى فى دمشق يزينها رنك مستدير الشكل يتضمن فى وسطه سيفا مائلا [١٣]، وفاطمة ابنت سنقر الأعسر، شاد الدواوين، المتوفى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م التى ورد إسمها على سلطانية صغيرة من النحاس،



شكل رقم (٤٣٠) بعض أمثلة رنوك النساء، نقلاً عن رايس

محفوظة فى متحف بناكى فى أثينا يزينها حدوة فرس داخل درع مستدير (١٤)، وقطلو خاتون ابنت بهادر الجوكندار، المتوفاة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م، التى ورد اسمها على تركية قبر عثر عليه فى فناء زاوية السيد أحمد البدوى فى غزة، مصحوبا برنك يضم عصوان للبولو على ثلثى الرنك الأسفل (١٥)، وسلما زوجة المرحوم على بن التركمانى التى ورد إسمها فى نص تأسيسى من سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م فى سبيل ملحق حاليا بمسجد التركمانى بالقاهرة، مصحوبا بأحد الرموز المعروفة بالتمغا (١٦).

ووصلنا أيضا اسم فاطمة بنت المرحوم سودون المؤيدى على سلطانية من النحاس المطلى بالقصدير، محفوظة فى متحف فكتوريا والبرت بلندن مع رنك مركب يتألف من دواه فى المنطقة العليا، وكأس كبير على شطب الرنك الأوسط يتضمن كأسين صغيرين، بالإضافة الى كأس رابع يشغل أسفل الرنك (١٧)، وحليمة بنت الناتق على طبق من النحاس المطلى بالقصدير، كان محفوظا فى إحدى المجموعات الخاصة فى باريس، يزينه رنك مركب يتألف من بقجة فى المنطقة العليا، وكأس كبير على الشطب الأوسط بداخله دواه وعلى جانبيه قرنى بارود، على حين يشغل أسفل الرنك كأس صغير (١٨)؛ ووصلنا كذلك اسم فاطمة بنت خاصبك، زوجة السلطان الأشرف قايتباى على طست من النحاس، محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة، يزينه رنك مركب يماثل الرنك المنقوش على طبق حليمة بنت ناتق (١٩). (شكل رقم ٣٠).

كما وجدت أيضا رنوك أخرى على تحف صنعت برسم بعض النساء المجهولات. من ذلك مرآة من الحديد المكفت بالذهب والفضة محفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن يزين مركزها دواه، شعار الدوادار (٢٠).

ومن المعروف أن النساء لم يكن لهن الحق فى الوظائف الدينية فى المجتمع المملوكى بصفة عامة والعسكرية بصفة خاصة (٢١)، ومن ثم لم يكن لهن الحق فى

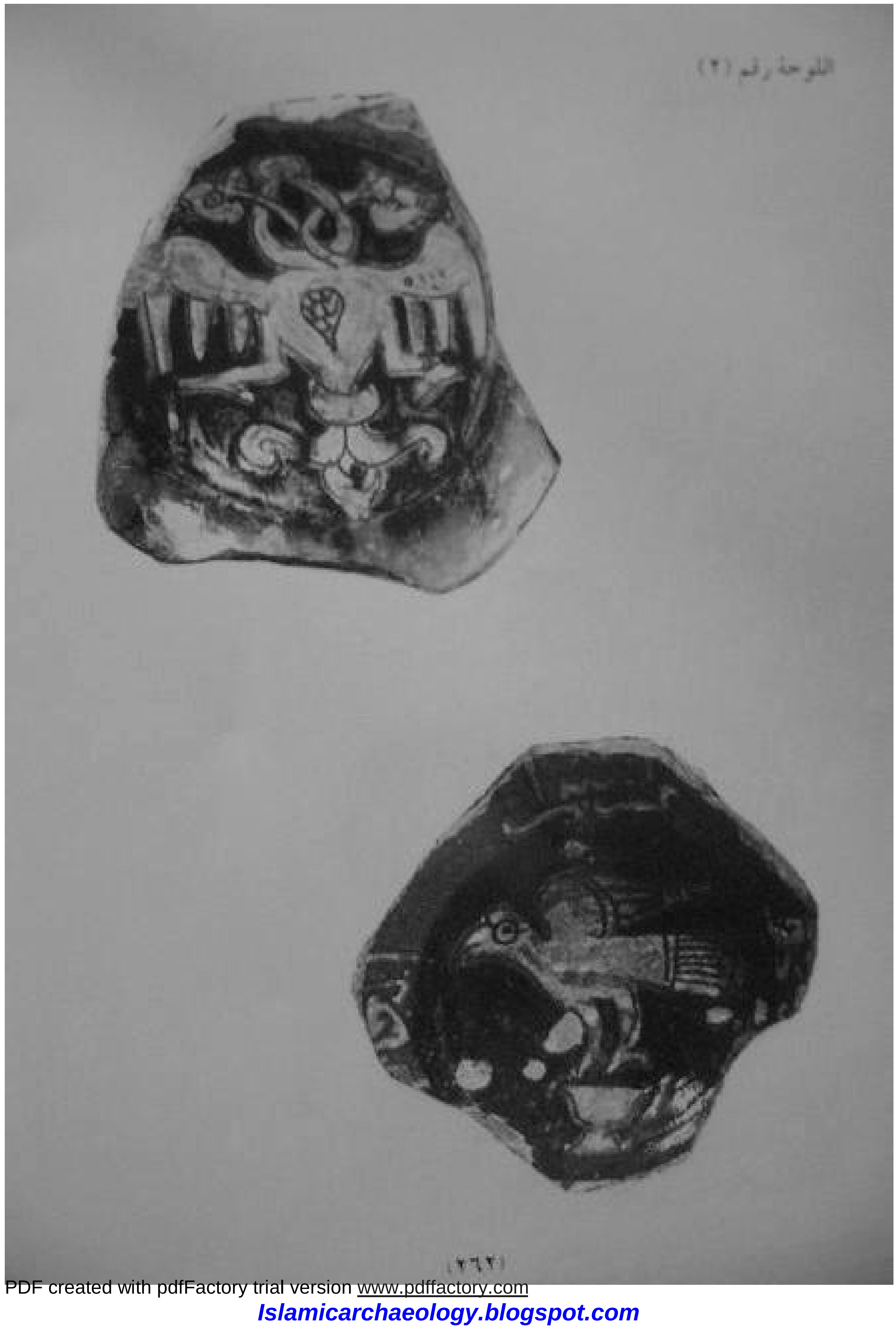
تلك الرنوك رغم وجودها على بعض التحف التى عملت برسمهن والتى يؤكد كل من ماير ورايس أنها لم تكن خاصة بهن بل ربما كانت مختصة بآبائهن أو أزواجهن الذين كانوا يشغلون بعض المناصب الدالة عليها تلك الرنوك فى البلاط السلطانى (٢٢).

وهذا الرأى يشير بدوره إلى أن الرنوك كانت وراثية أحيانا ويجب أن يؤخذ فى الإعتبار أيضا أنه وجد من الرنوك ما كان يعجب الناس اذا حسنت سيرة صاحبه فيهم، فكانوا ينقشون على ثيابهم وأوانيهم، وربما جعلوه بالوشم على معاصمهم (٢٣)، فقد روت المصادر المملوكية المعاصرة بصدد رنك أقوش الأفرم أنه «كان فى غاية الظرف حتى ان النساء الخواطئ كن ينقشنه على معاصمهم»(٢٤). الأمر الذى يجعلنا نرجح بأن هذه الرنوك المصاحبة لأسماء بعض النساء المنقوشة على التحف والآثار الإسلامية قد تكون أيضا نتيجة لإعجابهن بسيرة صاحب هذا الرنك أو بسيرته، فعمدن الى نقش رنكه على متعلقاتهن إعجابا بسيرته، أو تخليدا لذكراه (٢٥).


اللوحات

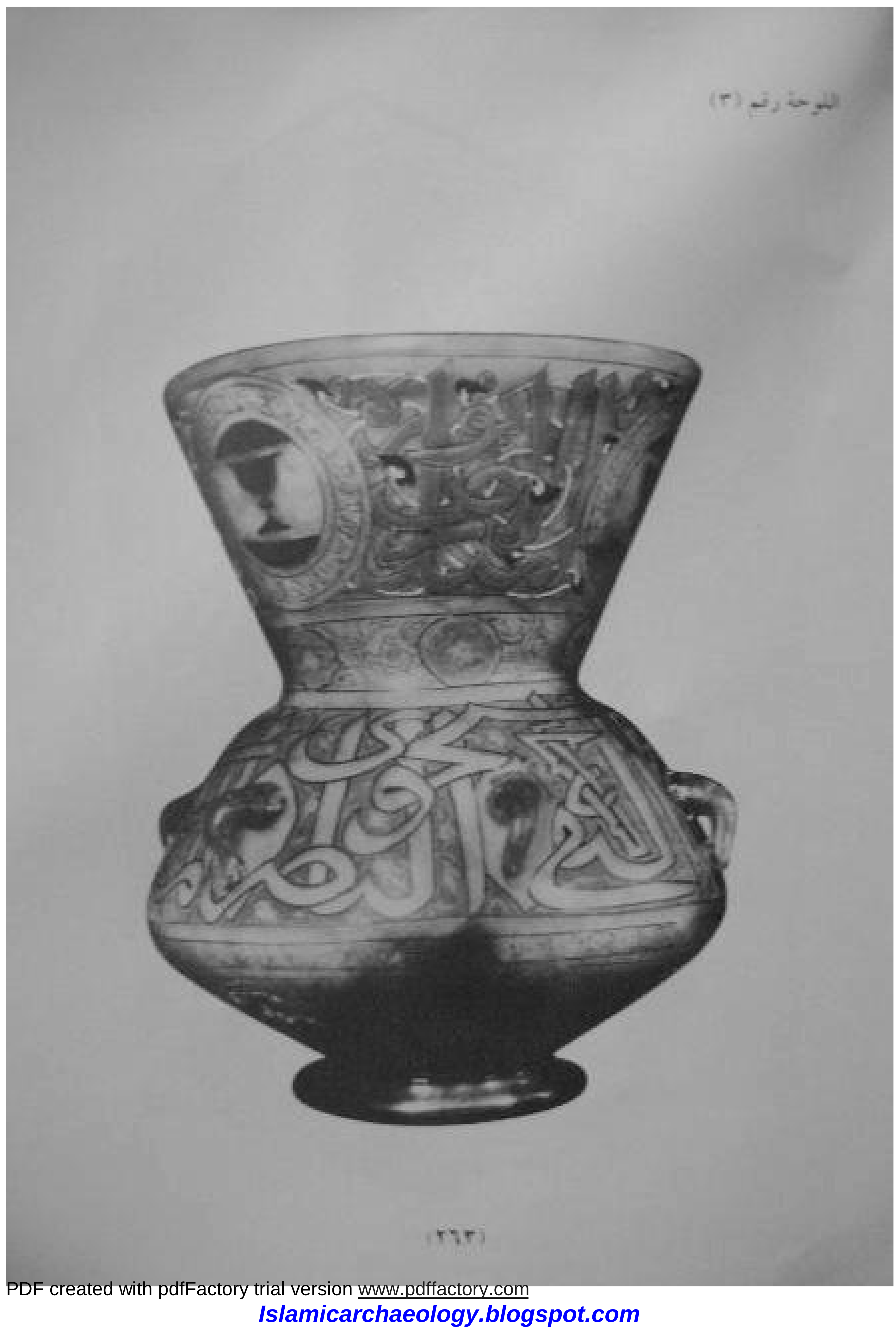


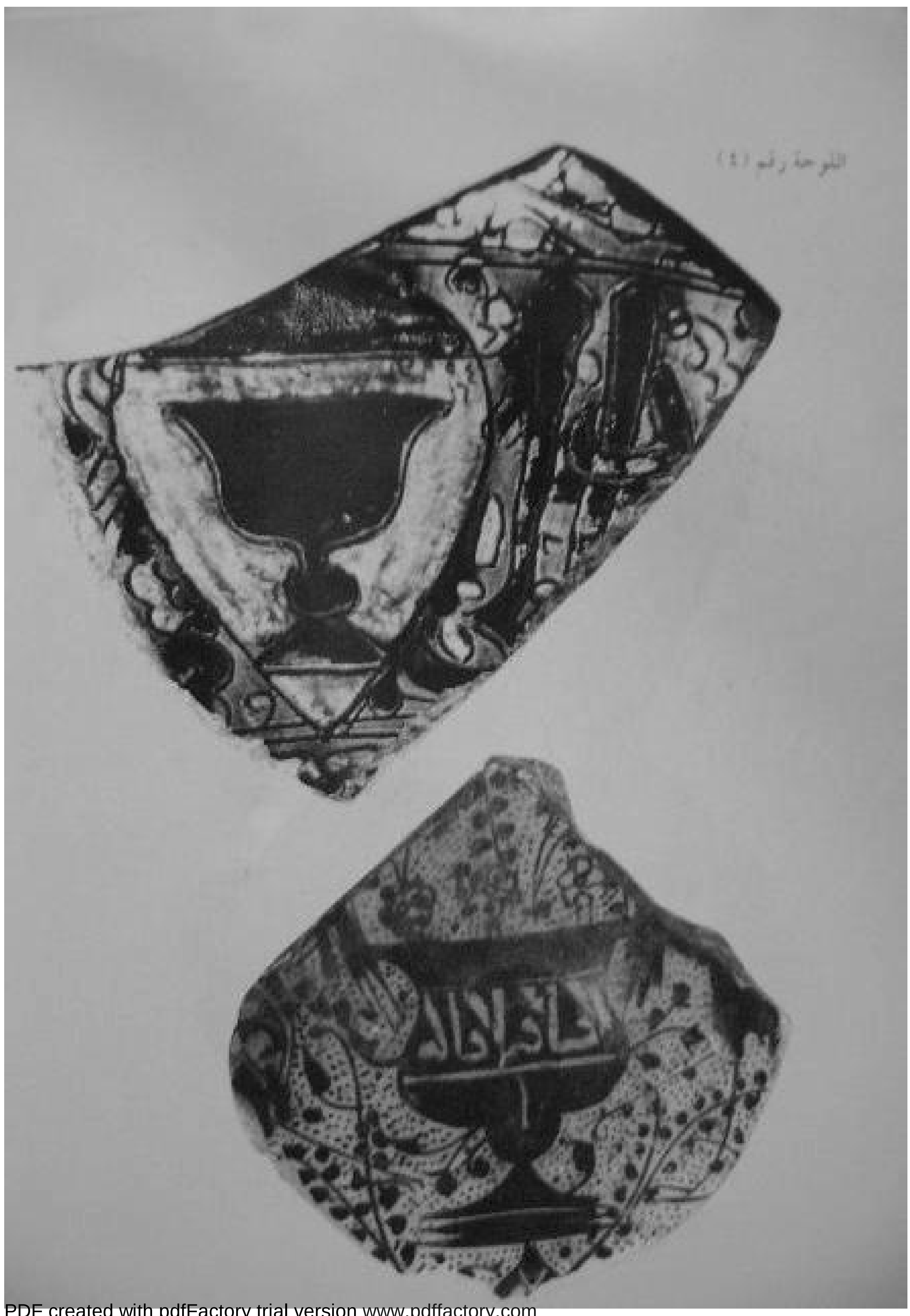
اللوحة رقم (١)



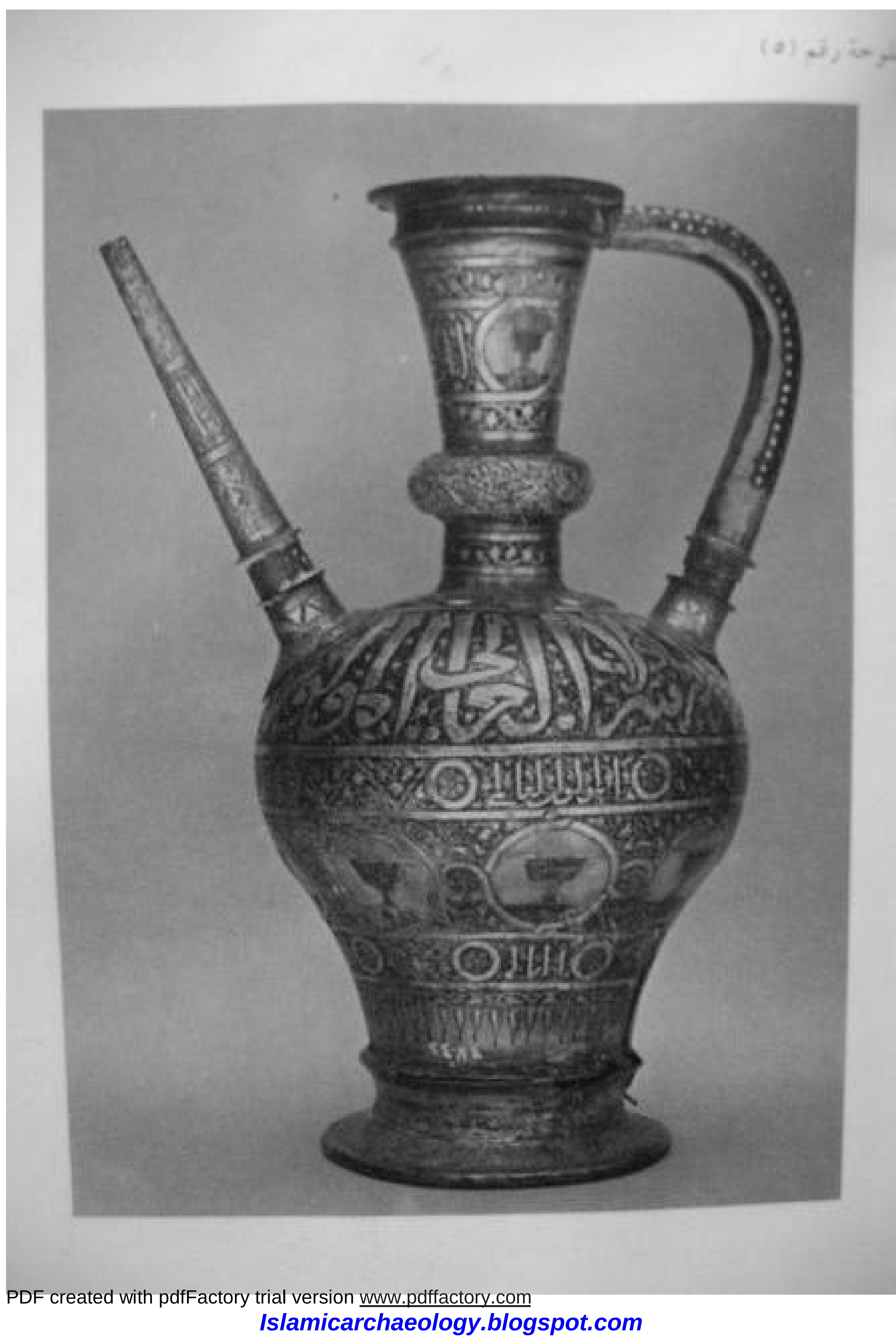
اللوحة رقم (٢)

اللوحة رقم (٣)



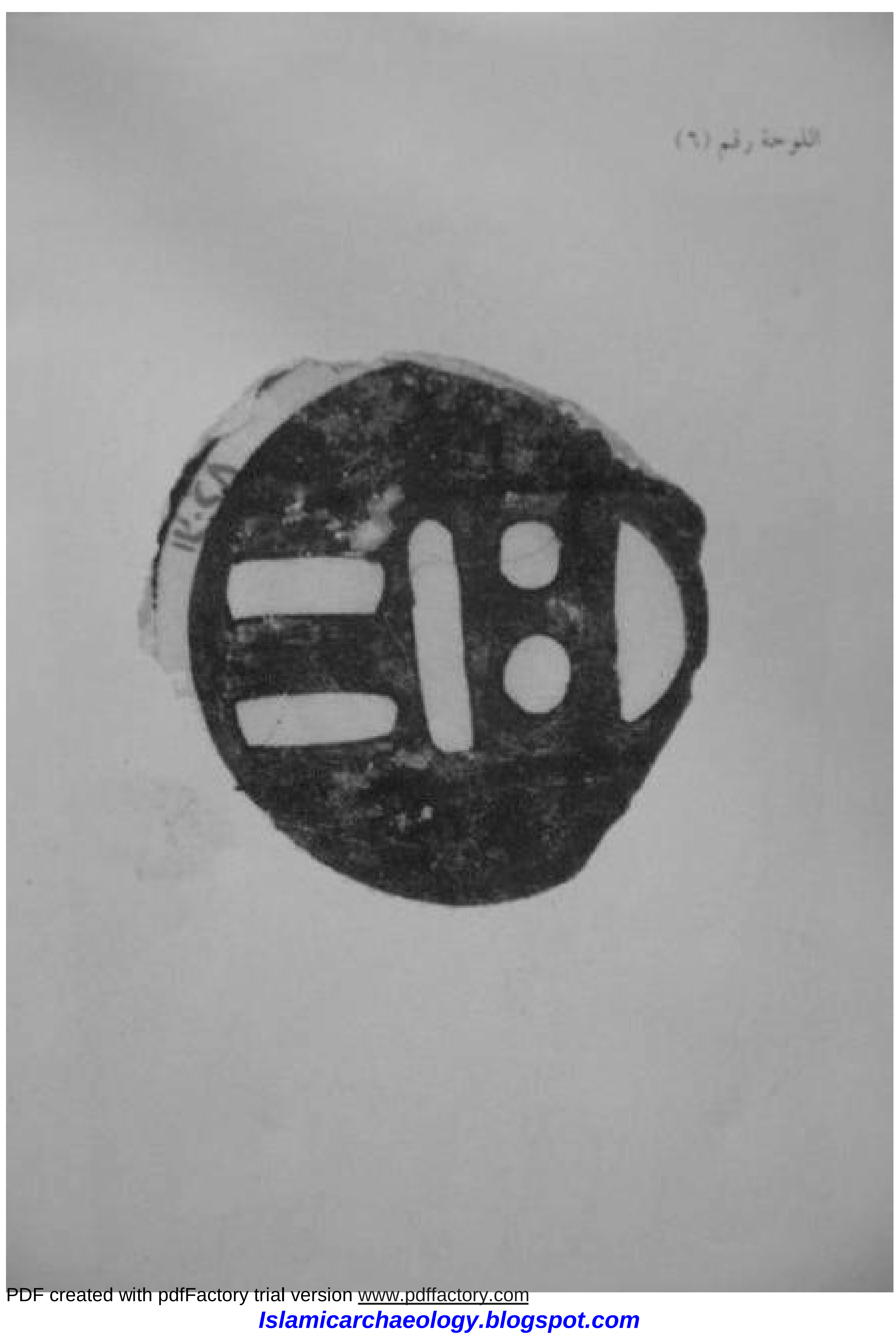


اللوحة رقم (٤)



لوحة رقم (٥)

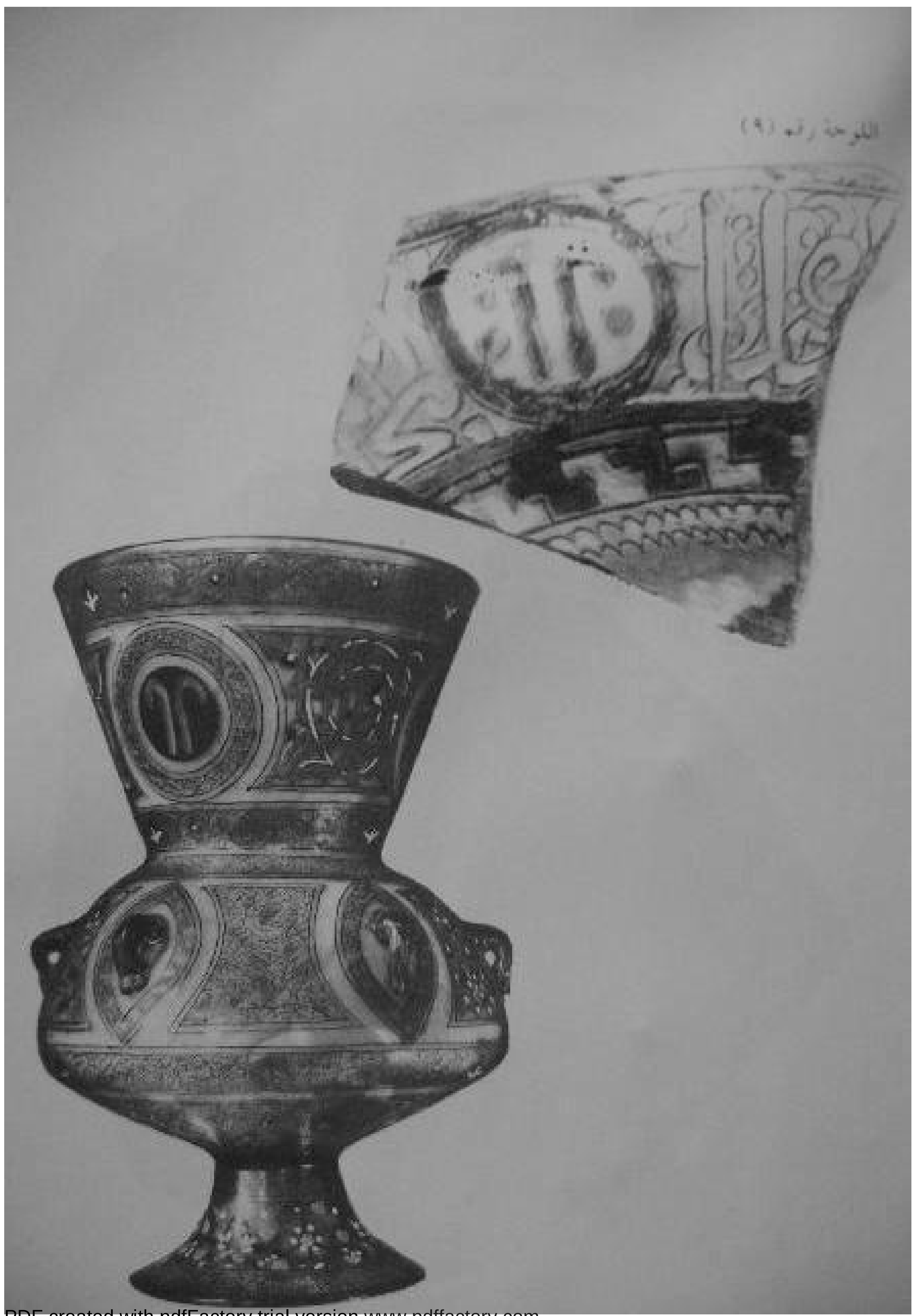
اللوحة رقم (٩)



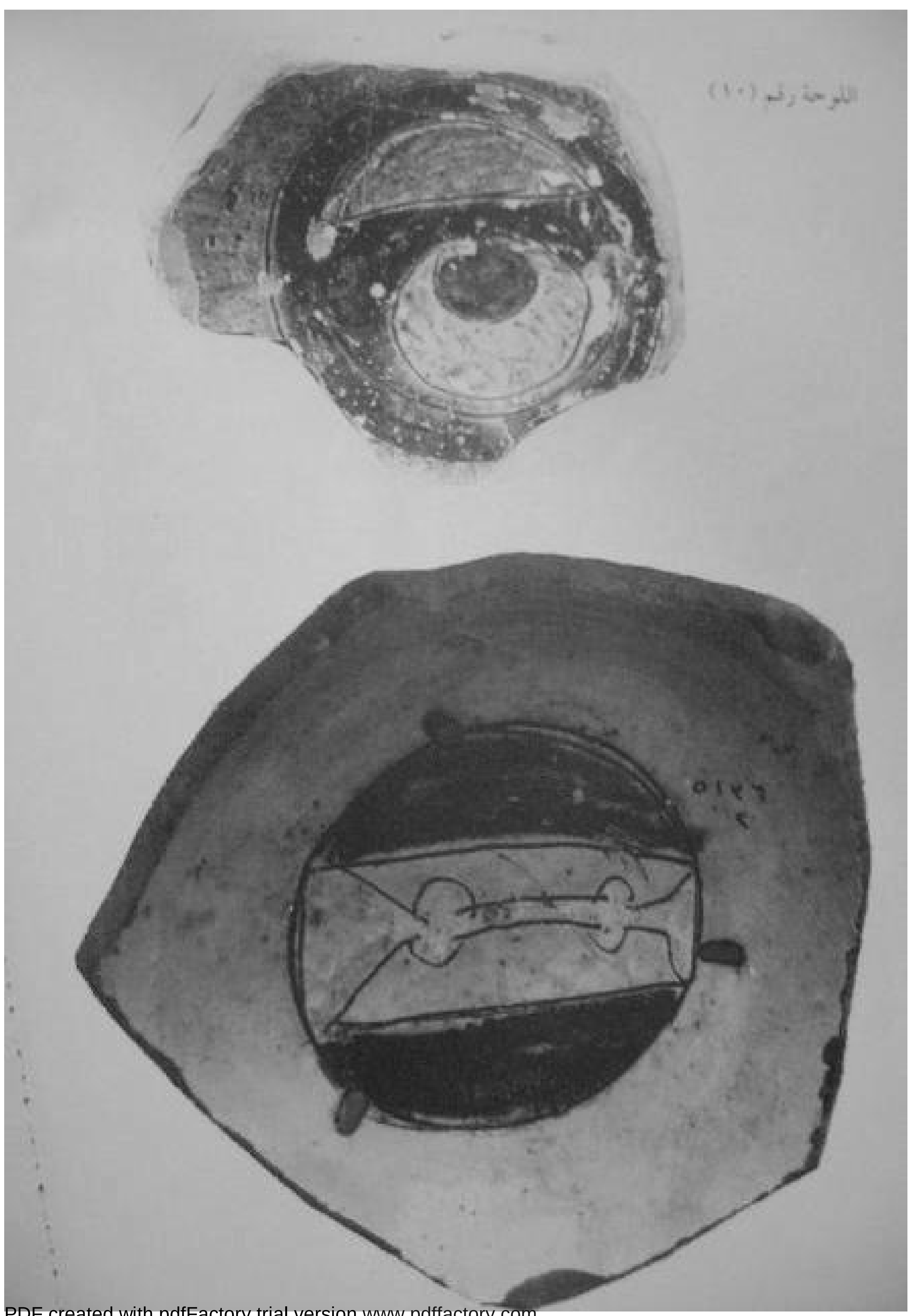

اللوحة رقم (٧)



اللوحة رقم (٨)



اللوحة رقم (٩)



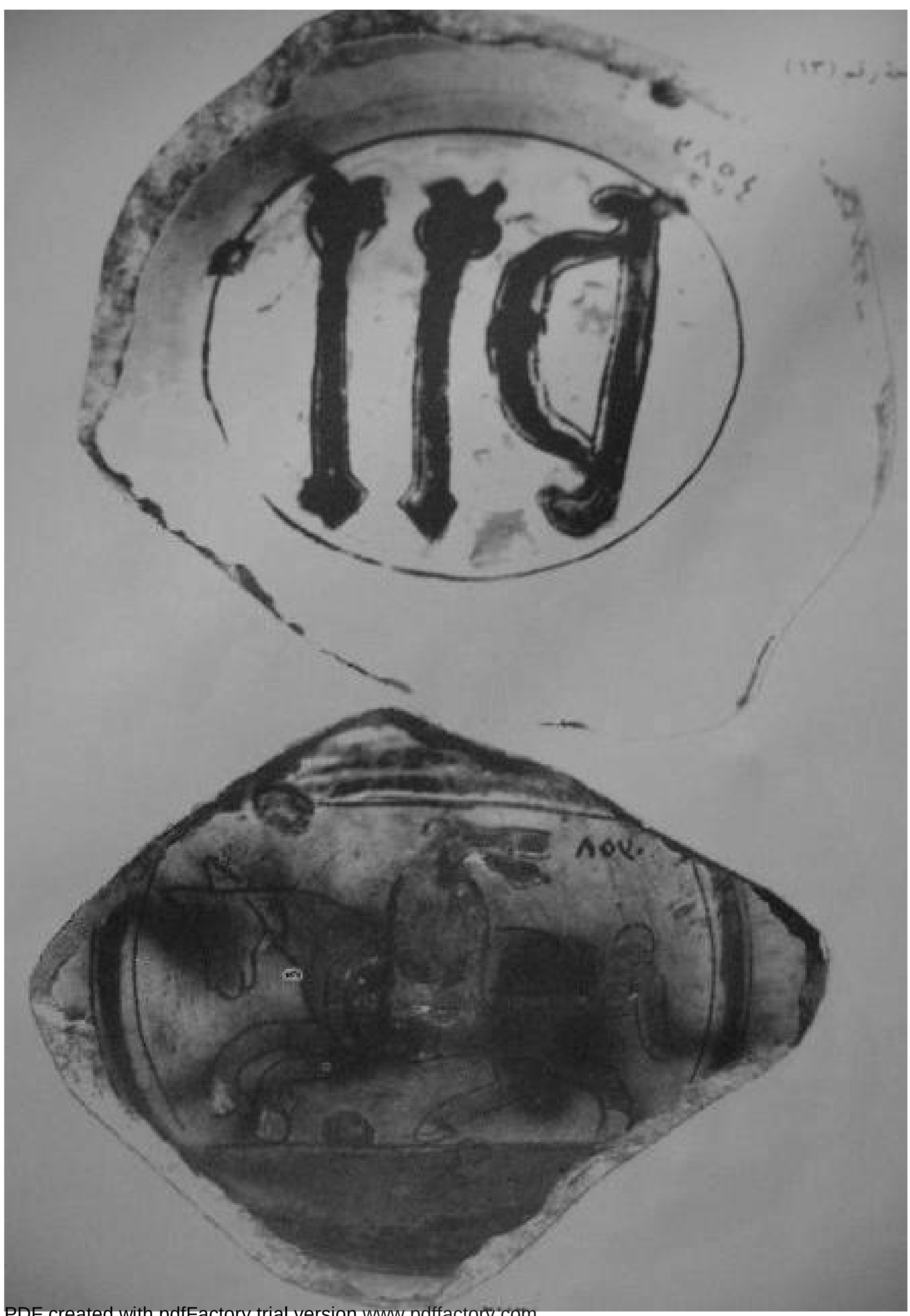
اللوحة رقم (١٠)

Islamicarchaeology.blogspot.com

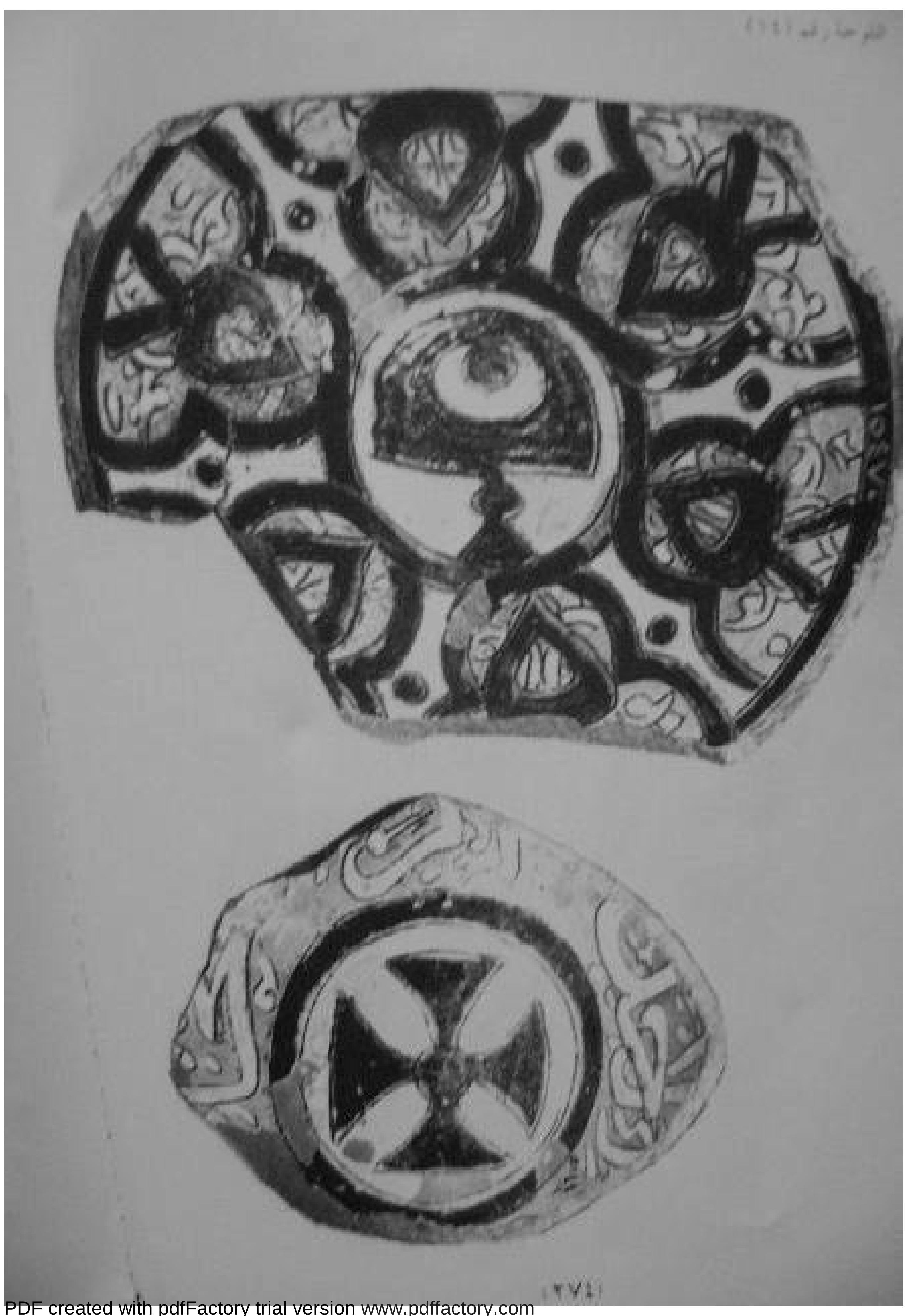
اللوحة رقم (٩١)

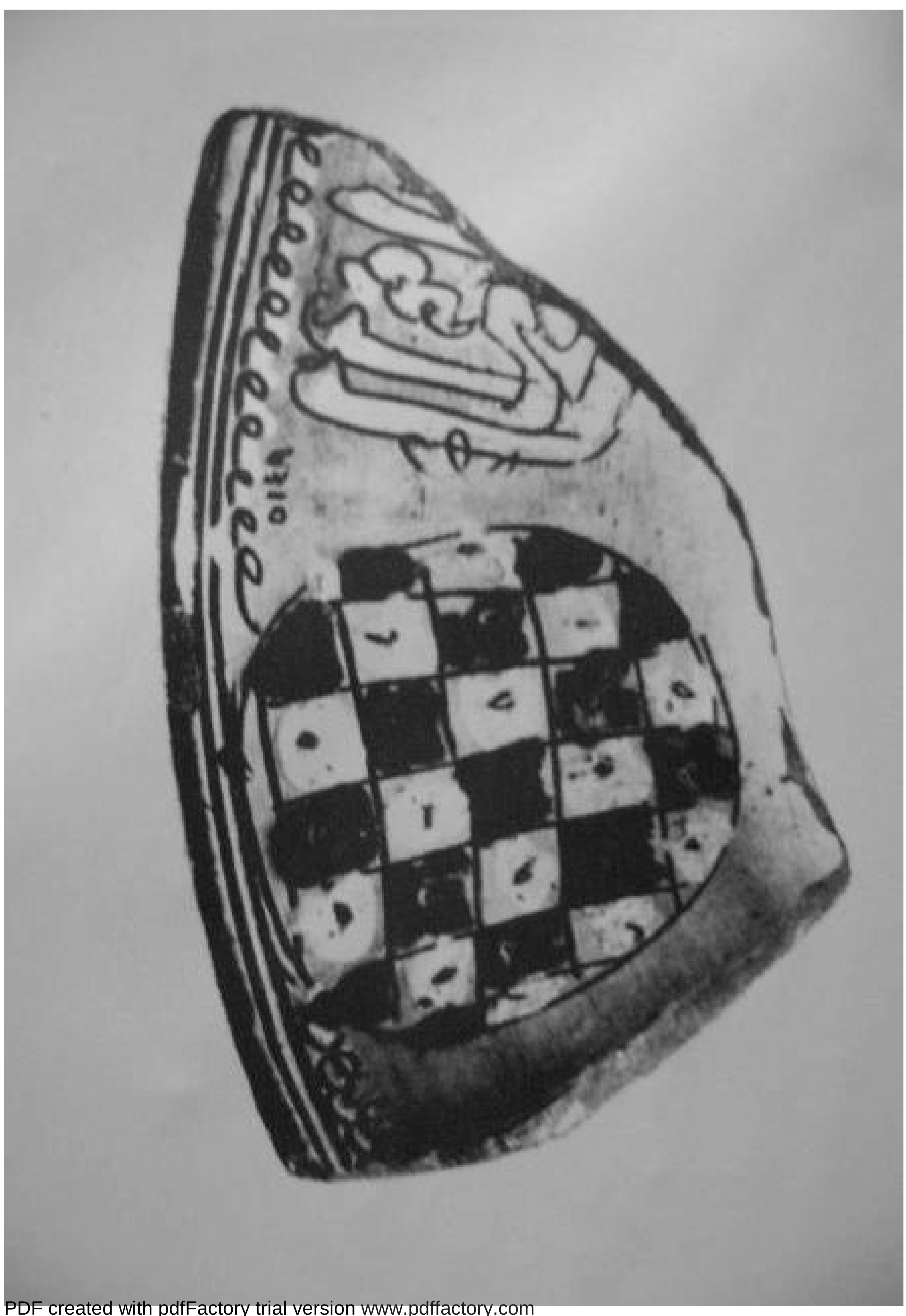




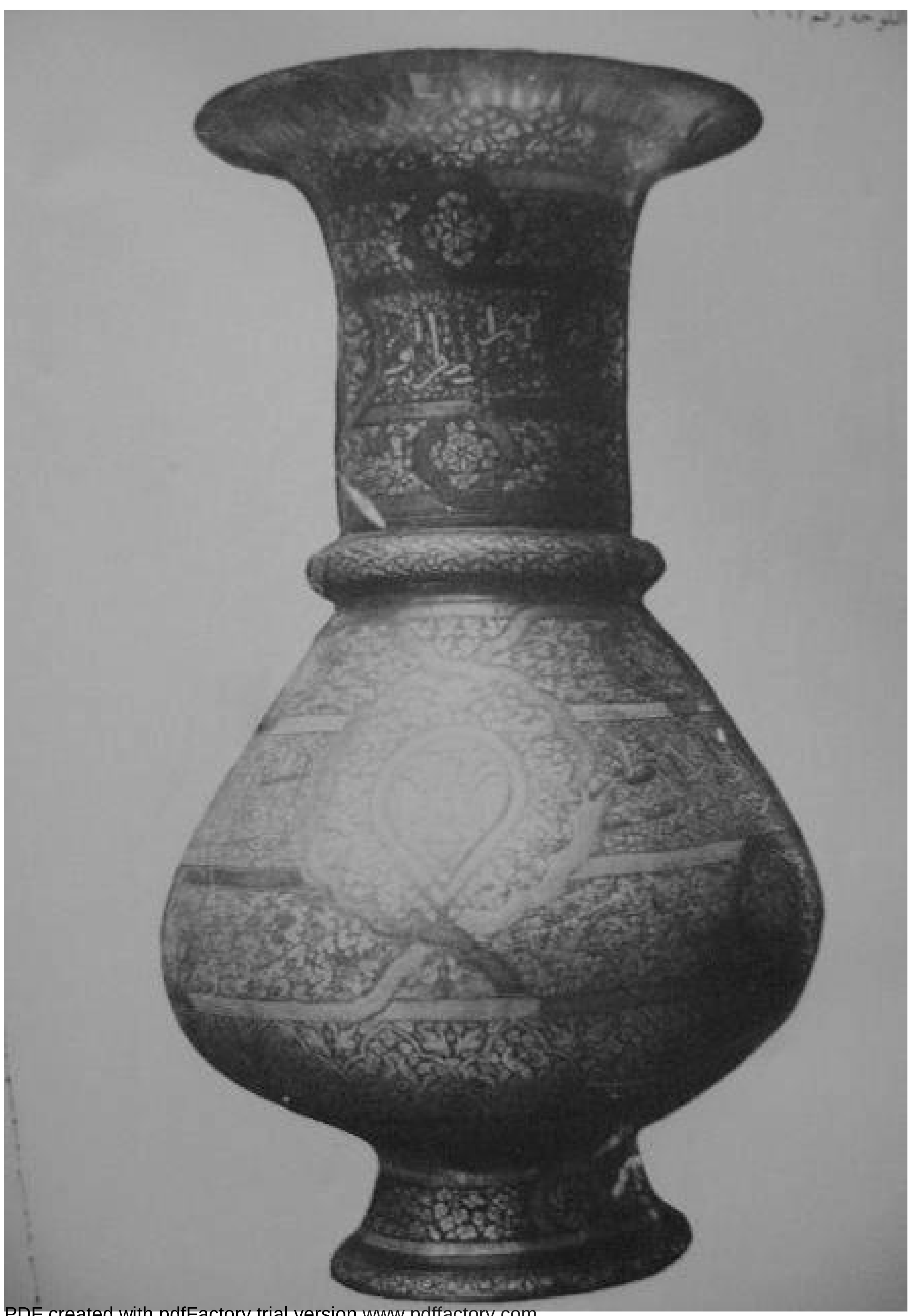


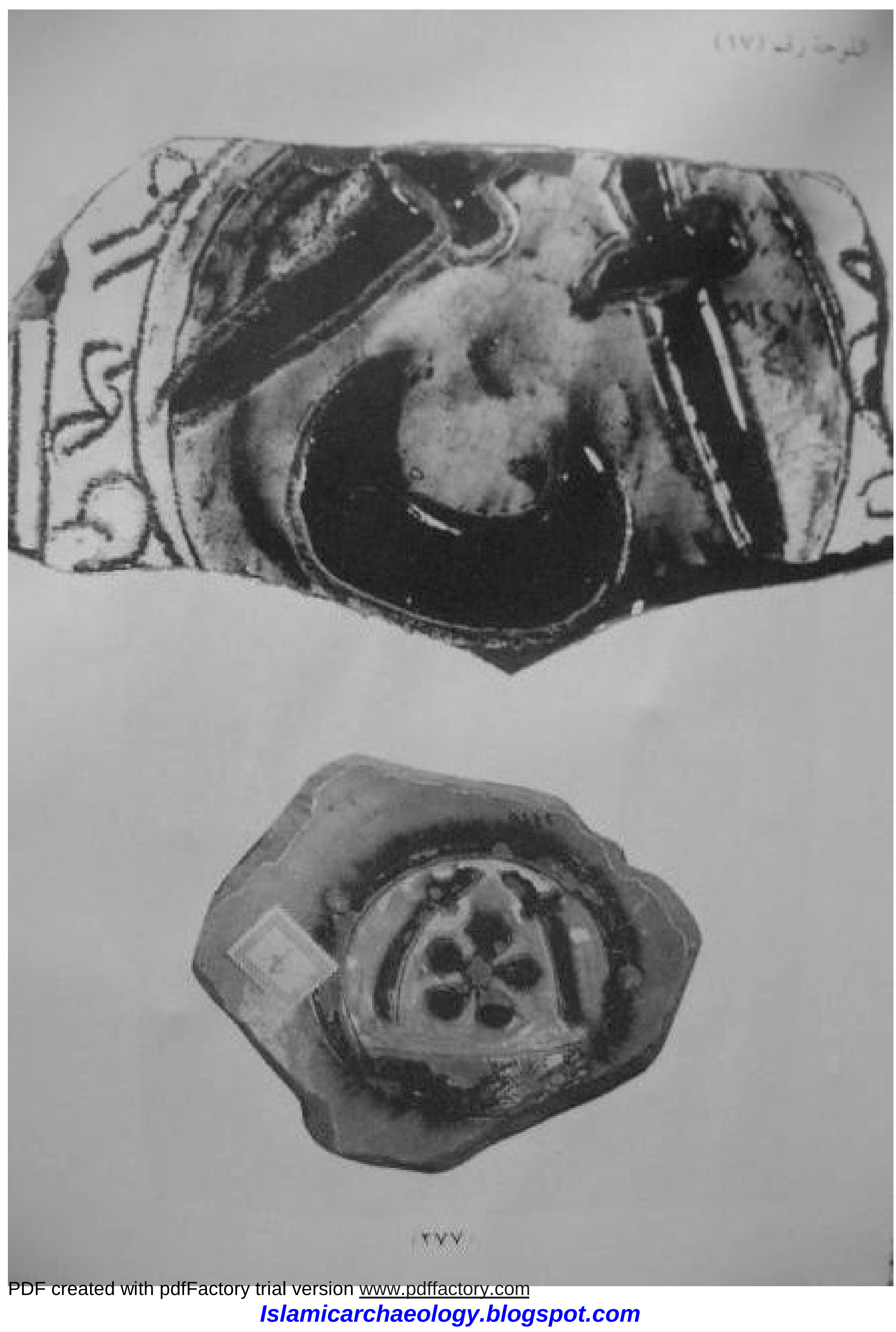
Islamicarchaeology.blogspot.com





Islamicarchaeology.blogspot.com





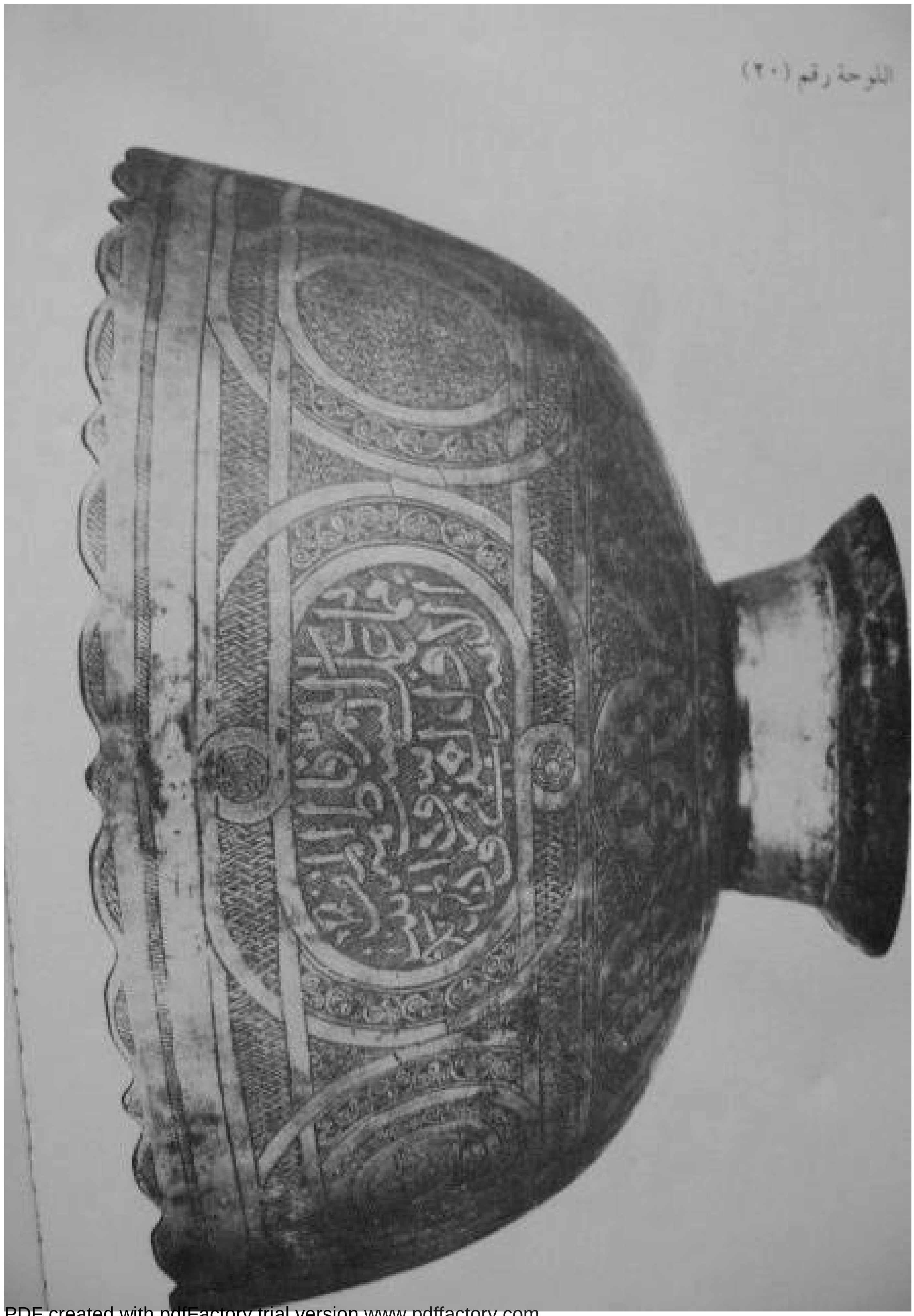
اللوحة رقم (١٧)





اللوحة رقم (١٩)

اللوحة رقم (٢٠)





اللوحة رقم (٢١)

